تفسير

أنجيل يوحنا

كنيسة

مارمرقس مصر الجديدة

إِنْجِيلُ يُوحَنَّا

η Ε η

مقدمـــة

ι

(1) كاتبه:

هو القديس يوحنـــا الإنجيـــلى، وهو ابن زبدى وأخـــو يعقوب، وكان يعمـــل مع أخيه بمهنة أبيهما فى صيد السمك. وأمه سالومة، كانت إحدى اللواتى خَدَمْنَ يسوع من أموالهن (مت 27: 55 و56 ؛ مر 15: 40 و41 ؛ لو 8: 3). وقد دعاه السيد مع أخيه يعقوب للخدمة، ولقّبهما بـــ "بوانرجس" أى "ابنى الرعد" (مر 3: 17).

كان فى تلمذته للسيد المسيح قريبا جدا منه، فهو، مع بطرس ويعقوب، شاهدوا إقامة ابنة يايرُس (لو 8: 51-55)، وكذلك التجلى (مت 17: 1-8 ؛ مر 9: 2-9). وهو الذى اتكأ على صدر المسيح فى العشاء الربّانى (يو 13: 25). وهو الوحيد أيضا من الاثنى عشر الذى رافق المسيح ساعة صلبه، وقد شرّفه السيد بالعناية بأمه العذراء القديسة مريم (يو 19: 26-27). وهو أول تلميذ جاء إلى باب القبر، إذ سبق بطرس فى الطريق (يو 20: 3 و4). وقد اعتُبر من أعمدة الكنيسة بشهادة القديس بولس الرسول (غل 2: 9).

وقد كتب، بخلاف إنجيله، ثلاث رسائل رعوية، وكذلك سفر الرؤيا الذى أضاف إلى اسمه بعد ذلك لقب "الرائى".

(2) زمن كتابته:

هو آخر الأناجيل كتابة (ما بين سنتى 85 – 90 ميلادية).

(3) رمزه:

يُرمز لإنجيل يوحنا بالنسر، وذلك لسمو معانيه اللاهوتية التى تحلق بنا فى الأعالى الروحية.

(4) مكان كتابته:

من المرجح أنه كُتب فى مدينة أفسس، قبل نفى القديس يوحنا إلى جزيرة "بَطْمُسَ".

(5) ما تميز به:

أ) جاء يستكمل صورة الابن، فالأناجيل الثلاثة ركزت على أعمال وأمثال ومعجزات السيد المسيح – له المجد – فى أزمنة متتابعة. أما يوحنا، فقد أفرز إنجيله لإثبات لاهوت المسيح؛ سواء كانت المعجزات التى ذكرها، أو الأحاديث التى نقلها عن السيد المسيح، و لم يكن لها ســوى غرض واحــد، وهو إبراز مفهوم الابن الواحد المساوى للآب... وقد أوضــح لنا هذا، عندما ذكر الغرض من كتابة إنجيله، إذ قــال: "وأما هذه، فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم، إذا آمنتم، حياة باسمه" (يو 20: 31).

ب) تميز أيضا إنجيل يوحنا بذكر الحديث والصلاة الختامية للرب يسوع مع تلاميذه ومع الآب، والتى شملت الأصحاحات 14 و15 و16 و17، و لم يذكر تفصيلها أى من الإنجيليّين الآخرين.

حـــ) ما انفرد أيضا القديس يوحنا بذكره، دون الإنجيليّين الآخرين، هو مجموعة من الأحاديث والحوارات اللاهوتية العالية مع الكتبة والفريسيين، أفصح فى كثير منها عن العلاقة السرية التى تربطه بالآب، وهو ما لم يفهمه أحد منهم حينذاك.

د) تكلم أيضا بالتمام، ومما لا يضع مجالا للشك، عن ذبيحة المسيح الكفارية، إذ يعتبر حوالى نصف الأصحاح السادس (ع 32-59)، أبرز ما كُتب فى البشائر الأربعة عن فاعلية أكل الجسد وشرب الدم الحقيقى لفادى البشرية، مخلّص العالم.



الأَصْحَاحُ الأَوَّلُ

الميلاد الأزلى ، شهادة يوحنا المعمدان ، دعوة التلاميذ

η E η

(1) الميلاد الأزلى (ع 1-8):

1- فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. 2- هذا كان فى البدء عند الله. 3- كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان. 4- فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس. 5- والنور يضىء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه. 6- كان إنســان مرســل من الله اسمه يوحنا. 7- هذا جاء للشهادة، ليشهد للنور، لكى يؤمن الكل بواسطته. 8- لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور.

ع1-2: بينما اهتم البشيرين لوقا ومتى بأحداث الميلاد الزمنية، اهتم يوحنا بإبراز الميلاد الأزلى للسيد المسيح، لأن شاغله الأول كان إثبات لاهوت المسيح، فى وسط التشكيكات التى شنها اليهود على شخص المسيح. ولا توجد آية أقوى من: "**وكان الكلمة الله**". ولهذا، نجد أن جماعة مثل شهود يهوه، الناكرين للمسيحية ولاهوت المسيح، يغيّرون فى كتابهم منطوق هذه الآية إلى: "وكان الكلمة كإله". والمقصود بالكلمة: العقل الإلهى، أى الأقنوم الثانى، لأن الكلمة تعبّر عن العقل، وتصدر منه، وتساويه.

تؤكد الآية الثانية، بوضوح أكثر، أزلية الوجود للآب والابن، فلم تكن هناك لحظة – بحسب لغة البشر – كان فيها الآب سابقا أو منفردا؛ فالميلاد الأزلى للابن مرتبط بالكلية بوجود الآب، مثلما نقول: تزامن ظهور قرص الشمس مرتبط بخروج الشعاع الضوئى منه.

ع3-5: إشارة واضحة لتأكيد لاهوت المسيح، إذ أنه الخالق، "**وبغيره لم يكن شىء**" من الخليقة (راجع مع عب 1: 2). ويذهب الرسول إلى بُعد روحى مقارن للبعد اللاهوتى، فيقول: "**كانت الحياة**"، أى أن المسيح ليس خالقا فقط، بل مصدر حياة وقوة كل أولاده ممن آمن واعتمد (باسم الآب والابن والروح القدس). ويشير القديس يوحنا إلى رفض اليهود للمسيح، مما جعله يصفهم بالظُّلمة التى لم تدرك النور المرسل للعالم.

✝ *فهل، يا أيها الحبيب، تشكر السيد المسيح على أنك خليقة يديه التى صنعها ووهبها الحياة، وأراد لها الشركة معه فى النور؟ إن الذى يؤمن فعلا أنه محور اهتمام السيد، لا يجد شيئا يقدمه عوضا عن حياة الشكر الدائم.*

ع6-8: الكلام هنا عن يوحنا المعمدان وعن مهمته، أى تهيئة الناس لقبول المسيح، وليس جذب الناس لذاته والإيمان به.

✝ *وتهيئة الناس لقبول المسيح، مهمة مشتركة لكل شعب كنيسته، فالمسيحى الحقيقى لا يعتقد فى نفسه أنه نور، بل هو عاكس لنور المسيح على كل من حوله؛ فتكون شهادته إما بالكلام كشهادة يوحنا، أو بأعماله وسلوكه الظاهر، فيرى كل من حوله نور المسيح من خلاله.*

(2) مهمة يوحنا (ع 9-13):

9- كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم. 10- كان فى العالم، وكُوِّنَ العالم به، ولم يعرفه العالم. 11- إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. 12- وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه. 13- الذين ولدوا، ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله.

ع9-11: العودة بالكلام هنا لشخص المسيح المخلّص. فبالرغم من أن السيد المسيح كان موضع رجاء اليهود، وكانوا ينتظرونه، إلا أنهم لم يعرفوه، ولم يقبلوه.

✝ *وهذا حال المسيح اليوم، بين قابل ورافض، وبين من يدّعون أنهم أولاده، ولكن بأعمالهم لا يقبلونه، بل يردونه إلى خلف؛ فقبول المسيح ليس إعلانا، بل هو إخضاع النفس والإرادة لمشيئته، وتنفيذ وصاياه والعمل بها "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكى يروا أعمالكم الحسنة، ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات" (مت 5: 16).*

ع12-13: "الذين قبلوه... أى المؤمنون باسمه": كانت هناك عطية خاصة، ولم تزل، لكل من يريد المسيح، وهى عطية البنوة لله. فالميلاد الجسدى يعطى الحسب والنسب، والميراث الأرضى مصيره الموت والزوال. أما الميلاد الروحى، وشرطه الإيمان والمعمودية (مر 16: 16)، فيعطى بنوة ونسبا إلهيا، وميراثا سمائيا ثابتا لا يضمحل.

✝*وهذه العطية، أخذناها جميعا مجانا فى سر المعمودية المقدس، مما يلقى على الإنسان المسيحى مسئولية عظيمة، وهى سؤال يطرح نفسه طوال الوقت: هل نسبى للعالم أم للمسيح... هل أحيا كمولود من جسد أو كمولود من الروح؟ والتدقيق فى هذا السؤال، وما نطلق عليه: حساب النفس اليومى عن كل أفعالنا، له عظيم الأثر على الحياة الروحية مع الله.*

(3) تجسد المسيح (ع 14-18):

14- والكلمة صار جسدا وحل بيننا، ورأينا مجده، مجدا كما لوحيد من الآب، مملوءا نعمة وحقا. 15- يوحنا شهد له، ونادى قائلا: "هذا هو الذى قلت عنه إن الذى يأتى بعدى، صار قدامى، لأنه كان قبلى. 16- ومن ملئه، نحن جميعا، أخذنا ونعمة فوق نعمة. 17- لأن الناموس بموسى أعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. 18- الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب، هو خَبَّرَ.

ع14: "**الكلمة صار جسدا وحل بيننا**": إشارة إلى سر التجسد، وهى إحدى عقائد المسيحية الأساسية، أن الله الكلمة صار جسدا. ومعنى "**جسدا**" هنا، إنسانا كاملا، كما يشير قانون الإيمان "تجسد وتأنس"؛ أى المسيح الإله أخذ جسدا وروحا ونفسا بشرية اتحدت بلاهوته، فصار الله الكامل والإنسان الكامل (راجع 1تى 3: 16). و"**صار**": لا تعنى تحوّل اللاهوت إلى جسد مادى، أو محدوديته بجسد مادى، بل تعنى: اتحد به.

ونعلم أن كلمة جسد، فى لغة الكتاب المقدس، تعنى أحد ثلاث معانٍ:

(1) **جسم**: "لم يبغض أحد جسده قط" (أف 5: 29).

(2) **شر**: "ولا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات" (رو 13: 14).

(3) **شخصية إنسانية كاملة**: "ليسا بعد اثنين بل جسد واحد" (مت 19: 6).

وقد تنبأ باروخ النبى بالتجسد والحلول بيننا، عندما قال: "هذا هو إلهنا، ولا يعتبر حذاءه آخر... تراءى على الأرض، وتردد بين البشر" (3: 36، 38).

وبجانب البعد الإيمانى لهاتين الآيتين، نستطيع أن نستخلص المعانى الروحية التالية أيضا:

"**صار جسدا**": صار الإنسان المسيحى ابنا لله، لأن ابن الله الوحيد صار إنسانا.

"**حل بيننا**": عاش فى وسطنا كواحد منا باتضاع عجيب، مختبرا كل آلامنا، شاعرا بنا فى كل ضيقنا، بل هو المعين لكل المتألمين... فلن يشعر بك إلا من تألم كل الألم من أجلك... هذا هو مسيحك (عب 2: 18).

"**ورأينا مجده، مجدا**": ما أصعب الحديث عن مجد الله قبل التجسد. فعندما حاول موسى رؤية مجد الله، جاءته الإجابة: "الإنسان لا يرانى ويعيش" (خر 33: 20). أما فى تجسد المسيح، فقد رأينا مجد الله المتجسد فى معجزاته التى لا يصنعها إلا الله. وكإنسان، صار فى قدوته لنا بلا خطية واحدة، مقدما لنا صورة الإنسان الكامل الذى يجب علينا أن نكون على صورته، غير معتذرين أو مبررين خطايانا بظروف العالم المحيطة بنا.

"**كما لوحيد من الآب**": تعطى تمييزا لبنوة المسيح عن بنوتنا نحن لله، فبنوة المسيح هى بنوة الطبيعة الإلهية، أى ولادة الكلمة الأزلى من الآب قبل كل الدهور. أما بنوتنا، فقد نلناها بالإيمان بالآب و الابن والروح القدس من خلال سر المعمودية.

"**مملوءا نعمة وحقا**": النعمة هى العطايا المجانية التى يهبنا المسيح إياها. والحق هو إعلان حقيقة الله والإيمان به.

ع15: هذه شهادة ليوحنا المعمدان، تؤكد كل ما سبق وأن تنبأ به عن مجىء المسيح بعده، ولكن له المكانة الأولى، ويشير أيضا إلى أزليته.

ع16-17: المسيح فيه كل الملء والشبع لمريديه من المؤمنين باسمه، ومن فيضه أخذ يوحنا وكل المسيحيين.

"**نعمة فوق نعمة**": إشارة للفرق بين نعمة العهد القديم، القاصرة على أنبياء ووعود ورجاء ووصايا، ونعمة العهد الجديد التى تكلم فيها الله من خلال ابنه، ومن خلال فدائه المجانى. فالناموس لم يعط تبريرا لأحد، بل كان موضحا للطريق. أما المسيح، فهو "الطريق والحق والحياة" (ص 14: 6).

ع18: أراد الله أن يكشف لنا عن طبيعة جوهره بطريقة يمكن الإحساس بها، فلم يكن سبيلا سوى تجسد الكلمة.

"**فى حضن الآب**": إشارة إلى الاتحاد والمشاركة بين الآب والابن. وتعنى أيضا أنه أثناء تجسد المسيح على الأرض، لم يفارق الآب، بل هو مالىء لكل زمان ومكان.

"**هو خَبَّرَ**": تأكيد آخر للوحدة الأزلية بين الآب والابن.

(4) شهادة المعمدان (ع 19-36):

19- وهــذه هى شــهادة يوحنا، حين أرســل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت. 20- فاعترف ولم ينكر، وأقر: "إنى لست أنا المسيح." 21- فسألوه: "إذًا ماذا، إيليا أنت؟" فقال: "لست أنا." أَلنَّبِىُّ أنت؟" فأجاب: "لا." 22- فقالوا له: "من أنت، لنعطى جوابا للذين أرسلونا، ماذا تقول عن نفسك؟" 23- قال: "أنا صوت صارخ فى البرية، قَوِّمُوا طريق الرب، كما قال إشعياء النبى." 24- وكان المرسلون من الفريسيين. 25- فسألوه وقالوا له: "فما بالك تعمّد، إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى؟" 26- أجابهم يوحنا قائلا: "أنا أعمد بماء، ولكن فى وسطكم قائم، الذى لستم تعرفونه. 27- هو الذى يأتى بعدى، الذى صار قدامى، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه." 28- هذا كان فى بيت عَبْرَةَ فى عَبْرِ الأردن، حيث كان يوحنا يعمد. 29- وفى الغد، نظر يوحنا يسوع مقبلا إليه، فقال: "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم. 30- هذا هو الذى قلت عنه: يأتى بعدى رجل صار قدامى، لأنه كان قبلى. 31- وأنا لم أكن أعرفه، لكن ليظهر لإسرائيل، لذلك جئت أعمد بالماء." 32- وشهد يوحنا قائلا: "إنى قد رأيت الروح، نازلا مثل حمامة من السماء، فاستقر عليه. 33- وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء، ذاك قال لى: الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس. 34- وأنا قد رأيت، وشهدت أن هذا هو ابن الله." 35- وفى الغد أيضا، كان يوحــنا واقفا هو واثنان من تلاميــذه. 36- فنظر إلى يسوع ماشيا، فقال: "هوذا حمل الله."

ع19-28: كانت هناك احتمالات حول شخصية يوحنا، إما أن يكون نبيا كاذبا كبعض السابقين، أن يكون إيليا السابق للمســيح (ملا 3: 1، 4: 5)، أو نبيا حقيقيا تنبــأ عنه موسى (تث 18: 15)، أو المسيح المنتظر. ولهذا، تم إرسال وفد من الكتبة والفريسيين واللاويين، ممثلى طغمة الخدام، للاستفسار عن هذه الشخصية القوية التى تكاثر تلاميذها. ونلاحظ خبث اليهود فى سؤالهم، فهم يعلمون أن المسيح من سبط يهوذا ونسل داود، بينما يوحنا من سبط لاوى، سبط

الكهنوت. وعند سؤال يوحنا، لم ينسب لنفسه، باتضاع، أية صفة من هذه الصفات، بل أشار إلى مهمته فى تهيئة الشعب بمعمودية التوبة، لاستقبال المسيح، الذى بسلطانه وحده، معمودية الروح القدس. وشهد أيضا أن المسيح قائم فى وسطهم وتجسد. وباتضاع حقيقى، ختم حديثه بأنه لا شىء أمام مجد الآتى بعده، والذى لا يستحق أن يحل سيور حذائه، وهى من خدمات العبيد فى ذلك الزمن.

☩ *ولعلنا نستخلص من شهادة يوحنا هذه درسين:*

(1) أن مهمة كل مسيحى، هى الشهادة للمسيح الإله والمخلّص.

(2) أن نتعلم الاتضاع، ولا نسرق مجد الله لأنفسنا، بل يكفينا فخرا أن نخدم اسمه ونحن ساجدين تحت قدميه.

"**بيت عَبْرَةَ**": هى مكان عبور يشوع بالشعب إلى أرض الموعد.

ع29-36: يكشف لنا يوحنا سرا جديدا من أسرار عمل الروح القدس، فهو لم يكن يعرف قبلا شخص المسيح، ولكن عمل الروح القدس فى الإرشاد، هو الذى أبلغ يوحنا بعلامة واضحة "**مثل حمامة**". ومن خلال هذه العلامة، تيقن يوحنا أنه هو المسيح... ثم يؤكد لنا المعمدان، من خلال شهادته، أن المسيح هو ابن الله (ع34)، وهو "**حمل الله**" المبذول عنا فداءً لمغفرة الخطايا (ع29، ع36)، والذى كان عندئذ آتيا من جبل التجربة، ليبدأ خدمته، وليقدم نفسه ذبيحة خطية عن العالم.

وقد أدى يوحنا شهادته على 3 مراحل: ع19 إلى ع28 – ع29 إلى ع34 – ع35-36 فى مسامع تلميذيه أندراوس ويوحنا.

☩ *والآن أيها الحبيب، فإن ما أخذته أنت فى سر مسحة الروح القدس – الميرون المقدس – قادر أن يرشدك أمام ظروف ومشاكل الحياة، فتحيا مطمئنا كل حين، بل تتعرف أكثر فأكثر على مشيئة الله فى حياتك.*

(5) دعوة بعض التلاميذ (ع 37-46):

37- فسمعه التلميذان يتكلم، فتبعا يسوع. 38- فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان، فقال لهما: "ماذا تطلبان؟" فقالا: ربى - الذى تفسيره يا معلم - أين تمكث؟" 39- فقال لهما: "تعاليا وانظرا." فأتيا ونظرا أين كان يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم، وكان نحوالساعة العاشرة. 40- كان أندراوس، أخو سِمعان بطرس، واحدا من الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعاه. 41- هذا وجد أولا أخاه سِمعان، فقال له: "قد وجدنا مَسِيًّا، الذى تفسيره المسيح." 42- فجاء به إلى يسوع، فنظر إليه يسوع وقال: "أنت سِمعان بن يونا، أنت تُدعَى صفا، الذى تفسيره بطرس." 43- فى الغد، أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل، فوجد فيلبس، فقال له: "اتبعنى." 44- وكان فيلبس من بيت صيدا، من مدينة أندراوس وبطرس. 45- فيلبس وجد نَثَنَائيل، وقال له: "وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء، يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة. 46- فقال له نَثَنَائيل: "أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟" قال له فيلبس: "تعال وانظر."

ع37-39: سمع تلميذى يوحنا المعمدان شهادته للمسيح فتبعاه. فسألهما يسوع: "**ماذا تطلبان؟**" فأجابا إنهما يريدان معرفة مكان إقامته، فرحب بهما، وأتيا معه إلى مكانه، ومكثا عنده طوال اليوم؛ وهكذا بدأت تلمذتهما له.

☩ *أن الله يسألك عندما تتبعه ماذا تطلب، لتكون تبعيتك محبة لشخصه بإيمان وتسليم، ولا تكون لأية أغراض مثل مصلحة شخصية، أو تظاهر وكبرياء، أو مجرد ملء لوقت الفراغ.*

ع40-42: كان أندراوس واحد من تلميذى يوحنا المعمدان اللذين تبعا المسيح، فدعا أخاه سِمعان، وبشّره بظهور المسيّا، وأخذه للمسيح الذى غيّر اسمه إلى صفا أى بطرس، ومعناه صخرة، إشارة لخدمته المستقبلية فى التمسك بصخرة الإيمان والتبشير به.

ومعروف فى الكتاب المقدس تغيير بعض الأسماء، إيذانا ببدء مهمة عظيمة، مثل: أبرام الذى صار إبراهيم، ويعقوب الذى صار إسرائيل؛ وكما هو متبع الآن فى سيامة الأساقفة والكهنة والشمامسة، فينال كل منهم اسم أحد القديسين ليناسب مهمته الجديدة.

ع43-45: اتجه يسوع إلى منطقة الجليل فى الشمال، وتابع دعوة تلاميذه، حيث وجد فيلبس الذى من مدينة بيت صيدا، وفيها أيضا مسكن أندراوس وبطرس، ودعاه فتبعه. وفيلبس أخبر صديقه نَثَنَائيل إنهم وجدوا المسيح المنتظر، وهو ابن يوسف الذى من مدينة الناصرة. ويظهر من كلام فيلبس أن هدف الناموس والنبوات هو المسيا المنتظر. و نَثَنَائيل هذا هو الذى صار اسمه فيما بعد بَرْثولَماوُس، وهو من تلاميذ المسيح.

ع46: أما ما وقع فيه نَثَنَائيل من تسرّع فى الحكم، وإدانة شاملة لكل أهل الناصرة:

✝ *نتعلم منه ألا نحكم على أحد، فربما، دون أن ندرى، نقع فى إدانة قديسين، كما حكم نَثَنَائيل على المسيح نفسه.*

وكان اليهود يعلمون أن المسيح يأتى من بيت لحم، مدينة داود (مى 5: 2؛ مت 2: 5، 6؛ يو 7: 42)، وليس من ناصرة الجليل.

(6) إيمان نَثَنَائيل (ع 47-51):

47- ورأى يسوع نَثَنَائيل مقبلا إليه، فقال عنه: هوذا إسرائيلى حقا لا غش فيه." 48- قال له نَثَنَائيل: "من أين تعرفنى؟" أجاب يسوع وقال له: "قبل أن دعاك فيلبس، وأنت تحت التينة، رأيتك." 49- أجاب نَثَنَائيل وقال له: "يا معلم، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل." 50- أجاب يسوع وقال له: "هل آمنت لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت التينة؟ سوف ترى أعظم من هذا." 51- وقال له: "الحق الحق أقول لكم، من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان."

ع47-49: عندما رأى المسيح نَثَنَائيل، بادره بقوله إنه إسرائيلى، أى ليس من الأمم المنتشرين فى منطقة الجليل. فتعجب نَثَنَائيل، وسأله: "كيف عرفتنى؟" فأكمل يسوع كلامه أنه يعرفه منذ زمان بعيد، حين كان تحت شجرة التين. وهذه قصة سرية، لا يعرفها إلا نَثَنَائيل وأمه. فعندما أمر هيرودس بقتل الأطفال فى بيت لحم، الذين عمرهم أقل من سنتين، خافت أم نَثَنَائيل، وخبأت طفلها تحت شجرة تين، وظلت تراقبه من بعيد. وبحث الجنود فى كل المنطقة وقتلوا الأطفال، و لم يستدلوا على مكان نَثَنَائيل، وانصرفوا. ثم أخذته وربّته سرا بعيدا عن كل العيون،

حتى لا يُقتل. وبعدما كبر، أعلمته بقصة نجاته من الموت، وظل يحتفظ بها سرا داخله، حتى كشفها له المسيح عندما قابله. فتيقّن نَثَنَائيل أن يسوع هو المسيا المنتظر، العالم بالغيب، وأعلن أنه ابن الله وملك إسرائيل.

ولا يفوتنا التنويه إلى أن يسوع الطفل لم يكن فى بيت لحم فى ذلك الحين، بل فى طريقه إلى مصر مع أمه القديسة مريم ويوسف النجار.

ع50-51: أضاف يسوع لنَثَنَائيل أن إيمانه سيزداد، ليس لأنه رأى المسيح العالم بالغيب، بل لأمور أعظم سيراها فى تبعيته له، وهى إتمام الفداء على الصليب، وبهذا يصالح السمائيين مع الأرضيين، وتصعد الملائكة بصلوات المؤمنين إلى السماء من خلال المسيح الفادى، وينزلون من السماء ببركات كثيرة بالمسيح أيضا مخلّص العالم.



الأَصْحَاحُ الثَّانِى

عُرس قانا الجليل ، تطهـير الهيكل

η E η

(1) عُرس قانا الجليل (ع 1-11):

1- وفى اليوم الثالث، كان عُرس فى قانا الجليل، وكانت أم يسوع هناك. 2- ودُعِىَ أيضا يسوع وتلاميذه إلى العُرس. 3- ولما فرغت الخمر، قالت أم يسوع له: "ليس لهم خمر." 4- قال لها يسوع: "ما لى ولك يا امـرأة، لم تأت سـاعتى بعـد." 5- قالت أمـه للخدام: "مهما قال لكم فافعلوه." 6- وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك، حسب تطهير اليهود، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة. 7- قال لهم يسوع: "املأوا الأجران ماء." فملأوها إلى فوق. 8- ثم قال لهم: "اسـتقوا الآن، وقدموا إلى رئيس المتكأ." فقدموا. 9- فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحـول خمـرا، ولم يكن يعلم من أين هى، لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا، دعا رئيس المتكأ العريس. 10- وقال له: "كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولا، ومتى سكروا، فحينئذ الدون. أما أنت، فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن." 11- هذه بداية الآيات، فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه.

ع1-2: تقع بلدة قانا فى شمال فلسطين، بالقرب من منطقة الجليل، وتبعد عن الناصرة 15 كيلومترا شرقا. وبالرغم من عناء التعب والسفر، لم يتأخر السيد المسيح عن الذهاب والمجاملة. فالمشاركة إحدى صور المحبة، وخاصة تلك التى يُبذل فيها تعب، وإكراما للزواج الذى سيجعله من أسرار الكنيسة.

فبعد ثلاثة أيام من دعوة نَثَنائيل، دُعِيَت العذراء مريم، وكذا المسيح وتلاميذه، لحفل الزواج الذى فى مدينة قانا.

ع3-5: تظهر محبة العذراء وأمومتها، فى إحساسها باحتياج من حولها دون أن يطلبوا. فيبدو أن عدد الذين حضروا إلى العُرس كان أكثر جدا مما كان متوقعا، ففرغت الخمر المعدّة، وهى عصير العنب، المختمر طبيعيا، دون تقطير أو إضافة كحول، أى بفعل البكتريا فقط، وإذا صارت

قديمة، يظهر فيها طعم الخل، ولكن لا تصير مثل الخمر المسكرة التى تباع فى الأسواق الآن، والتى يَنْهَى عنها الكتاب المقدس.

وأسرعت العذراء، بحب، تطلب من المسيح إنقاذ أهل العُرس من هذا الحرج. ولم يكن فى تدبير الله بدء معجزاته وبشارته الآن، فقال لها: "**ما لى ولك يا امرأة؟**" أى أنت إنسانة، ولا تعرفى حكمة الله، والميعاد الذى حدده. ولكنه فى نفس الوقت أكرمها، لأنها أمه القديسة العذراء مريم، واستجاب لشفاعتها.

ويظهر إيمان العذراء فى أن المسيح يقبل شفاعتها، فى طلبها من الخدام أن يعملوا كل ما يأمرهم به.

✝ *أخى الحبيب، اطلب من الله كل ما تحتاجه مهما بدا صعبا، فهو يحبك... وتشفّع بالقديسين لعظم مكانتهم عنده، وخاصة العذراء مريم.*

ع6-11: كان فى البيت ستة أجران، أى أحواض كبيرة، يملأونها ماءً ليغتسلوا به فى التطهيرات اليهودية حسب الناموس، وكل جرن يسع حوالى 80 لترا. وقال المسيح للخدام أن يملأوها بالماء تماما، ثم أمر أن يقدموا لرئيس الحفل. فلما ذاق الماء المتحول إلى خمر، شعر أنه من النوع الجيد، فعاتب العريس لتقديمه الخمر الجيدة فى النهاية، والأقل جودة فى البداية، ولم يكن يعلم أن الخمر الثانية قد تحولت من الماء. وشعر الخدام، بل وكل الذين فى الحفل بعد ذلك، أنهم أمام معجزة عظيمة، فهى معجزة خلق، إذ خلق المسيح عصير عنب وكحولا لم يكونا موجودين. هذه أول معجزات المسيح، وتعتبرها الكنيسة أحد الأعياد السيدية الصغيرة، وتعيّد بها ثالث يوم عيد الغطاس.

(2) تطهير الهيكل (ع 12-18):

12- وبعد هذا، انحدر إلى كَفْرَنَاحُومَ هو وأمه وإخوته وتلاميذه، وأقاموا هناك أياما ليست كثيرة. 13- وكان فصح اليهود قريبا، فصعد يسوع إلى أورشليم. 14- ووجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما، والصيارف جلوسا. 15- فصنع سوطا من حبال، وطرد الجميع من الهيكل، الغنم والبقر، وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم. 16- وقال لباعة الحمام: "ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة." 17- فتذكر تلاميذه أنه مكتوب: غيرة بيتك أكلتنى. 18- فأجاب اليهود وقالوا له: "أية آية ترينا حتى تفعل هذا؟"

ع12: اتخذ السيد المسيح من كَفْرَنَاحُومَ قاعدة لإقامته وانطلاقه للخدمة من بعد الناصرة، وكانت مدينة هامة تقع على بحر الجليل شمالا.

"**إخوته**": تؤمن الكنيسة فى عقيدتها وتقليدها، أن القديسة العذراء مريم لم تنجب بالجسد سوى شخص الرب يسوع، مع احتفاظها ببكوريتها، ولم تعرف خطيبها يوسف جسديا مطلقا، مما يؤكد أن المسيح، بالجسد، لم يكن له إخوة من مريم. وهذا ما قاله حزقيال فى نبوته: "ثم يخرج وبعد خروجه يغلق الباب" (46: 12). أما إخوته، فهم أبناء الخالة، إذ أن التقليد فى الشام، حتى هذا الزمان، أن أبناء الخالة يلقبون بالإخوة.

ع13-17: كان فصح اليهود أهم أعيادهم الدينية. وكانوا يأتون من أنحاء العالم كله إلى أورشليم، حيث هيكل سليمان، لتقديم الذبائح، والاحتفال بهذا العيد العظيم. وهذا ما صنعه الرب يسوع نفسه. وعند دخوله الهيكل، يكشف لنا يوحنا ما رآه السيد وأحزن قلبه، بل أغضبه، وهو أن أروقة الهيكل تحولت إلى ما يشبه السوق، فهناك الموائد والحيوانات وكل تجارة، والصياح وكل ما يحدث فى الأسواق من جلبة، مما يتنافى مع كرامة بيت الله، وضياع هدف العبادة.

والنص هنا صريح، ويوضح حسم السيد المسيح، وغيرته على بيته وبيت أبيه، مما صنعه.

☩ *وهناك فرق بين الغضب المحموم الخاطئ، والذى يبرره كثيرون لأنفسهم، ويدينه الله، وبين الغيرة البارة والغضب المقدس على خطاياى، أو إنقاذ المظلومين، أو لأجل بيت الله وحقوقه.*

أخى الحبيب، ما أحوجنا الآن أيضا أن تكون لنا نفس الغيرة على الكنيسة، التى هى بيت الله والملائكة والقديسين. والله يغار على مجده وبيته جدا... ولعلنا نحن أيضا، أبناء الكنيسة، نعثر الآخرين بسلوكنا ومظهرنا الذى لا يتناسب مع كرامة بيت الله – السماء الأرضية – التى يقول عنها داود: "ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام" (مز 93: 5).

سؤال مخيف جدا نسأله لأنفسنا: ماذا لو جاء السيد الآن وافتقد كنيسته، كما افتقد هيكله؟!! هل كل ما يراه يرضيه؟ ... ابدأ بنفسك.

ع18: إلا أن اليهود والكهنة والتجار، لم يتقبلوا ما صنعه السيد. ولهذا، سألوه: "**أية آية ترينا**"... كما فعل موسى لفرعون ليثبت إرسال الله له؟ ومعناها: بأى سلطان تفعل هذا، فأنت لست من الخدام أو الكهنة، ولست صاحب عجائب أو معجزات، حتى نسمع لك.

✞*وهذا ما يتنافى، فى حياتنا، مع الخضوع لوصايا الله وأعماله. فمن أهم شروط الإيمان، كما أشرنا، هو التصديق بلا مطالب أو تأكيدات مادية.*

ونلاحظ أن السيد المسيح، فى مدة خدمته، حضر الفصح 4 مرات: هذه أولها. والثانية (ص 5: 1) حيث شفى مريض بيت حسدا. والثالثة (6: 4) حيث أشبع الجموع. والرابعة (ص 11: 55) حيث صُلب.

وقد طهّر الرب الهيكل مرتين: هذه المرة فى بداية خدمته، والمرة الثانية فى نهاية خدمته على الأرض قبل الصلب بأربعة أيام (مت 21: 12، 13؛ مر 11: 15-17؛ لو 19: 45، 46).

(3) المسيح ينبىء عن موته (ع 19-25):

19- أجاب يسوع وقال لهم: "انقضوا هذا الهيكل، وفى ثلاثة أيام أقيمه." 20- فقال اليهود: "فى ست وأربعين سنة بُنِىَ هذا الهيكل، أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه؟!" 21- وأما هو، فكان يقول عن هيكل جسده. 22- فلما قام من الأموات، تذكر تلاميذه أنه قال هذا، فآمنوا بالكتاب والكلام الذى قاله يسوع. 23- ولما كان فى أورشليم فى عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه، إذ رأوا الآيات التى صنع. 24- لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه، لأنه كان يعرف الجميع. 25- ولأنه لم يكن محتاجا أن يشهد أحد عن الإنسان، لأنه علم ما كان فى الإنسان.

ع19-22: عند طلب اليهود آية، فاجأهم السيد المسيح بما لم يتوقعوه، بأن يهدموا الهيكل وهو يقيمه فى ثلاثة أيام. ولأن ما قاله كان نبوة عن موته وقيامته، لم يفهموا، بل استنكروا ساخرين!! أما الستة وأربعون عاما، زمن بناء الهيكل، فلها قصة أخرى... بُنِىَ الهيكل أولا فى نفس الموقع، وبناه سليمان سنة 950ق.م. فى 7 سنين، وهدمه البابليون. ثم بناه زَرُبَّابَلُ سنة 515ق.م. ثم قام هيرودس بترميمه بدءا من سنة 16 ق.م. حتى عام 30م. وقت كرازة المسيح، وهى المدة التى قُصِدَ بها 46 سنة.

ولعل القارئ يربط بين ما قاله السيد هنا، وبين ما ذكر فى (مت 12: 39؛ لو 11: 29)، وذلك عندما طلب اليهود آية (معجزة) من السيد، فأجابهم أيضا إنه لن تُعْطَى لكم آية إلا آية يونان النبى، منبئا أيضا عن موته وقيامته بعد ثلاثة أيام... وبالطبع كان الكلام صعبا وغير مفهوم لليهود... ولكن، هكذا النبوات، فهى كثيرا ما تكون صعبة، وعند حدوثها يثبت صدقها

وصدق راويها؛ وهذا ما يؤكده النص أن التلاميذ فهموا، وتحقق إيمانهم بعد قيامة السيد من الأموات.

ع23-25: بالرغم من إيمان الكثيرين نتيجة المعجزات التى صنعها السيد، ولا نعرف عددها (راجع ص 21: 25)، ولكن المسيح لم يأتمنهم على نفسه. وهذامعناه أنه عرف ما فى قلوب من حوله... فهو يعرف أن هذا ليس إيمانا ثابتا، بل إيمان يقوده الانبهار، وهو إيمان وقتى سطحى لا يدوم. وتعبير "**لأنه علم ما كان فى الإنسان**"، إشارة قوية للاهوته' وهو ما أكده أيضا فى قدرته على إقامة جسده بعد الموت.

✞ *فيا تُرَى أيها الحبيب، أى نوع من الإيمان لدينا مما ذُكِرَ فى (مت 3: 23؛ مر 4: 2-20)؟ هل هو إيمان راسخ عامل فى قلوبنا بالروح القدس، أم هو إيمان نظرى يظهر فى أوقات الراحة ويختفى عند الصليب؟*

والكنيسة تعلمنا ألا نفرح وننخدع بالثمر الكثير والسريع، لعله إيمان يشبه إيمان اليهود، الذين سرعان ما انقلبوا صارخين: "اصلبه... اصلبه..." آمين، يا رب ثبتنا فى إيمانك المستقيم.



الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ

المعمــوديـــة ، الإيمان بالمسيح

η E η

(1) سر المعمودية (ع 1-8):

1- كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود. 2- هذا جاء إلى يسوع ليلا وقال له: "يا معلم، نعلم أنك قد أتيت من الله معلما، لأنْ ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات، التى أنت تعمل، إن لم يكن الله معه." 3- أجاب يسوع وقال له: "الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله." 4- قال له نيقوديموس: "كيف يمكن الإنسان أن يولد وهو شيخ، ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد؟" 5- أجاب يسوع: "الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من الماء والروح، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. 6- المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح. 7- لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق. 8- الريح تهب حيث تشاء وتَسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب؛ هكذا كل من ولد من الروح."

ع1-2: الفريسيون: جماعة من اليهود حافظوا على صورة التقوى، وتمسكوا بتنفيذ الوصايا وتقاليد الشيوخ بتدقيق. ومعنى لقبهم "المفرزون"، وتميزوا بالتباهى، وهم من أشد المقاومين للمسيح أثناء خدمته. وكان منهم نيقوديموس، الذى كانت له مكانة اجتماعية ودينية – رئيس لليهود – أى أنه عضو فى المجلس الأعلى لليهود، والذى يضم عظمائهم. ذهب ليلا للمسيح، وذلك لأمرين:

أولا: أن يتحرى بنفسه عن شخص المسيح، ولا يعتمد على ما سمعه.

ثانيا: ألا ينكشف أمره، فاختار الظلام لهذه الزيارة، فلابد أنه كان يخشى معرفة باقى الفريسيين بهذه الزيارة.

✠ *ولعلنا نتعلم من نيقوديموس أن نذهب بأنفسنا للرب المسيح، ونتحدث معه، وتكون لنا عِشرة مع الكتاب المقدس والأسرار، بدلا من أن نكتفى بالسماع عنه من الآخرين فقط.*

بدأ نيقوديموس حديثه مقدما احتراما لشخص المسيح، داعيا إياه معلما، وهو لفظ له دلالة خاصة عند اليهود. ولا يُطلَق على أى أحد. كذلك قدّم إيمانا، وإن كان إيمانه يحتاج لتأكيد. وهذا سبب الزيارة، كما سبق وأشرنا.

ع3: أجاب يسوع دون أن يسأل نيقوديموس، ومن إجابة المسيح، نفهم أن السؤال كان يتعلق بالخلاص وشرط دخول الملكوت. كذلك فى إجابة المسيح دون أن يُسأل، إعلان لنيقوديموس عن معرفة السيد لما بداخله، وهو إثبات للاهوته أيضا.

ع3-7: بدأ المسيح إجابته بتعبير استخدمه كثيرا، وهو: "**الحق الحق أقول لك (لكم)**"، وهذا التعبير يشير إلى صدق المتكلم وسلطانه وأهمية الموضوع.

أما خلاصة كلام المسيح، وتعليمه أن الخلاص ليس قاصرا على اليهود (ع16)، بل هو متاح للكل، ولكن شروطه:

(1) **الميلاد من فوق**: وهذا معناه ميلاد البنوة لله بالروح القدس، الذى يجعلنا أبناء للسماء، ونتغرب عن الشهوات الأرضية الشريرة.

(2) **الميلاد من الماء والروح**: وهو نفس الميلاد السماوى السابق، ولكن من خلال صورته المنظورة فى سر المعمودية المقدس. ولهذا، نرى حرص كنيستنا فى التعليم بأنه لا خلاص بدون الميلاد الروحى من مياه المعمودية المقدسة، وأن شرط الإيمان وحده لا يكفى.

ع4: نجد موقفا تكرر كثيرا، وأبرزه القديس يوحنا، وهو قصور العقل الإنسانى عن فهم القصد الإلهى. فنيقوديموس لم يفهم معنى الميلاد الثانى، ولم يتصور سوى الدخول مرة ثانية إلى بطن الأم. وقد حدث هذا أيضا، عندما تكلم السيد عن نقض الهيكل "جسده" (ص 2: 19)، وسيأتى أيضا فى حواره مع المرأة السامرية (ص 4: 7-14). ولكن مع هذا، لا يترك الله الإنسان إلا بشرح قصده له.

ع7: هناك فرق كبير بين من ينتسب للسماء بميلاده الجديد، ومن ينتسب للجسد.

✝ *فإن كنا قد أخذنا الطبيعة الجديدة الروحانية مجانا فى سر المعمودية، فهل نسلك كروحانيين، أم أن شهوات الجسد وميوله هى التى تقودنا؟*
أيها الحبيب، لقد أعطاك الروح القدس ما لا يستطيع الآخرون فهمه، فهل تُقدّر هذه العطية وهذه المسئولية؟ إنها دعوة لأن تفكر وتسأل: فى أمورى وعلاقاتى، هل أسلك كإنسان سماوى، أم يحكمنى، كالآخرين، قانون العالم ومادياته؟
*يلاحظ أيضا أن كلمة "**ينبغى**"، أعطت تأكيدا وإلزاما لكل المسيحيين بضرورة الولادة من فوق (المعمودية).*

ع8: "**الريح**": الكلام هنا عن الروح القدس وعمله السرى، فأنت لا تراه ماديا، ولكنك تدرك فعله وآثاره. فإذا رأينا شجرة تهتز بكل أوراقها وتنحنى، ندرك تعرضها للريح وتأثرها بها، دون أن نعلم مصدر الريح ولا إلى أين تذهب... هكذا الروح القدس، ندركه بآثاره على كل من أخذه وقبله فى مسحة الميرون، أو وضع الأيدى الرسولية (أع 19: 6). وبالتالى، هكذا كل من وُلد من الروح، أخذ منه القوة والحب والحكمة والصبر والاتضاع والبصيرة الروحية.

وتعطينا المعمودية أساسيات ثلاثة: الملكية لله وليس للشيطان، وأن نكون أقوى من الشيطان، وأن نصير ميالين للخير لا للشر.

(2) أهمية الإيمان وسموّه (ع 9-15):

9- أجاب نيقوديموس وقال له: "كيف يمكن أن يكون هذا؟" 10- أجاب يسوع وقال له: "أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا؟! 11- الحق الحق أقول لك، إننا إنما نتكلم بما نعلم، ونشهد بما رأينا، ولستم تقبلون شهادتنا. 12- إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟ 13- وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان، الذى هو فى السماء. 14- وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنســان. 15- لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية."

ع9-10: لم يزل الحوار مستمرا بين تعجب نيقوديموس، وبين عتاب المسيح الرقيق له؛ فكيف أنت يا معلم الناموس ومفسره، لا تدرك المعانى الروحية والقصد الإلهى؟ والمعنى المراد هنا أن المعرفة النظرية والحرفية، ليست هى قصد الله وفكره.

✠*وهكذا حال الكثيرين منا الآن، فنقرأ الكتاب المقدس، وقد نُعلّم به أيضا، ونحن لا ندرك الأبعاد الروحية لكلمة الله، والتى لا تُدرك إلا باتضاع الإنسان أمام إرشاد الروح القدس، وخضوعه له تحت إرشاد الكنيسة.*

ع11: يزيد السيد المسيح إلى كلامه لنيقوديموس، الذى لم يزل عاجزا عن الفهم، تأكيدا بأن كلامه وشهادته صادقين، وقد استخدم السيد المسيح صفة الجمع – الغير معتادة عند اليهود – عن نفسه، بقوله: "**إننا... نتكلم... نعلم...نشهد... شهادتنا**"، وهى إشارة واضحة لوحدانيته فى الثالوث الأقدس، هذا الثالوث وحده هو الذى يعلَم ويعلّم ويشهد لنفسه، وعدم قبول شهادته وتعليمه، هى جهالة العالم المادى الذى يرفض الله ذاته.

ع12: المعنى المباشر هنا هو: إن لم تقبلوا الأمور البسيطة، فكيف تدركون الحقائق الإيمانية الأكثر صعوبة؟

"**الأرضيات**": معناها هنا، هو الأمور الأرضية الروحية اللازمة للحياة على الأرض، مثل الميلاد الثانى الروحى – المعمودية – ومعناها أيضا أن المسيح استخدم تشبيها أرضيا لشرح المعنى الروحى، عندما ربط بين الريح الأرضية وعمل الروح القدس فى حياة المؤمن.

"**إن قلت لكم السماويات**": معناها أن هناك جزء أصعب على العقل، ولكنه من صميم الإيمان، ولابد من إعلانه والإيمان به، كعلاقته بالآب "أنا والآب واحد" (ص 10: 30)، وعن الفداء بموته، والقيامة من الأموات، والصعود والجلوس عن يمين الآب، وكلها أمور فوق مستوى الأرضيات أو المحسوسات المادية.

ع13-15: عندما اقترب حديث السيد المسيح مع نيقوديموس من النهاية، بدأ السيد فى إعلان ثلاث حقائق متتالية للاهوته:

الأولى: أنه هو الإله المتجسد، النازل من السماء والصاعد إلى السماء والكائن فى السماء فى نفس الوقت. وهذا معناه أنه فى زمن تجسد المسيح على الأرض، لم يترك السماء – بلاهوته غير المحدود – لحظة واحدة، فهو فى حالة تجسد وصعود دائمة كما يفيد تصريف كلمة "صعد" فى اللغة اليونانية، فهى ليست فى زمن الماضى كما تفيد اللغة العربية، ولكنها فى زمن المضارع التام كما فى اللغة الإنجليزية.

الثانية: وهى حتمية رفع ابن الإنسان على خشبة الصليب من أجل الفداء. وقد أشار السيد المسيح إلى ما صنعه موسى من رفع الحية النحاسية بحسب أمر الله (راجع عد 21: 8-9)، لإنقاذ كل من ينظر إليها من لدغ موت حيات البرية، لم يكن سوى رمزا للمسيح المعلق على خشبة الصليب، والذى، بموته، إنقاذ من الموت لكل من يؤمن به.

الثالثة: ارتباط الخلاص المجانى المقدم على الصليب بالإيمان، فالمسيح بفدائه فتح أبواب الحياة الأبدية لجميع الناس، ولكن بشرط الإيمان به.

☩ *فالخلاص صار هبة مجانية لا تتوقف على استحقاقى، بل على نعمة محبة الله لى، فقدم لِىَ الصليب والفداء كإنقاذ، والمعمودية كمدخل له، وأعطانى الحياة لأحيا وأتنعم بالوجود هنا معه، حتى أشهد له، وأجاهد من أجل هذا الخلاص الممنوح لى، لئلا أضيّعه... أعطنى يا رب أن أتمم هذا الخلاص بخوف ورعدة (فى 2: 12).*

(3) الإيمان بالمسيح المخلّص (ع 16-21):

16- لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. 17- لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم. 18- الذى يؤمن به لا يدان، والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. 19- وهذه هى الدينونة، إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة. 20- لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتى إلى النور لئلا توبَّخ أعماله. 21- وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور، لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة.

ع16-18: هذان العددان فى معناهما، تكرار لما سبقهما فى أن الإيمان بالمسيح هو الشرط الأساسى للخلاص، ولكنهما يضيفان بعدا روحيا جميلا، وهو أن تدبير الخلاص ليس له سبب سوى محبة الله غير الموصوفة والمحدودة للإنسان... محبة فوق استيعاب العقل... أن يبذل الآب ابنه الوحيد للموت من أجل خلاص وحياة العالم. وهذا التجسد والفداء لم يكن غرضه الدينونة أو استيفاء العدل الإلهى... فما كان أسهل أن يدين الله خليقته بكلمة واحدة، إنما الأصعب هو البذل والموت من أجل تبرير الخطاة فى دم المسيح... ولكن من رفض هذا الفداء وهذا الحب المقدم من الآب فى بذل ابنه الوحيد، استحق الدينونة.

✞*أيها الحبيب... إن ما يميز القديسين عنا هو إدراكهم العملى لهذا الحب غير الموصوف، فحب الله فوق مستوى العواطف البشرية المتقلبة، فهو ثابت وأبدى (إر 31: 3)، وكذا شبع للنفس والروح. ولما أدرك القديسون هذا النوع من الحب، تركوا كل شيئ من أجله، وهم الرابحون... فهل ندرك مثلهم هذا الحب العجيب؟ وهل يعّبر سلوكنا عن هذا الحب؟ نحن لا نحتاج أن نعرف أن الله أحبنا، بل أن ندخل معه فى شركة الحب اللانهائى...*

سؤال نطرحه أيها الحبيب لنا جميعا: ماذا تركنا من أجل حب المسيح كما ترك هؤلاء؟!

ع19-21: إن هذا الحب وهذا النور لم يقبله الكثيرون، مستوجبى الدينونة. ويقدم لنا القديس يوحنا سبب رفضهم لهذا النور، وهو أنهم أشرار، وكل من يفعل الشر والخطية يكره بالتالى النور الذى يكشف هذه الأفعال الشريرة ويوبخها.

إن سر ابتعاد الكثيرين هذه الأيام عن الله والكنيسة هو أنهم يعلمون أين الحق وأين المسيح، لكنهم يتجاهلونه بسبب حبهم للخطية... وذلك بعكس الإنسان الروحى الذى يجاهد فى الوصية الإلهية بالحب، فلا مكان له سوى المسيح، ويستمد القوة من الكنيسة، وتشهد أعماله بعمل الله فى حياته.

(4) معمودية التوبة (ع 22-24):

22- وبعد هذا، جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، ومكث معهم هناك، وكان يعمد. 23- وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم، لأنه كان هناك مياه كثيرة، وكانوا يأتون ويعتمدون. 24- لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى بعد فى السجن.

ع22: "**وبعد هذا**": جملة يستخدمها القديس يوحنا دائما لينقل القارئ من حديث لحديث آخر، أو من مكان لمكان آخر، أو من زمن لزمن آخر.

"**أرض اليهودية**": شرق جبال أورشليم على ضفاف الأردن، ومن المعروف أن الحديث السابق مع نيقوديموس كان فى أورشليم.

"**كان يعمّد**": معناها أن تلاميذه كانوا يعمّدون وليس هو (راجع ص 4: 2)، ولكن ما كان يفعله تلاميذه يُنسَب إلى معلمهم. ويجمع كل من القديس ذهبى الفم والقديس أغسطينوس على أن

معمودية التلاميذ لم تُحسَب معمودية سرائرية كتلك التى مارسها التلاميذ أيضا بعد حلول الروح القدس عليهم، بل تُعد الأولى شبيهة بمعمودية يوحنا فى أنها إعداد للتوبة فقط.

ع23: تكشف لنا هذه الآية عن انتقال يوحنا المعمدان من عبر الأردن إلى عين نون بالقرب من ساليم، بسبب وفرة المياه فى ذلك المكان الجديد عن عبر الأردن. ويُفهم ضمنا أن ازدياد أعداد التائبين دفع المعمدان للبحث عن مكان فيه المياه أكثر وفرة من مياه الأردن الضحلة، مما يؤكد أن المعمودية كانت بالتغطيس وليس الرش. أما عين نون وساليم، فلا يُستدل عليهما جغرافيا الآن، ولكن أجمع المفسرون أنهما يقعان غرب نهر الأردن بالقرب من أرض اليهودية التى مكث فيها المسيح مع تلاميذه.

ع24: يُفهم من هذه الآية أن هناك فترة خدم فيها المعمدان أثناء خدمة السيد المسيح، فالمعمدان هنا لم يُلق به فى السجن بعد. ونجد نيقوديموس فى (ع2) يشهد للمسيح بأنه يصنع آيات. وكان القديس يوحنا حريصا على أن يذكر هذا، لأن من يكتفى بقراءة البشائر الثلاثة الأخرى فقط، يعتقد أن خدمة المسيح لم تبدأ إلا بعد سجن المعمدان، ولكن الحقيقة أن ما بدأ بعد السجن، هو خدمة المسيح فى الجليل.

(5) المسيح فوق الجميع (ع 25-36):

25- وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير. 26- فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له: "يا معلم، هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن، الذى أنت قد شهدت له، هو يعمد، والجميع يأتون إليه." 27- أجاب يوحنا وقال: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أُعطِىَ من السماء. 28- أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح، بل إنى مرسل أمامه. 29- من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس، الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحا من أجل صوت العريس؛ إذًا فرحى هذا قد كمل. 30- ينبغى أن ذلك يزيد، وأنى أنا أنقص. 31- الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع، والذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم، الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع." 32- وما رآه وسمعه به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلها. 33- ومَن قَبِلَ شهادته، فقد ختم أن الله صادق. 34- لأن الذى أرسله، الله يتكلم بكلام الله، لأنه ليس بكيل يعطى الله

الروح. 35 – الآب يحب الابن، وقد دفع كل شىء فى يده. 36 – الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله.

ع25-26: فهم اليهود معموديتا يوحنا وتلاميذ المسيح على أنها إحدى صور التطهير والتوبة، وفى هذا لم يخطئوا بحسب فهمهم الذى لا زال مرتبطا بناموس العهد القديم، والذى كان يحوى شرائع للتطهير... ولكن المباحثة أو المجادلة كانت مقارنة بين معمودية تلاميذ المسيح الآخذة فى الازدياد، والتفاف اليهود حول المسيح، وبين معمودية يوحنا المعمدان وأتباعه، الآخذة فى النقصان من جهة أخرى. وفى هذه المباحثة، أغاظ اليهود تلاميذ يوحنا الذين ذهبوا بدورهم إلى يوحنا، عارضين عليه ما أثارهم فى أن الجميع يذهبون للمسيح عوضا عنه، طالبين من يوحنا الدفاع عن نفسه وعن معموديته الأسبق عن معمودية تلاميذ المسيح.

نسى تلاميذ يوحنا المعمدان شهادته الأولى فى عبر الأردن للسيد المسيح، وهو القائل بأنه غير مستحق أن يحل سيور حذائه (ص 1: 27)، وأنه ابن الله (ص 1: 34). فارتباطهم العاطفى، وتبعيتهم للمعمدان بمشاعرهم البشرية فقط، أوقعتهم فى الغيرة من انتشار كرازة المسيح.

✟ *ونحن هكذا نفعل فى بعض الأحيان، فحبنا لبعض الشخصيات وتعلقنا بها، قد يجعلنا نقع فى تحيز خاطئ لا يجعلنا نرى الحق، ونتبعهم فى كل شيئ حتى لو خالفنا المسيح ووصيته... أفلا نشارك تلاميذ المعمدان خطأهم حينذاك؟!*

ع27-30: فى هذه الأعداد، يرد المعمدان على غيرة تلاميذه الغاضبة بنوع من التعليم الهادئ، الواضح والصريح أيضا، ولخص المعمدان تعليمه فى النقاط الآتية:

(1) أنه لا يستطيع أن يأخذ شيئا أو يدّعى حقا لم تعطه له السماء (ع27).

(2) تذكير تلاميذه بما سبق وقاله بأنه السابق للمسيح لتهيئة الطريق والنفوس، وليس هو المسيح.

(3) شتان الفرق بين العريس صاحب الخليقة والعُرس، والذى له العروس (نفوس المؤمنين)، وبين صديق العريس الذى يكفيه، فخرا وافتخارا، أنه صديق ساهم فى إعداد العروس للعريس دون أن يدعى أن له نصيبا فيها، ولهذا يعتبر أن فرحه قد كمل (ع29)، لأن الكنيسة كنيسة المسيح.

(4) يؤكد المعمدان هذا الفرق، إذ يعلن أن الوضع الطبيعى "**أن ذلك**" (المسيح) وملكوته ينبغى أن يزيـــد لأنه وحـــده صاحب الكرامة، وأنه هو ينقص ويتوارى، حتى يقدم أيضا كل من معه

– تلاميذه – إلى المسيح صاحب العرس الحقيقى، وكأنه يقول: إذا أشرقت الشمس طغى نورها على كل المصابيح.

✝ *طوباك أيها المعمدان، يا من استحققت أن تكون أعظم نبى من مواليد النساء. طوباك فى اتضاعك ووضوح الأمور بداخلك، فلم تسرق مجد الله لحسابك، ولم تأخذ شيئا لم يُعْطَ لك. فليتنا نتعلم منك ألا نعتقد أننا أصحاب الكرامة، بل مجرد خدام وعبيد... ننسب كل مجد وكرامة للرب وحده، فيكمل فرحنا بمن خلّصنا كما كمل فرحك أنت.*

ع31: يستكمل المعمدان حديثه، موضحا الفرق بين السيد المسيح وأى مخلوق آخر حتى المعمدان نفسه. فأى إنسان هو أرضى، ومهما بلغ علمه ومعرفته فهى قاصرة لأنها أرضية، ولم تنكشف له السماء بكل أسرارها. ومهما تكلم، فإنه يتكلم بلغة الأرض القاصرة والناقصة عن فهم السماويات والتعبير عنها. هذا بخلاف المسيح الذى وحده "**من فوق**"، أى من الآب، وهذا سبب أنه "**فوق الجميع**"، لأن مصدره الآب وليس السماء فقط، وإلا كان أى ملاك مصدره السماء هو فوق الجميع أيضا.

ع32: المقصود أن المسيح يشهد بالحق الذى يعلمه ويعلنه. أما استخدام تعبير "**رآه وسمعه**"، فهو استخدام الروح القدس لتعبير بشرى حتى يقرّب المعنى، فالشهادة الحق التى يصدقها الإنسان، هى شهادة العَيان "بالرؤية والسمع"، وهى كناية عن صدق شهادة المسيح حتى لو لم يقبلها إنسان. وعبارة "**وشهادته ليس أحد يقبلها**"، هى نبوة عن رفض الكتبة والفرّيسيّين، والكثيرين من بعدهم، ومجلس السبعين والكهنة لتعليم وفداء المسيح.

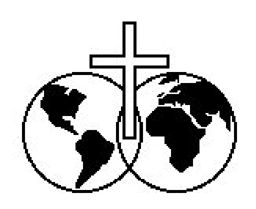
ع33-34: أى من قبل شهادة المسيح وصدقها، فقد آمن وأقر بأن الله صادق، لأن المسيح هو الله، ولأن المسيح هو كلمة الله والمُعْلِنُ للناس كلام أبيه، ولأنه من الله فلا يتكلم إلا بكلام أبيه... أما معنى "**ليس بكيل يعطى الله الروح**"، فهو أن الروح القدس أُعْطِىَ لكل الأنبياء بمقدار (مكيال) بحسب ما يحتمل السامع، وبحسب الظروف القائمة. أما بالنسبة للمسيح، فالروح القدس لا يُعْطَى بمكيال، بل إلى كل ملء الروح، لأن قياس ملء المسيح هو قياس الله ذاته، بمعنى آخر: لأن المسيح هو الله، فإنه لم يأخذ مقدارا من الروح القدس، فالروح القدس يملأه بالكمال

كما أن الروح القدس يمتلئ من حكمة الابن بالكمال، وهذا تمييز آخر يضيفه المعمدان فى شهادته عن المسيح فى اختلافه عن باقى الخليقة، إذ هو خالقها.

ع35: "**الآب يحب الابن**": سر جديد يكشفه لنا القديس يوحنا فى علاقة الثلاثة أقانيم، فالحب هو لغة الثالوث الأقدس...

كذلك توضح هذه الآية، بصورة غير مباشرة، لاهوت السيد المسيح وتثبته، فيقول الله: "مجدى لا أعطيه لآخر" (إش 42: 8). ولكن، أن يعطى كل المجد للابن "**دفع كل شىء فى يده**"، لأن الابن مساوٍ للآب فى الجوهر، وكل ما هو للآب هو للابن، وكل ما هو للابن هو للآب.

ع36: يختتم القديس يوحنا هذا الأصحاح بما يريد تأكيده، وتكلم عنه فى الأعداد (15، 16، 18)، فى أنه لا خلاص بدون الإيمان بالسيد المسيح، بل إن هذه الآية هى مفتاح وملخص الأصحاح كله.



الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ

الســامرية

η E η

(1) زيارة السامرة (ع 1-6):

1- فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يُصَيِّرُ ويعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا. 2- مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد، بل تلاميذه. 3- ترك اليهودية ومضى أيضا إلى الجليل. 4- وكان لابد له أن يجتاز السامرة. 5- فأتى إلى مدينة من السامرة، يقال لها سوخار، بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه. 6- وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر، جلس هكذا على البئر، وكان نحو الساعة السادسة.

السامرة:

انقسمت مملكة اليهود منذ أيام "رحبعام" بن سليمان إلى جزئين؛ شمالى: ويسمى إسرائيل أو السامرة، وجنوبى: ويسمى يهوذا أو اليهودية. وتقع السامرة شمالَىْ أراضى اليهودية وجنوبَىْ الجليل، فى مساحة ليست بقليلة (47 ميلا طولا و40 ميلا عرضا). وكانت العداوة بين اليهود والسامريين شديدة جدا، لأن يربعام، الذى قسّم المملكة وملك على إسرائيل (القسم الشمالى)، خاف أن يذهب الشعب إلى أورشليم، التى تقع فى المملكة الثانية (الجنوبية)، ولذا أقام تماثيل فى مدينتين من مدن مملكة إسرائيل ليقدموا الذبائح لها، وبهذا جعل شعبه يعبد الأوثان، فاحتقر يهود المملكة الجنوبية اليهود الساكنين فى المملكة الشمالية وقاطعوهم، وبالمثل فعل يهود المملكة الشمالية. وكان كثير من اليهود يتعرضون للقتل عند ذهابهم إلى جليل الأمم مرورا بأراضى السامرة.

تمهيد:

تعتبر الأعداد (1-6) مقدمة للأصحاح كله والذى يتحدث عن لقاء السيد المسيح مع المرأة السامرية... فيهتم القديس يوحنا بأن يوضح لنا ظروف وملابسات هذا اللقاء الهام جدا كما سنرى.

ع1-4: يوضح لنا أن سبب ترك الرب لأراضى اليهودية، هى المشاكل والمقارنات التى بدأ الفرّيسيّون فى إثارتها بين معمودية وأتباع يوحنا من جهة، ومعمودية وتلاميذ المسيح من جهة أخرى (ص 3).

✠ *ويعلمنا السيد المسيح هنا درسا روحيا، أن المناقشات التى لا طائل منها ينبغى على الإنسان أن يتجنبها، بل ويهرب منها، لئلا يضيع وقته وجهده، ويفقد سلامه بلا فائدة...*

"**لابد له أن يجتاز السامرة**": تحمل هذه العبارة معنيين، الأول بسيط: وهو المعنى الجغرافى أن السامرة فى طريقه إلى الجليل. أما المعنى الأعمق فهو روحى: أى "تعب" الله فى خلاص المرأة السامرية، فلهذا كان لابد أن يجتاز السامرة حتى يتقابل معها ويحدثها.

✠ *ما أعجب تدبيرك يا رب من أجل خلاص نفسى!*

ع5-6: "**سوخار**": بلدة قريبة من شَكِيمَ الأكثر شهرة، وكان بها بئرا حفرها يعقوب ليسقى أغنامه، ويؤكد ملكيته لهذه الأراضى إذ حملت البئر اسمه، وقد وهب يعقوب هذا المكان ليوسف تمييزا عن باقى إخوته (راجع تك 48: 22)، وهذا يؤكد أيضا نسب السامريين إلى أبيهم يعقوب.

"**تعب من السفر**": وقف كل آباء الكنيسة المفسرين عند هذه الآية وقفات تأملية، فها هو الإله أخذ جسدنا وعاش حياتنا، وتعب من أجلنا لكى يقدم لنا الخلاص... اختبر الألم والتعب كإنسان، حتى لا يكون لنا عذر فى ألا نتعب نحن أيضا فى خدمة الآخرين، فالمسافة التى قطعها منذ تحركه من اليهودية حتى هذه البلدة 40 ميلا (الميل = 1609,35 مترا)، أى حوالى 64 كيلومترا، محتملا مشقة السير فى الحر من أجل خلاص نفس واحدة!

ومن المقابلات الرائعة بين ما تشير إليه هذه القصة وبين أحداث الصليب، هو ما نراه من العطش والتعب والساعة السادسة، والهدف هو الخلاص، سواء للسامرية أو للعالم أجمع، وفى كلتا القصتين تركه التلاميذ وحده (ع8).

فيا تُرَى، هل هى مصادفة، أم إشارة نبوية واضحة، كمقدمة لأحداث الصليب؟ ولا نغفل أيضا أن الساعة السادسة هنا تشير إلى حال المرأة السامرية، إذ أنها، بسبب خطيئتها وسوء سمعتها،

خرجت لتستقى فى وقت يندر فيه وجود غيرها من النساء معها، حتى تتجنب تعييراهن ونظراهن إليها... أما المسيح فيحبها ويسعى إليها!

(2) اللقاء بالمرأة السامرية (ع 7-15):

7- فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماءً، فقال لها يسوع: "أعطينى لأشرب." 8- لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما. 9- فقالت له المرأة السامرية: "كيف تطلب منى لتشرب، وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية؟" لأن اليهود لا يعاملون السامريين. 10- أجاب يسوع وقال لها: "لو كنت تعلمين عطية الله، ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبت أنت منه فأعطاك ماءً حيا." 11- قالت له المرأة: "يا سيد، لا دلو لك والبئر عميقة، فمن أين لك الماء الحى. 12- ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر، وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟" 13- أجاب يسوع وقال لها: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. 14- ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه يَصِيرُ فيه ينبوع مـــاء ينبع إلى حـــياة أبدية." 15- قالت له المرأة: "يا سيد، أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش، ولا آتى إلى هنا لاستقى."

ع7-9: إذ كان فى ترتيب الله السابق ومعرفته لقاؤه بالمرأة السامرية، فقد أرسل تلاميذه كلهم ليبتاعوا طعاما، حتى يتسنى له لقاء المرأة السامرية منفردا، ليعلّمنا أنه، بجانب خدمة التعليم والوعظ للجموع، فالاهتمام بالعمل الفردى والنفس الواحدة لا يقل فى الأهمية عن العمل الجماهيرى، وحتى لا يخجلها عند اعترافها بخطاياها، كما يحدث الآن فى سر الاعتراف.

طلب المسيح من السامرية ماء ليشرب رغم أنه "ينبوع المياه الحية" (إر 2: 13، 17: 13)، وهو "ينبوع ماء الحياة" (رؤ 21: 6)، وكان جالسا عند البئر كأنه محتاج للماء؛ كل هذا ليدخل بالاتضاع إلى قلبها.

☩ *الاتضاع يسهّل لك كسب قلوب الآخرين وتوصيل كلمة الله لهم.*

أما إجابة المرأة السامرية فتذكرنا بحديث السيد مع نيقوديموس (ص 3)، فالإنسان يتحدث عن الماديات الملموســة، والمسيح يتحدث عن بعد روحى أعمق... فما قالته المرأة السامرية كان محصورا فى العداوة القائمة بين اليهود والسامريين، وكان رفضها بأسلوب استنكارى لتخفى أو تتناسى خطيتها.

ع10-14: **"لو كنت تعلمين عطية الله"**: يخاطب المسيح هنا السامرية وكل نفس، فهو الذى يريد، ويبدأ الحديث معها فى حوار.

✝ *ونحن للأسف لا ندرك أبعاد هذه العطية العظيمة، وإلا ما كان هذا حالنا. فنحن لا زلنا نبحث عن ماء العالم ومادياته وشهواته، بالرغم من إدراكنا بأنه لا شبع ولا ارتواء منه، متناسين مصدر الغنى الحقيقى الذى يسد كل عطش واحتياج مادى ونفسى وروحى، إنه الله الحقيقى الذى يريد أن يعطيك كل شيئ... ومن يقبل عطية الله يرتفع فوق كل العالم، ولن يعطش إلى الأبد.*
إن عطية الله لا تجعل الإنسان مكتفيا به فقط، بل يصير نبعا يروى احتياجات الآخرين، كقناة تحمل تيار ماء نهر عظيم، فترتوى هى أولا، ويستقى منها كل عطشان... وهذا هو مصدر غنى الإنسان الروحى الذى رأيناه فى كل القديسين الأوّلين والمعاصرين... والأعجب أن هذا التيار الإلهى الذى يعطيه الله – وهو سكنى الروح القدسى فى الإنسان – لا يفارقه أبدا حتى الحياة الأبدية.

أما المرأة السامرية، فما زالت لا تستوعب حديث السيد، فتارة تتعجب من أين له هذا الماء وهو لا يملك دلوا (ع11)، وتارة أخرى تريد هذا الماء بصورته المادية، حتى لا تعود وتأتى لهذا البئر متحملة عناء الطريق، بل وصلت بها الحال إلى أن تستهزئ به، لأنه ليس بالطبع أفضل من يعقوب وبنيه الذين شربوا منها، فكيف يحصل على ماء أفضل من هذه البئر؟!

ع15: وهى بهذا تعود بنا مرة أخرى إلى ما بدأنا به، وهو طبيعة الإنسان البشرى الذى لا يدرك عطية الله بسكنى وفيض الروح القدس.

(3) المسيح يعلن عن ذاته للمرأة السامرية (ع 16-26):

16– قال لها يسوع: "اذهبى وادعى زوجك، وتعالى إلى ههنا." 17– أجابت المرأة وقالت: "ليس لى زوج." قال لها يسوع: "حسنا قلت ليس لى زوج. 18– لأنه كان لك خمسة أزواج، والذى لك الآن ليس هو زوجك، هذا قلت بالصدق." 19– قالت له المرأة: "يا سيد، أرى أنك نبى. 20– آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يُسجد فيه." 21– قال لها يسوع: "يا امرأة، صدقينى إنه تأتى ساعة، لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب. 22– أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود. 23– ولكن تأتى ساعة، وهى الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طَالِبٌ مثل هؤلاء الساجدين له. 24– الله روح، والذين يسجدون له،

فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا." 25- قالت له المرأة: "أنا أعلم أن مَسيًّا، الذى يقال له المسيح، يأتى. فمتى جاء ذاك، يخبرنا بكل شيء." 26- قال لها يسوع: "أنا الذى أكلمك هو."

ع16-19: بعد أن تكلم السيد المسيح عن الروحيات بأسلوب خفى أعدها فيه لطلب الماء الحى، أفصح عن نفسه بصورة مباشرة، ولكن بالقدر الذى تتحمله، فطلب منها إحضار زوجها إن كانت ترغب فعلا فى هذا الماء الحى، فأجابت المرأة بنصف الحقيقة أن ليس لها زوج شرعى، خافية بذلك خطيتها فى معاشرتها لرجل بدون زواج. إلا أن المفاجأة التى أذهلها بها المسيح، فى إعلانه عن معرفة كل ماضيها، بل والحاضر الذى تعيشه أيضا، هز وجدانها، فجاء ردها الذى يمثل شرارة إيمانها الأولى، ناطقة: "**يا سيد**"، بعد أن كانت ترفض التحدث معه أولا لأنه يهودى، ثم شهدت أيضا أنه "**نبى**"، بعد أن كانت تسخر وتقول: "**ألعلك أعظم من أبينا يعقوب؟**"

✠ *أيها العزيز... فى الحديث فى السابق نرى لمحة لعلنا نتعلمها من شخص إلهنا الحبيب، وهى رقته العجيبة فى اقتحام هذه النفس الخاطئة، فهو العالم بحالها وخطيئتها، ولكن انظر إليه وهو يمدحها مرتين، مرة قبل أن يعلن معرفته بخطيتها، ومرة أخرى بعد أن أعلن هذه المعرفة، فيبدأ كلامه بعبارة: "**حسنا قلت**"، وينهى كلامه بعبارة: "**هذا قلت بالصدق**". ومع هذه الرقة، لم يتهاون فى إعلان الحق حتى تتوب هذه المرأة عن خطيتها... ليتنا نتعلم جميعا هذا الأسلوب، فالله لم يدنها وهو الدّيان، بل كشف عن الخطأ من أجل توبتها وليس هلاكها.*

فهل نتعامل مع الخطاة بهذه الرقة، مع الفارق أننا خطاة وتحت الحكم؟ فلنأخذ هذا التدريب لحياتنا: أن نمدح شعاع النور الباهت فى كل إنسان قبل توجيهه.

ع20-24: عندما أدركت السامرية أن الرب ليس شخصا عاديا – نبيا – تحول حديثها لوجهة أخرى، إذ شغلها الخلاف الدينى بين اليهود والسامريين، وادعاء كل طرف صحة إيمانه، وكأنها، بعد إدراكها لشخصه المميز، نست قصة المياه والبئر واهتمت بخلاص نفسها. ولما وجد الرب أن المرأة صارت مهيأة، بدأ يحدثها عن السجود الحقيقى ومفهومه الذى لا يرتبط بالمكان بل بالطريقة، فالله لا يقبل سجود الجسد دون الروح.

"**بالروح والحق ينبغى أن يسجدوا**": تعنى السجود بالانسحاق والإحساس بحضرة الله. أما السجود الجسدى والعددى فقط لا يقبله الله، بل ينخدع به الإنسان فى ممارساته الروحية. وبالرغم من هذا الإفصاح الروحى عن السجود لله فى كل مكان، لم يغفل السيد أن يوضح أن الإيمان

اليهودى فى جوهره هو الإيمان السليم وليس إيمان السامريين، وأن الخلاص المنتظر مصدره اليهود (ع22).

"تأتى ساعة، وهى الآن": إشارة واضحة إلى ظهور المسيا المنتظر، وانتهاء العبادتين اليهودية والسامرية، والانتقال للسجود الروحى الحقيقى.

يلاحظ أيضا أن السيد المسيح صحح شكل وأسلوب السجود دون أن يلغيه، فالسجود واجب لله، فهو تقدمة حب واحترام وانسحاق وشعور قلبى يعكس إحساس الإنسان بالوجود فى حضرة الله الحقيقية. والكنيسة تعلم أبناءها السجود، سواء فى العبادات الجماهيرية كالقداس الإلهى، أو على المستوى الشخصى والفردى للإنسان فى صلواته اليومية.

ع25-26: استمرت المرأة فى حديثها الروحى، وأشارت إلى المسيح الآتى والعالِم بكل الأمور. وإذ وصلـــت إلى هـــذه المرحلة التى تحمل فيها رجاءها بانتظار المخلّص – رجاء اليهود والسامريين – أجابها المسيح معلنا عن ذاته، وكاشفا عن نفسه: **"أنا... هو"**.

✝ *إن شخص المسيح هو الوحيد الذى يستطيع أن يذيب الفوارق والنزاعات والعداوة، ويصير فيه الجميع واحدا... فكثير من المشاكل والخلافات، وخاصة الزوجية، لا نجد لها حلا لإصرار الطرفين على إبعاد المسيح عن حياتهما. أما إذا دخل، فلن تكون هناك سامرة أو يهودية، بل اتضاع وانسحاق وإحساس بحضرة الرب وطاعة وصيته... ليتك أيها الرب الحبيب تكون داخل كل بيت.*

(4) السامرية تبشر بالمسيح (ع 27-30):

27– وعند ذلك جاء تلاميذه، وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة. ولكن لم يقل أحد ماذا تطلب، أو لماذا تتكلم معها. 28– فتركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة، وقالت للناس: 29– "هلموا، انظروا إنسانا قال لى كل ما فعلت؛ ألعل هذا هو المسيح؟" 30– فخرجوا من المدينة وأتوا إليه.

ع27: لماذا تعجب التلاميذ؟ لأن التعليم اليهودى كان يمنع أن يتحدث الرجل مع امرأة فى مكان عام، حتى ولو كانت زوجته، ولم يفهموا اهتمام المسيح بالتبشير والخلاص.

"**لم يقل أحد**": دلالة واضحة على احترام التلاميذ لمعلمهم، وهى من الآداب المسيحية التى ذكرها السيد: "ليس التلميذ أفضل من المعلم" (مت 10: 24)؛ "ليس التلميذ أفضل من معلمه، بل كل من صار كاملا يكون مثل معلمه" (لو 6: 40).

☩*وهذه الروح تسلمتها كنيستنا فيما يسمى بحياة التلمذة... وهى تتطلب اتضاعا قلبيا حقيقيا أمام معلمى الكنيسة من كهنة وخدام...*

ع28-30: آمنت السامرية، وعبّرت عن إيمانها إيجابيا بالانطلاق إلى قريتها لتكرز به، وكلمة "**ألعل**" هنا لا تحمل شكا فى إيمانها، بل تحفيزا للناس أن يخرجوا ويتأكدوا بأنفسهم.

"**تركت المرأة جرتها**": لها معنى روحى جميل، وهو أن النفس التى تحب المسيح لا تملك إلا إبلاغ الآخرين عنه، حتى لو تركت اهتماماتها المختلفة التى تعيق مسيرتها عن خدمة الله، مثل محبة المال والمنصب...

(5) أهمية الخدمة (ع 31-38):

31- وفى أثناء ذلك، سأله تلاميذه قائلين: "يا معلم، كُلْ." 32- فقال لهم: "أنا لى طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم." 33- فقال التلاميذ بعضهم لبعض: "ألعل أحدا أتاه بشىء ليأكل." 34- قال لهم يسوع: "طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى، وأتمم عمله. 35- أما تقولون إنه يكون أربعة أشهر ثم يأتى الحصاد؟ ها أنا أقول لكم: ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول، إنها قد ابيضت للحصاد. 36- والحاصد يأخذ أجرة، ويجمع ثمرا للحياة الأبدية، لكى يفرح الزارع والحاصد معا. 37- لأنه فى هذا يصدق القول أن واحدا يزرع وآخر يحصد. 38- أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه، آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم."

ع31-33: حوار حول الطعام، أخذ فيه التلاميذ موقف المرأة السامرية السابق، فالسيد المسيح يتكلم عن طعام روحى "**لستم تعرفونه**"، أما هم، فاعتقدوا أنه أكل بصورة ما... وهذا ليس معناه أن المسيح لم يكن محتاجا لطعام وهو إنسان كامل مثلنا، بل هو اختلاف فى الأولويات، فالجوع والعطش لخلاص النفس البشرية له الأولوية.

ع34-35: بالرغم من الإعياء بعد طول السفر، واحتياجه الجسدى للماء والطعام، إلا أن إتمام مشيئة أبيه فى دعوة الإنسان للخلاص، وإكمال عمله بالفداء على عود الصليب، اعتبره السيد

المسيح هو طعامه الحقيقى، بل هو شهوة قلبه، مقدما دليلا جديدا على حبه واشتياقه لخلاص النفس البشرية.

ثم انتقل المسيح إلى مشهد حقيقى عندما قال: "**ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول**"... فبالرغم من أن موسم الحصاد بعد أربعة أشهر، فهناك حصاد من نوع آخر، إذ خرج كل أهالى السامرة من قرية سوخار بملابسهم البيضاء فى جماعات كبيرة بعد بشارة المرأة، فامتلأت الحقول بهم، فاعتبرهم السيد المسيح حصادا روحيا جاهزا للحصاد بمنجل الإيمان.

ع36-38: الله ليس بظالم حتى ينسى تعب إنسان، فكل من يجمع نفوسا لملكوت الله، يأخذ أجرا أرضيا وسمائيا بالفرح، ومشاركة كل من سبقوه. والمسيح، فى أمانته، يذكر تعب كل من سبق فى إعداد هذا الزرع للحصاد، وإن كان هو الزارع الحقيقى المنمى لكلمته.

إلا أنه يشير هنا إلى أنبياء العهد القديم فى تعبهم وإعدادهم للشعب طوال أربعة آلاف عام، وهو درس للتلاميذ أيضا، يحفظ لهم اتضاعهم فى أن ما سوف يجنوه من ثمر فى الكرازة، هو نتيجة لتعب آخرين، والحق يقال هنا أنه فى حقل الخدمة، لا يمكن الفصل بين الزارع والحاصد، فمن يحصد الآن لتعب من سبقه فى الزرع، هو أيضا يزرع لحاصد آخر بعده، وهذا ما قصده السيد فى (ع37) مستخدما أحد الأمثلة اليهودية المعروفة، أنه ليس بالضرورة للخادم أن يرى ثمار خدمته، فالمسيح نفسه، بالرغم من كمال تعبه وفدائه، إلا أن ثمار المسيحية أتت بعد صعوده إلى السماء.

☩ *أيها الحبيب... ألا يغريك هذا على أن تشترك فى هذه الأفراح... أفراح تعب الخدمة... أفراح الحصاد... أفراح دعوة الآخرين لملكوت الله، فتكون زارعا وحاصدا لك أجرة سمائية؟ طوباك إن فعلت.*

(6) إيمان أهل السامرة (ع 39-42):

39- فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين، بسبب كلام المرأة التى كانت تشهد أنه قال لى كل ما فعلت. 40- فلما جاء إليه السامريون، سألوه أن يمكث عندهم، فمكث هناك يومين. 41- فآمن به أكثر جدا بسبب كلامه. 42- وقالوا للمرأة: "إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا، ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم.

توضح هذه الأعداد كيف آمن السامريون كنموذج لكل من يؤمن. فأولا يحتاج الإنسان لمن يحدثه ويشهد له عن المسيح، وهو عمل الخادم الذى تمثله المرأة السامرية، ثم يكون الاتصال المباشر بين الإنسان والمسيح فى كنيسته، فيأخذ بنفسه وينمو إيمانه، ليس من خلال شهادة الآخرين أو اختباراتهم، بل من خلال حياته وخبراته السرية وممارساته الروحية والسرائرية (الكنيسة).

يلاحظ هنا أن المسيح لم يرفض دعوة السامريين فى أن يمكث عندهم، مهما كان سوء حالهم الروحى أو انحراف عبادتهم، وبالتالى، فهو لا يرفض بالأولى دعوة أى ابن من أبنائه، إذ ينتظر على الباب قارعا...

✥ *فهيا أيها الحبيب... قم وافتح قلبك لكلامه، وفمك لجسده ودمه، وسيأتى ويمكث ولن يتركك ما لم تتركه أنت.*

ونرى أن الإيمان نشأ وقوى خلال يومين فقط، فعمق الإيمان لا يحتاج مدة، بل رغبة وجهاد.

(7) بداية خدمة المسيح فى الجليل (ع 43-54):

43- وبعد اليومين، خرج من هناك ومضى إلى الجليل. 44- لأن يسوع نفسه شهد أنْ ليس لنبى كرامة فى وطنه. 45- فلما جاء إلى الجليل، قَبِلَهُ الجليليون، إذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل فى أورشليم فى العيد، لأنهم هم أيضا جاءوا إلى العيد. 46- فجاء يسوع أيضا إلى قانا الجليل، حيث صنع الماء خمرا. وكان خادم للملك ابنه مريض فى كَفَرْنَاحُومَ. 47- هذا، إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل، انطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفى ابنه لأنه كان مشرفا على الموت. 48- فقال له يسوع: "لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب." 49- قال له خادم الملك: "يا سيد، انزل قبل أن يموت ابنى." 50- قال له يسوع: "اذهب، ابنك حى." فآمن الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع، وذهب. 51- وفيما هو نازل، استقبله عبيده وأخبروه قائلين: "إن ابنك حى." 52- فاستخبرهم عن الساعة التى فيها أخذ يتعافى. فقالوا له: "أمس فى الساعة السابعة، تركته الحمى." 53- ففهم الأب أنه فى تلك الساعة التى قال له فيها يسوع إن ابنك حى، فآمن هو وبيته كله. 54- هذه أيضا آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية إلى الجليل.

ع43-45: فى استكماله الرحلة إلى الجليل – بعد توقفه فى السامرة – لم يمكث الرب فى الناصرة، مكان نشأته الأولى، التى لم تؤمن به و لم تقبل كرازته. ولأن هذا التصرف من الرب قد

يثير التساؤل، أشار القديس يوحنا لسبب عدم دخول المسيح إليها بقوله نفسه عنها: "**أنْ ليس لنبى كرامة فى وطنه**". أما الجليليون، فقد قبلوا المسيح ورحبوا به، إذ قد رأوه أثناء زيارتهم لأورشليم وقت العيد، وتناقلوا الأحاديث عنه...

ع46-49: "خادم للملك": الملك هنا هو هيرودس أنتيباس، وهو الحاكم المسئول عن هذه المنطقة (الجليل)، وكان اليهود يدعونه ملكا. والمسافة التى قطعها هذا الخادم من كَفْرَنَاحُومَ حتى الجليل حوالى 25 كيلومترا، وهذا يوضح شدة تعلقه بشفاء ابنه وطَرْقِ كل الأبواب الممكنة...

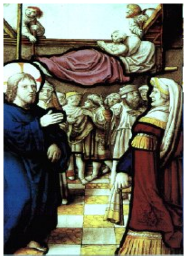
✢ *أما إجابة السيد المسيح (ع48) فتستحق منا التفكير والتأمل، فهو يوجه فكرنا إلى الإيمان الحقيقى الذى لا يتطلب معجزات لإثباته، إذ هو راسخ وأعمق من عمل المعجزات أو العجائب، ولا يحتاج لأدلة مادية لبرهنته.*

ع50: ومع هذا، لم يخيّب المسيح رجاء الرجل، فهو القائل: "من يُقبل إلىّ لا أخرجه خارجا" (ص 6: 37)، فجاءت إجابته تحمل كل السلطان الإلهى فى الشفاء، وحتى الإقامة من الموت، وأمن الرجل بقوة كلمة المسيح، و لم يصر على اصطحابه إلى كَفْرَنَاحُومَ.

ع51-54: يعلن هنا أتمام المعجزة، وإبراز أن ساعة شفاء الابن تقابل ساعة حديث الرجل مع المسيح.

"**آية ثانية**": إشارة إلى أن الآية الأولى كانت فى عُرس قانا الجليل.

✢ *لعلنا أيها القارئ العزيز نجد أن الإيمان هو محور المعجزة السابقة، فإيمان الرجل ورجاؤه هما اللذان دفعاه أولا إلى السير 25 كيلومترا لمقابلة المسيح، وطلبه من السيد شفاء ابنه، واثقا فى قدرته على ذلك، فحصل على شفاء غلامه.*



الأَصْحَاحُ الخَامِسُ

مريض بيت حسدا ، سلطان المسيح

η E η

(1) بركة بيت حسدا (ع 1-4):

1- وبعد هذا كان عيد لليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم. 2- وفى أورشليم، عند باب الضأن، بركة يقال لها بالعبرانية "بيت حسدا" لها خمس أروقة. 3- فى هذه كان مضطجعا جمهور كثير من مرضى وعمى وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء. 4- لأن ملاكا كان ينزل أحيانا فى البركة ويحرك الماء، فمن نزل أولا بعد تحريك الماء، كان يبرأ من أى مرض اعتراه.

ع1: "**وبعد هذا**": أى بعد معجزة شفاء ابن خادم الملك، صعد المسيح إلى أورشليم فى عيد الفصح للمرة الثانية. ولم يذكر نوع العيد، لأن تركيزه كان على خدمة النفوس والتبشير، ولم يأت بعد الوقت ليحضر الفصح الذى سيقدم فيه نفسه على الصليب.

ع2-4: "**باب الضأن**": أقرب أبواب المدينة للهيكل. وسمى بهذا الاسم، لأنهم كانوا يأتون منه بغنم الذبيحة.

"**بيت حسدا**": بركة أبعادها حوالى مائة متر طولا، وعرضها تراوح بين 50-70 مترا، وعلى جوانبها صفوف من الأعمدة قسمتها لخمس ساحات انتظار، وبنيت هذه الأروقة لاستقبال الزائرين بغرض الشفاء. أما اسم "**بيت حسدا**"، فمعناه: بيت الرحمة، وكان يأتى إليها المرضى بكل أنواع المرض المزمن، لنوال الشفاء متى تحرك الماء الراكد بفعل أحد الملائكة. وكلمة "**عسم**"، معناها: يابسى المفاصل.

ويظهر فى هذه المعجزة الفرق بين بركة العهد القديم، فهى مؤقتة وليست دائمة، ولشفاء الأجساد بالنزول فيها. أما فى العهد الجديد، فشفاء دائم للروح والجسد، كما يحدث فى سر المعمودية.

(2) شفاء مريض بيت حسدا (ع 5: 9):

5- وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة. 6- هذا رآه يسوع مضطجعا، وعلم أن له زمانا كثيرا، فقال له: "أتريد أن تبرأ؟" 7- أجابه المريض: "يا سيد، ليس لى إنسان يلقينى فى البركة متى تــحرك الماء. بل بينما أنا آت، ينزل قدامى آخر." 8- قال له يسوع: "قم احمل سريرك وامش." 9- فحالا برئ الإنسان، وحمل سريره ومشى، وكان فى ذلك اليوم سبت.

ع5-8: الغرض من ذكر هذه المعجزة، ليس شفاء المقعد فى حد ذاته، ولكن إبراز سلطان المسيح الفائق. ولهذا، ذكر القديس يوحنا زمن المرض الطويل، وحالة اليأس المرة التى يمر بها المريض، ليبرز بذلك افتقاد الله للإنسان بمراحمه.

ويظهر فى هذه المعجزة:

(1) أن المسيح هو الذى رآه وبدأ الحديث معه، فالله هو المفتقد والباحث عن كل نفس فى تعب أو ضيق، ولا ينسى أحد.

(2) مع أن المسيح هو البادئ، وهو يريد الخلاص لكل أحد، لكن نعمة الخلاص تقتضى أيضا إرادة الإنسان فى خلاص نفسه. ولهذا، سأله المسيح هذا السؤال الذى يبدو غريبا لإنسان مريض: "أتريد أن تبرأ؟"

(3) رحمة الله وقدرته غير المحدودة التى تحطم كل يأس. فرغم أن المريض له مدة 38 سنة مقعدا، أمره أن يقوم ويمشى، فبرئ فى الحال.

ع9: كلمة: "**حالا**"، تفيد قوة المعجزة، وسلطان السيد المسيح على المرض. أما أن يحمل الإنسان سريره، ويستطيع السير بعد هذه السنوات الطويلة من الرقاد، فهو أمر يفوق التصور العقلى، أن تشتد هذه العضلات المرتخية فجأة، وبدون علاجات مكملة، فلا يترك للمشاهد مجالا سوى أن هذه هى يد الله.

✝ *إلهى الحبيب، سعيتَ نحو المريض الراقد، وأنا لازلت مربوطا بخطاياى... أريد الإبراء، ولكن الإرادة ضعيفة... فتعال أيها الحبيب، وقل كلمة تشدد عزيمتى، وتجعلنى أقوم طارحا كل سنوات الكسل والضعف خلفى، تاركا يأسى، متمسكا برجائى فيك.*

(3) التعرف على المسيح (ع 10-15):

10– فقال اليهود للذى شفى: "إنه سبت، لا يحل لك أن تحمل سريرك." 11– أجابهم: "إن الذى أبرأنى هو قال لى: احمل سريرك وامش." 12– فسألوه: "من هو الإنسان الذى قال لك احمل سريرك وامش؟" 13– أما الذى شفى فلم يكن يعلم من هو، لأن يسوع اعتزل، إذ كان فى الموضع جمع. 14– بعد ذلك، وجده يسوع فى الهيكل وقال له: "ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر." 15– فمضى الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه.

ع10-12: يقول إرميا النبى: "اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم، الذين لهم أعين ولا يبصرون" (5: 21).

ويقول القديس كيرلس الكبير أن هذه الآية تنطبق على موقف اليهود تجاه هذه المعجزة**...** فنسوا قوة الشافى، وعمل الرحمة المقدم من الله، وتمسكوا بحرفية الوصية الخالية من روح الله.

☩*هكذا أيها الأحباء، فنحن أيضا فى عنادنا، كثيرا ما لا نرى إرادة الله الصالحة. ليتك يا إلهى تفتح عيوننا وقلوبنا وأفهامنا، حتى نفهم ونبصر أعمالك وحكمتك، ونترك شرورنا، وإدانتنا للآخرين.*

ع13: لم يكن من طبع السيد الإعلان عن نفسه، وهو الذى لم يقبل مجدا من الناس.

☩*فليتنا نحن أيضا نتعلم ألا نتباهى بما نصنع أمام الناس، متعلمين من إلهنا الاتضاع، وعدم السعى لقبول مديح الناس، متذكرين أن أبانا الذى يرى فى الخفاء يجازينا علانية.*

ع14: تقابل الرجل مع المسيح مرة أخرى فى الهيكل؛ وفى حديث المسيح الجديد معه، نجد المعانى التالية:

أولا: أن هذا المرض كان نتيجة خطية سابقة، فعبارة: **"لا تخطئ أيضا"**، بمعنى: "لا تخطئ ثانية"، وقد عرف المسيح، بلاهوته، هذه الخطية.

ثانيا: على الإنسان أن يتذكر دائما عمل الله معه ومعروفه، فيشكر الله. والأهم، ألا ينسى، ويعود مرة أخرى لما قد تركه.

ثالثا: أن الإنسان الذى يتجاهل مراحم الله المتكررة، يعرض نفسه لعقوبة أكبر، يكون له أشر.

ع15: أما غرض إبلاغ الرجل لليهود، فكان تبرئة نفسه من تهمة حمل السرير، خوفا من اليهود، وقتلهم إياه تنفيذا للوصية الناموسية. وهذا يظهر ضعف إيمان هذا الرجل، فقد اهتم بإرضاء اليهود، أكثر من تمسكه بتعاليم المسيح.

(4) لاهوت الابن (ع 16-23):

16- ولهذا، كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه، لأنه عمل هذا فى سبت.
17- فأجابهم يسوع: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل." 18- فمن أجل هذا، كان اليهود يطلبون
أكثر أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن الله أبوه، معادلا نفسه بالله. 19- فأجاب
يسوع وقال لهم: "الحق الحق أقول لكم، لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا، إلا ما ينظر الآب
يعمل. لأن مهما عمل ذاك، فهذا يعمله الابن كذلك. 20- لأن الآب يحب الابن، ويريه جميع ما هو
يعمله، وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم. 21- لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى،
كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء. 22- لأن الآب لا يدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن.
23- لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب؛ من لا يكرم الابن، لا يكرم الآب الذى أرسله."

ع16-18: يوضح القديس يوحنا هنا، مدى كراهية اليهود لشخص المسيح، لدرجة طلب قتله. وأوعز هذه الكراهية الشديدة لسببين؛ الأول: هو كسر السبت، متناسين المعجزة الكبيرة. والثانى: بسبب الأسلوب الذى كان يصف به المسيح العلاقة مع الله بأنه أبوه، ولكن، من زاوية أخرى، غير أبوة الله للجميع، فالمسيح يركز على أبوة الآب الطبيعية للابن، والقاصرة عليه وحده، مساويا نفسه بالآب من جهة الجوهر، وفى أن عملهما واحد ومستمر. ولهذا، طلب اليهود قتله بتهمة التجديف، لأنهم فهموا تماما قصد المسيح، ولكنهم رفضوه.

ع17: "**أبى يعمل... أنا أعمل** ...": هذه الآية، يوضح بها المسيح لليهود أنه، حتى فى السبت، يعمل الآب، ولا يتوقف عن رعاية خليقته. وبالتالى، الابن، الواحد معه فى الجوهر، يشاركه عمله.
☩ *فإذا كان الله هكذا، فعلينا أيضا أن لا نتوقف عن خدمة الله وخليقته كل الأيام. وبهذا، ينتقل السبت من حرفية الوصية إلى روحها ومضمونها.*

ع19-20: يسحبنا السيد فى إجابته على اليهود إلى عمق اللاهوتيات بالتدريج، موضحا هذه العلاقة السرية بين الآب والابن فى الجوهر الواحد... مثبتا لاهوته من خلال:

(1) **وحدة المشيئة**: فلا يقدر الابن أن تكون له إرادة منفصلة فى العمل عن إرادة أبيه، لأنهما واحد فى الجوهر

(2) **عدم الانفصال**: فإذا كان الكلمة قد أخذ جسدا إلا أنه، من خلال الجوهر الإلهى، فى اتصال دائم مع الآب، ناظرا ومتطلعا على كل ما يفعله، فالاثنين واحد.

(3) **وحدة القدرة**: فى أن كل ما يفعله الآب، يفعله الابن أيضا، فهو لا يقل شيئا عن الآب فى القدرة، لأنه واحد معه فى المشيئة وعدم الانفصال.

(4) **وحدة الحب**: فى انفتاح الآب على الابن بكل الحب، حتى أن الابن يعرف كل أسرار الآب وأعماله ومقاصده. وهذا دليل على لاهوت الابن أيضا، الذى لابد أن يتمتع بعلم ومعرفة غير محدودة، ليدرك كل أعمال الله ومقاصده.

"**أعمالا أعظم**": ينبئ المسيح هنا بالمعجزات القادمة والعجيبة، والتى سيوضّح بعضها فى الأعداد القادمة، أو التى سيذكرها القديس يوحنا فى الأصحاحات التالية. ونلاحظ أن اليهود يتعجبون، لكنهم لا يؤمنون.

☩*إلهى الحبيب ومخلصى الصالح... كما كنت أنت فى كمال الحب واحد مع أبيك الصالح فى المشيئة وعدم الانفصال... نشتاق نحن أيضا شعبك أن نخضع بكل قلوبنا وإرادتنا لحبك ولصوتك فى حياتنا. أعطنا يا رب أن نكون واحدا معك، كما طلبت أنت عنا، فنترك كل شئ يعطلنا، ونتجه نحوك ونتبعك بكل قلوبنا.*

ع21-22: إثبات آخر ومباشر عن لاهوت المسيح فى قدرته المساوية للآب فى إقامة الأموات، وهى الشئ الذى يعجز عنه أى إنسان. وعبارة "**يحيى من يشاء**"، خصَّ المسيح بها نفسه، تمييزا عن بعض الأنبياء الذين أقاموا موتى، مثل إيليا وأليشع، من خلال صلاتهم لله. أما قدرة المسيح، فمصدرها ذاته ومشيئته الإلهية وحدها. ويقدم المسيح إثباتا آخر للاهوته فى أنه هو الديان، وهى صفة قاصرة على الله وحده، العالم بأفعال الناس وخبايا قلوبهم.

ع23: إثبات آخر للاهوت المسيح، إذ جعل إكرام الآب وإكرام الابن شيئا واحدا لا يتجزأ. فإذا كانت كرامة الله وإكرامه لا يضاهيها كرامة، ولا يقترب منها إنسان؛ ففى الوقت نفسه، يعلن المسيح أن إكرام الابن مساويا ومرتبطا بإكرام الآب فهذه شهادة أخرى لمساواة الابن للآب فى التمجيد والسجود والألوهية.

(5) سلطان الابن (ع 24-30):

24- "الحق الحق أقول لكم، إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى، فله حياة أبدية، ولا يأتى إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة. 25- الحق الحق أقول لكم، إنه تأتى ساعة، وهى الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون. 26- لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته، كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته. 27- وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا، لأنه ابن الإنسان. 28- لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صــوته. 29- فيخرج الذين فعلــوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة. 30- أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا، كما أسمع أدين، ودينونتى عادلة، لأنى لا أطلب مشيئتى، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى."

ع24: يؤكد المسيح مرة أخرى على الوحدة بين الابن والآب: فى سماع كلام الابن، والإيمان بالله الآب. فكلام الابن هو وصية الآب نفسه؛ وبدون الإيمان بالله الآب، وطاعة وصية الله الابن، لن يكون لأحد حياة أبدية، ولن ينجو من الدينونة. أما من فعل هذا، فقد انتقل من الموت الروحى إلى الحياة فى المسيح، وذلك بالإيمان والتوبة وإطاعة وصايا المسيح.

☩ *أخى الحبيب، إن الحياة الأبدية أعدها الله لك انت بسابق حبه العظيم. فتعال سويا نخضع لوصيته، فتكون لنا الراحة هنا، والحياة الأبدية هناك.*

ع25: "تأتى ساعة وهى الآن": استخدم السيد المسيح كلمة **"الآن"**، تمهيدا لما سوف يتحدث عنه فى الآية 28 والتى لم يذكرها فيها. فالآن هنا، تعنى القيامة الروحية بالتوبة، لكل من يسمع كلام ابن الله، ويقبله ويعمل به. أما رافض التوبة، والمتجاهل لنداء السيد المسيح، فهو ميت بخطاياه لهلاك أبدى. وهذه الآية تذكرنا بما قاله الوحى الإلهى فى العهد القديم على لسان إشعياء النبى: "... فى وقت القبول استجبتك، وفى يوم الخلاص أعنتك..." (إش 49: 8). وفى العهد الجديد، يؤكد الوحى الإلهى أن زمن التوبة هو الآن، وليس غدا، ولا يحتمل أى تأجيل، عندما قال على لسان بولس الرسول: "فى وقت مقبول سمعتك، وفى يوم خلاص أعنتك. هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن وقت خلاص" (2 كو 6: 2).

☩ *إذا كانت مراحم الله قد فتحت ذراعيها لقبولك بالتوبة والاعتراف الآن، فلماذا لا تُقبل، ولماذا تفضل البقاء فى الموت عن الحياة بالاستجابة لنداء المسيح لك؟!*

ع26: هذه الآية إثبات جديد للاهوت المسيح. فصفة الحياة الذاتية، غير المخلوقة، هى من صفات الله وحده، فهو مصدرها ومانحها، والابن أيضا – لأنه الله – له هذه الصفة عينها:

أولا: إنه غير مخلوق.

ثانيا: أن له سلطان الآب نفسه فى منح هذه الحياة لمن يريد، فهو مصدرها كما سبق وقال يوحنا: "فيه كانت الحياة" (ص 1: 4).

ع27: أى أن الذات الإلهية أعطت حق الدينونة للابن، كما أنها من حق الآب (ع22)، ومن حق الروح القدس (ص 16: 8). وذلك لأن الطبيعة الإلهية واحدة فى الجوهر، ولكن تعطى الدينونة للابن الذى، بتجسده، عاش حياتنا، وتألم مجرَّبا فى كل شئ عدا الخطية وحدها. فالعدل والرحمة الإلهية وحدهما، هما اللذان جعلا من المسيح المتجسد والمتأنس قاضيا للبشرية كلها. فهو الديان من جهة، وهو المحامى عن الإنسان من جهة أخرى، فهو يدافع عنا بفدائه ويقضى ببراءتنا.

ع28-29: "لا تتعجبوا من هذا": أى ما سبق وقاله، وما سوف يقوله بعد ذلك، فالمسيح يعلم صعوبة قبول ما يقوله على العقل البشرى غير المستعد للتعامل مع الحقائق الإلهية.

أما الساعة التى يتحدث عنها السيد، فهى ساعة المجىء الثانى والدينونة، والتى يسمع فيها الجميع صوته، أبرارا وأشرارا، إما يذهبون إلى حياة أبدية، أو إلى هلاك أبدى...

✠*ولا يفوتنا هنا أيها القارئ الحبيب، وضوح الآية فى أن المجازاة والدينونة على الأعمال التى صنعها الإنسان طوال حياته، سواء كانت صالحة أو سيئة. ومع وضوح الآية هنا، نتعجب ممن يُعَلِّم بأنه لا علاقة للأعمال بالدينونة (راجع مع مت 25: 31-46).*

ليتنى أنتهز يا إلهى فرصة هذه الحياة لأصنع خيرا كما كنت تفعل أنت (راجع مع أ ع 10: 38)، ولا أبعثر أوقاتى هنا وهناك.

إلهى... اجعل دائما فكر الدينونة فى قلبى، فتتحرك أشواقى للأبدية من جهة، وأشعر أن كل لحظة وكل عمل سوف أقدّم عنه حسابا، فتتشدَّد نفسى الضعيفة من جهة أخرى.

ع30: يكرر السيد المسيح هنا ما سبق وقاله فى (ع19) عن اتحاد الإرادة والعمل مع الآب، فلا يمكن أن يكون هناك انفصال للحظة واحدة. ولهذا، فكل ما يفعله، هو إرادة الآب ذاته ومشيئته. وهذا يؤكد تمام الاتفاق بينهما، ويكون معنى **"لا أقدر"** هنا: "لا أريد"، كما نقول: "الله لا يقدر أن يكذب..."

وتعبير **"كما أسمع"**، يماثل أيضا ما جاء فى (ع19) فى أن الابن يعمل ما يفعله الآب، وهى تؤكد نفس المعنى السابق، وهو وحدة الاتصال بين الآب والابن.

(6) الشهادة للابن (31-40):

31- "إن كنت أشهد لنفسى، فشهادتى ليست حقا. 32- الذى يشهد لى هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق. 33- أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق. 34- وأنا لا أقبل شهادة من إنسان، ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم. 35- كان هو السراج الموقد المنير، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة. 36- وأما أنا، فلى شهادة أعظم من يوحنا، لأن الأعمال التى أعطانى الآب لأكملها، هذه الأعمال بعينها التى أنا أعملها، هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى. 37- والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته. 38- وليست لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذى أرسله هو، لستم أنتم تؤمنون به. 39- فتشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهى التى تشهد لى. 40- ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة."

ع31-35: تتحدث هذه الأعداد عن شهادة الآب للابن، وشهادة يوحنا المعمدان كذلك. وقد أعلن المسيح الغرض من هذه الشهادة، فهو ليس فى احتياج، ولكنه يذكرها من أجل خلاص اليهود أنفسهم (ع 34).

ع31-32: يبدأ المسيح كلامه هنا عالما ما فى أذهان اليهود وناموسهم، والعرف العام، والشريعة، بأن شهادة الإنسان لنفسه ليست مقبولة، وذلك تمهيدا لتقديم الشاهد الأعظم، وهو الله الآب نفسه (الشاهد الآخر). ومن المعلوم أن قوة وقيمة الشهادة تستمد من مركز الشاهد، فلهذا قدم المسيح شهادة الآب التى لا تحتمل مجالا للشك أو النقض، بالرغم أنه لو شهد لنفسه، فشهادته حق (ص 8: 14).

ع33-34: ينتقل المسيح هنا إلى شهادة يوحنا، الذى هو شاهد ثان له مكانته عند اليهود، بل هم الذين سعوا إليه لسؤاله، فجاءت شهادته معلنة أن المسيح هو الحق. أما عدم قبول المسيح لشهادة المعمدان فليس معناه رفضها، بل هى إشارة خفية للاهوته. فبالرغم من عظمة الشاهد، فإنه من غير المقبول أن يتوقف صدق الله على شهادة إنسان. ولكن السيد يضيف شهادة المعمدان إلى شهادة الآب حتى يؤمن اليهود، فالإيمان بشخص المسيح هو الشرط الأول للخلاص، ولا يريد المسيح شيئا سوى خلاص شعبه.

ع35: شهادة ثانية يقدمها المسيح للمعمدان بأنه السراج المنير، بعد أن وصفه بأنه أعظم مواليد النساء، وهذه آية عرضية فى سياق الكلام. ولكن المسيح قالها لسببين؛ الأول: أنه يعطى لكل إنسان حقه ولا ينسى تعب أحد. الثانى: أنه يبكت اليهود الذين التفوا حول المعمدان ساعة – فترة قصيرة أى 6 شهور– وبعد سجنه، عادوا إلى سيرتهم الأولى، دون أن يستمر تأثير كلام المعمدان فى حياتهم.

☩ *إلهى وسيدى، كان المعمدان أمينا فى رسالته، شاهدا وشهيدا للحق الإلهى، فجاء مدحه من فمك القدوس... أعطنى يا إلهى روح المعمدان وبعضا من قوته، حتى أشهد لك أنا أيضا بأعمالى، كما فعل هو بكلامه وأفعاله، فأكون مصباحا منيرا، نورا للعالم، لأتمم مشيئتك الصالحة فى حياتى.*

ع36: شهادة ثالثة يقدمها السيد المسيح، وهى أعظم من شهادة أى إنسان، وأكثر يقينية، وهى تلك الأعمال الإعجازية، كشفاء المرضى، وفتح أعين العميان، وإقامة الموتى، وهى أعمال لم يسبقه اليها أحد فى قوتها وعظمتها وكثرتها وتنوعها، حتى تشهد لألوهيته. أما تعبير "**أعطانى الآب لأكملها**"، فمعناه أن الابن ينفذ مشيئة الآب كما جاء فى (ص 1: 18): "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر"، ويضيف المسيح أيضا أنه صوت الآب وهيئته.

ع37-40: شهادة الآب نفسه التى شهدها للابن من خلال نبوات العهد القديم ورموز الناموس، وهى كلمات الآب التى تمثل صوته وهيئته. ولكن، بالرغم من هذا، ضل اليهود؛ وبدلا من قبول الحياة الأبدية، رفضوها برفضهم للمسيح ذاته.

(7) أسباب عدم الإيمان (ع 41-47):

41– "مجــــدا من الناس لست أقبـــل. 42– ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم. 43– أنا قد أتيت باسم أبى، ولستم تقبلوننى. إن أتى آخر باسم نفسه، فذلك تقبلـــونه. 44– كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه؟ 45– لا تظنـــوا أنى أشـــكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم، وهو موسى الذى عليه رجاؤكم. 46– لأنكم لو كنتم تصدقون موســـى لكنتم تصـــدقوننى، لأنه هـــو كتب عنى. 47– فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامى؟"

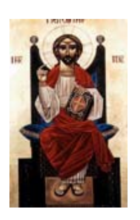
ع41: إذا كان المسيح سبق ورفض شهادة الناس له، وقدّم شهادات أخرى لا تخضع لمعايير أو مقاييس بشرية، فهو يرفض أيضا قبول المجد المقدم له من الناس، بل يريد اجتذابهم إلى الإيمان به، وبالتالى خلاص نفوسهم.

ع42-43: أما أول أسباب عدم قبول اليهود للمسيح، فهو اختفاء محبة الله عن قلوبهم، والتى بدونها لا يستطيع الإنسان التعرف على الابن. والدليل على عدم محبتهم لله، أنه أتى باسم أبيه الذى يدّعون حبه ولم يقبلوه. أما إذا أتى آخر باسم نفسه، والإ شارة هنا إلى المسحاء الكذبة، الذين كانوا يظهرون بين الحين والآخر، مقدمين أنفسهم، طالبين الكرامة لذواتهم، كان يقبلهم اليهود؛ فالمسيح هنا يتعجب من تصرفاتهم.

ع44: أما السبب الثانى لعدم قبول المسيح، فهو انحراف اليهود، ورغبتهم فى المجد الدنيوى عوضا عن المجد الذى يعطيه الله لأبنائه باتضاعهم، فخطيئة الافتخار وطلب المجد الباطل من الناس، تصرف قلب الإنسان عن الله فلا يقبله، بل يكتفى بالانحصار فى ذاته. فالحقيقة إذن واضحة، إما أن يطلب الإنسان مجده على حساب مجد الله، أو يطلب مجد الله على حساب ذاته.

☩ *إلهى ومخلصى... اتضعتَ، ولم تطلب مجد نفسك وأنت هو كلى المجد. وأنا الشقى، لا زلت أبحث عن مديح هنا وهناك. ساعدنى يا إلهى على أن أنتهر هذه الذات اللعينة التى تقف حائلا دون التمتع بحبك الكامل، والنمو فى معرفتك، ومعرفة كل أسرارك.*

ع45-47: إن من تظنونه شفيعا ووسيطا لكم، وهو موسى النبى، هو نفسه المشتكى عليكم لدى الله. فكل ما كتبه موسى، كان غايته المسيح. فعدم إيمان اليهود بالمسيح، معناه رفض الناموس الذى كتبه موسى. فإن كانوا لا يؤمنون بأقوال أعظم أنبيائهم، فكيف يؤمنون بالمسيح إذن؟!



الأَصْحَاحُ السَّادِسُ

إشباع الجموع ، المشى على الماء ، سر التناول من جسد المسيح ودمه

η E η

(1) معجزة إشباع الجموع (ع 1 - 15):

1- بعد هذا، مضى يسوع إلى عبر بحر الجليل، وهو بحر طبرية. 2- وتبعه جمع كثير، لأنهم أبصروا آياته التى كان يصنعها فى المرضى. 3- فصعد يسوع إلى جبل، وجلس هناك مع تلاميذه. 4- وكان الفصح عيد اليهود قريبا. 5- فرفع يسوع عينيه، ونظر أن جمعا كثيرا مقبل إليه، فقال لفيلبس: "من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء؟" 6- وإنما قال هذا ليمتحنه، لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل. 7- أجابه فيلبس: "لا يكفيهم خبز بمئتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا." 8- قال له واحد من تلاميذه، وهو أندراوس أخو سِمعان بطرس: 9- "هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان. ولكن، ما هذا لمثل هؤلاء؟" 10- فقال يسوع: "اجعلوا الناس يتكئون." وكان فى المكان عشب كثير، فاتكأ الرجال، وعددهم نحو خمسة آلاف. 11- وأخذ يسوع الأرغفة, وشكر، ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين، وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. 12- فلما شبعوا، قال لتلاميذه: "اجمعوا الكسر الفاضلة، لكى لا يضيع شىء." 13- فجمعوا، وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر، من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين. 14- فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع، قالوا: "إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم." 15- وأما يسوع، فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا، ويختطفوه ليجعلوه ملكا، انصرف أيضا إلى الجبل وحده.

ع1-3: "بعد هذا": أى بعد ما حدث فى أورشليم، اتجه الرب إلى الجليل، وعبربحيرته من الغرب إلى الشرق.

"طبرية": مدينة على بحر الجليل، أنشأها هيرودس على اسم إمبراطور الرومان "طيباريوس" سنة 26 ميلادية.

وتبعت الجموع الرب يسوع بسبب كثرة معجزات الشفاء، فصعد إلى تل مرتفع مع الاثنى عشر، وأخذت الجموع فى التزايد حوله.

ع4: لا يمكن إغفال هذه الإشارة العرضية التى ذكرها القديس يوحنا بقرب حلول الفصح، فالحديث فى هذا الأصحاح، سيتناول الحديث عن الإشباع الجسدى للجموع من جهة، والإشباع الروحى الخلاصى للعالم كله من خلال خبز الحياة جسد المسيح من جهة أخرى. فقد أشار القديس يوحنا للفصح عمدا، لتهيئة الذهن لربط جسد المسيح المقدم للعالم بالفصح الخلاصى، "لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذبح لأجلنا" (1كو 5: 7).

ع5-7: يمثل فيلبس الشخصية العقلانية، فالمسيح هو الذى ذهب إليه ليدعوه، ولم يتبعه هو من نفسه (ص 1: 43)، وهو الذى قاطع المسيح فى حديثه "**أرنا الآب وكفانا**" (ص 14: 8). ولهذا، وجّه المسيح الحديث إليه بالذات؛ ليمتحن إيمانه من جهة، وليجعله شاهدا بأن الإيمان يفوق العقل والإمكانيات المادية والعقلية. ولأن فيلبس يمثل العقل المحدود فى حلوله، لم يقدم حلا لسؤال الرب يسوع عن مكان شراء الخبز، بل أضاف تعقيدا آخر وهو بكم؟!... أى حتى لو توفر المكان، فأين النقود؟

☩ *إن العقل، فى أحيان كثيرة، يكون عائقا يحد عمل الله فى حياتنا بحساباته القاصرة... فلا تدع عقلك يوما عائقا لحياة الإيمان، بل اجعله متقبلا، شاكرا لأعمال الله فى حياتك، متذكرا لها ومتأملا فيها.*

ع8-9: "**غلام... شعير**": يلفت القديس يوحنا نظرنا إلى شئ هام، وهو الله العامل بالقليل، فجاء حل المشكلة عن طريق غلام صغير، وليس أحد المسئولين الأغنياء. وكذلك الشعير، فهو خبز العامة الفقراء، وليس كالقمح غذاء الأغنياء.

☩ *إذن، علينا ألا نستهين باقل الأمور، ولا نفتخر بأعظمها، بل نفتخر بالرب الذى، بأقل القليل، يفعل أكثر الكثير. فيا ليت يكون لنا هذا الإيمان، الفعّال والعامل، فى تقديم إمكانياتنا الضعيفة لله، فيصنع بها الكثير.*

ع10-11: "**اجعلوا الرجال يتكئون**": عملية تنظيمية، نظمها التلاميذ. ولهذا، سهل حصر عدد الرجال، وكذلك سهل التوزيع؛ فالنظام من الفضائل المسيحية السلوكية التى ينبهنا لها الله "وليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب" (1كو 14: 40).

إلا أن العدد الإجمالى كان أكثر من هذا، كما أشار القديس متى: "ما عدا النساء والأولاد" (مت 14: 21).

نلاحظ أن عبارة "**قدر ما شاءوا**" تشير إلى كمال العمل الإلهى فى الإشباع حتى الفيض. وهكذا عمل الله دائما تجاه كل خليقة، وخاصة أبنائه المتكلين عليه، فإن "بركة الرب هى تغنى ولا يزيد معها تعبا" (أم 10: 22).

ع12-13: جمع الكسر... لكى لا يضيع شئ:

أولا، المعنى المباشر: أراد الرب أن يجعل من هذه المعجزة تذكارا لا ينساه التلاميذ، فكان عدد القفف بعددهم، فحمل كل واحد منهم واحدة كشهادة لا ينساها، لأنه شارك فيها.

✠ *وأراد الرب أيضا أن يعلمنا أن نرشّد استهلاكنا فى الطعام، فنحتفظ بما تبقى لنعود ونأكله، فلا نقع فى خطية الإسراف، أو الاستهتار بنعم الله التى أعطاها لنا.*

ثانيا: أما المعنى الرمزى فى جمع الكسر، فهو أن هذا الخبز إشارة لجسده. فأولا قد شكر، وبارك، ووزع؛ وهى نفس الخطوات التى صنعها عندما أسس سر الأفخارستيا (الشكر). ولهذا، لم يكن من المقبول أن تُترك كسر الخبز لتدوسها الأقدام. بل طلب من التلاميذ – الذين يمثلون كهنوت العهد الجديد – جمع بقايا ما يرمز لجسده الذى باركه ووزعه.

✠ *لاحظ أيها الحبيب أنه فى طقس القداس القبطى، لا يستبقى شئ من جسد المسيح، بل يقوم الكاهن بما فعله التلاميذ فى جمع كل بقايا جسد الرب، وعدم ترك شئ منه...*

ليتنا نتعلم من المسيح أن نصلى قبل أن نأكل طعامنا، ونشكره، ونبارك برشم علامة الصليب، ثم نوزع الطعام على الحاضرين. وبعد ما نفرغ من الأكل، نجمع المتبقى لنأكله، أو نعطيه للمحتاجين، فهذا يشعرنا بنعمة الله التى يهبها لنا ولا يجدها الكثيرون.

ع14-15: أما رد فعل المعجزة على النفوس فقد كان قاصرا، إذ اعتبروا المسيح هو النبى الذى تحدث موسى عنه فى (تث 18: 15-18)، وانصرف ذهنهم إلى تنصيب المسيح ملكا أرضيا عليهم، وهو ما لم يقبله الرب منهم، فانصرف وحده، رافضا مجد العالم الذى لم يأت من أجله.

✠ *إلهى الحبيب... اجعل من جسدك شبعى الحقيقى، واجعل من ضعفى وإمكانياتى المحدودة قوة، فأنا أقل من رغيف الشعير، ولكن فى يدك أنت، أشتاق أن أكون مصدر إشباع للآخرين،*

أحدثهم عنك، وأدعوهم إليك فيأتون كنيستك، ويكون لهم الشبع الحقيقى عوضا عن زيف وفراغ العالم.

(2) معجزة السير على الماء (ع 16 - 24):

16- ولما كان المساء، نزل تلاميذه إلى البحر. 17- فدخلوا السفينة، وكانوا يذهبون إلى عبر البحر، إلى كَفْرَنَاحُومَ. وكان الظلام قد أقبل، ولم يكن يسوع قد أتى إليهم. 18- وهاج البحر من ريح عظيمة تهب. 19- فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة، نظروا يسوع ماشيا على البحر مقتربا من السفينة، فخافوا. 20- فقال لهم: "أنا هو، لا تخافوا." 21- فرضوا أن يقبلوه فى السفينة. وللوقت، صارت السفينة إلى الأرض التى كانوا ذاهبين إليها. 22- وفى الغد، لما رأى الجمع الذين كانوا واقفين فى عبر البحر إنه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة، وهى تلك التى دخلها تلاميذه، وأن يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه، بل مضى تلاميذه وحدهم. 23- غير أنه جاءت سفن من طبرية إلى قرب الموضع الذى أكلوا فيه الخبز إذ شكر الرب. 24- فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه، دخلوا هم أيضا السفن، وجاءوا إلى كَفْرَنَاحُومَ يطلبون يسوع.

ع16-21: فى نفس يوم إشباع الجموع، وعند مسائه، أخذ التلاميذ – دون السيد – سفينة للعبور خلال بحر الجليل إلى كَفْرَنَاحُومَ.

ولنلاحظ التعابير التى أوردها القديس يوحنا بدقة: (الظلام – لم يكن يسوع – هاج البحر). وكأن القديس يرسم لوحة بدقة بالغة، إذ يقول إن لحظات الضعف الحقيقى (الظلام) فى حياة الإنسان، هى اختفاء المسيح عن حياته، مما جعل الشيطان والتجارب (الريح العظيمة) تعصف بهذا الإنسان، فتتعذب نفسه، ويقع فريسة للخوف، بدلا من الاطمئنان والأمان. ولما أجهدهم التعب، مما هم عليه من صراع وجهد فى التجديف من (3 إلى 4 أميال)، أى عندما يفرغ الإنسان من كل حيلة وكل مجهود، يأتى المسيح معلنا ذاته بقوة "**أنا هو، لا تخافوا**"... فيحل السلام مكان القلق، والطمأنينة مكان التوتر، إذ استراحت النفس فى مخلصها.

✝ *إلهى الحبيب... لا تتركنى أبدا، بل لا تجعلنى بجهالة أتركك، فالرياح قاسية، والعاصف مغرق، وليس لى نجاة سوى صوتك الهادئ القوى: "**أنا هو، لا تخافوا**"؛ اجعل هذه الكلمات سندا لى فى كل حياتى، واجعلنى أصلى مع كنيستك دوما: "يا ملك السلام... أعطنا سلامك."*

ملاحظة: الترجمة العربية: "فرضوا أن يقبلوه"، ترجمة ضعيفة جدا. أما اليونانية والإنجليزية، فجاءت فيها بمعنى: "تلهفوا"، وهى أقوى فى المعنى والتصوير، وتعبير عن الحالة التى كان عليها التلاميذ عندما عرفوا صوته.

ع22-24: فى هذه الأعداد الثلاثة إعلان للمعجزة، وإدراكها عند الجموع، فهم يعلمون أن المسيح كان عند الجليل وحده، والتلاميذ أخذوا السفينة الوحيدة. فكيف إذن وصل يسوع إليهم؟ فإنهم كانوا وقوف فى انتظاره آتيا من الجبل، وإذا به مع تلاميذه فى كَفْرَنَاحُومَ. ولهذا، ذهبت الجموع أيضا إلى كَفْرَنَاحُومَ، طالبين يسوع.

(3) الطعام البائد والطعام الباقى (ع 25 - 34):

25- ولما وجدوه فى عبر البحر، قالوا له: "يا معلم متى صرت هنا؟" 26- أجابهم يسوع وقال: "الحق الحق اقول لكم، أنتم تطلبوننى، ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. 27- اعملوا، لا للطعام البائد، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختمه." 28- فقالوا له: "ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟" 29- أجاب يسوع وقال لهم: "هذا هو عمل الله، أن تؤمنوا بالذى هو أرسله." 30- فقالوا له: "فأية آية تصنع، لنرى ونؤمن بك ماذا تعمل؟ 31- آباؤنا أكلوا المن فى البرية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا." 32- فقال لهم يسوع: "الحق الحق اقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء. 33- لأن خبز الله، هو النازل من السماء، الواهب حياة للعالم." 34- فقالوا له: "يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز."

ع25-27: يبدأ اليهود، وهم يطلبون يسوع، بسؤال تعجبى عن كيفية وصوله إلى كَفْرَنَاحُومَ. ولكن المسيح يجيب عليهم كعارف بدواخلهم، فهم يطلبوه، ليس بسبب الإيمان بما صنع من معجزات، ولكن من أجل العطية المادية فقط، وهى الأكل المجانى، والشبع دون تعب، فاستحقوا تبكيت المسيح لهم، ونصحه إياهم بأن هناك نوع آخر من الطعام لا يعرفه هؤلاء، ولا يعطيه آخر سوى المسيح لكل من يتبعه، وهو طعاما روحيا يقدم كعربون للحياة الأبدية.

والحديث هنا، مقدمة لما سوف يأخذنا إليه المسيح فى باقى الأصحاح، فى أنه هو نفسه الطعام الروحى الحى. أما تعبير "**الآب قد ختمه**"، فهو عائد على المسيح وليس الطعام، فالمسيح هو المعيّن منذ الأزل من الآب ليعطى الحياة الأبدية. وقد شهد له الآب منذ معموديته بصوت مسموع، وكانت هذه الشهادة بمثابة إعلان وختم، أى تثبيتا من الآب لعمل الابن.

✝*إلهى الحبيب... لا زلت أجد فى نفسى اهتمامى بالطعام البائد، فأطلب الخيرات المادية والنجاح الأرضى، ناسيا أن كل هذا إلى زوال. فارفع قلبى يا إلهى إلى فوق، فأطلبك أنت، وتصير كل اشتياقاتى روحية، محورها أنت أيها الطعام الباقى، يا خبز الحياة.*

ع28-29: قال السيد المسيح فى (ع 27): "**اعملوا**"، فجاء استفسار اليهود فى هذه الآية: "**ماذا نفعل؟**"، وكأن قلبهم قد بدأ يميل، للحظة، إلى التعليم الروحى للسيد المسيح فى إتمام أعمال الله، من أجل نوال هذا الطعام الباقى. أما إجابة المسيح لهم، فكانت أن كل هذه الأعمال تتلخص فى الإيمان به. والكنيسة تُعلّم أن الإيمان بالرب يسوع، هو الشرط الأول للخلاص، فالجهاد الروحى والأعمال الصالحة لا يُقبَلوا إلا على أساس الإيمان بالابن الفادى الذى أرسله الآب.

ع30-31: عندما طلب المسيح من اليهود الإيمان به، سألوه سؤالا مباشرا: "إذا كانت العلامة التى أعطاها الله لموسى النبى فى زمن آبائنا، هى نزول المن من السماء، وهى أعظم معجزة وعطية، لأنها أعالت الشعب كله لمدة 40 سنة، فأية معجزة أعظم تصنعها أنت، حتى نؤمن بك، كما آمن أباؤنا بموسى؟"

ع32-33: مرة أخرى، وكالمعتاد، يحاول السيد الارتفاع باليهود لما هو أعلى وأعمق، للدخول بهم للأسرار الإلهية، والخفية عليهم، فصحح الخطأ بأن المن لم يكن عطية موسى لشعبه، بل هبة الله الآب. والآب ذاته، يعطيهم الآن الخبز الأعظم والحقيقى، فالمن كان رمزا للخبز الحقيقى؛ فالمسيح نفسه، الذى نزل من السماء متجسدا، والواهب الحياة للعالم، هو خبز الحياة الحقيقى.

ع34: لم يدرك اليهود بالضبط قصد المسيح، ولكنهم شعروا بعظم العطية فطلبوها، متمثلين بالمرأة السامرية التى طلبت الماء الحى، دون أن تفهم المعنى الأعمق الذى قصده المسيح.

ولهذا، بدأ المسيح، من (ع 35)، الشرح التفصيلى لخبز الحياة، الذى هو فوق العطايا المادية.

لا زلنا يا إلهى نطلب الماديات وننشغل بها، وأنت الداعى لنا بأن نهتم بملكوت السموات أولا، فتفيض علينا بكل أنواع العطايا. ولكننا لا زلنا نتعثر، ونحتاج ذراعك القوية لتقيمنا وتنتشلنا مما نحن عليه، فنهتم بما هو فوق حيث أنت يا إلهى، فتشبع النفس بحق من الوجود الدائم معك، ولا تعد وتطلب ما هو أرضى.

(4) خبز الحياة (ع 35 - 40):

35- فقال لهم يســـوع: "أنا هو خبز الحياة، من يقبل إلىّ فلا يجوع، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبـــدا. 36- ولكنى قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون. 37- كل ما يعطينى الآب فإلىّ يُقبل، ومن يقبل إلىّ لا أخرجه خارجا. 38- لأنى قد نزلت من السماء، ليس لأعمل مشيئتى، بل مشيئة الذى أرسلنى. 39- وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى، أن كل ما أعطانى لا اتلف منه شيئا، بل أقيمه فى اليوم الأخير. 40- لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى، أن كل من يرى الابن ويؤمن به، تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير."

ع35: يقدم السيد المسيح نفسه كما قدم نفسه للمرأة السامرية، فهو ماء حى وخبز حياة، أى فيه كل احتياجات الإنسان للحياة، وبدونه، لا يبقى سوى الجوع والعطش اللذين لا يستطيع العالم بكل ما فيه تعويضهما. وعبارة "أنا هو"، استخدمها المسيح مرارا: "أنا هو نور العالم "، "أنا هو الباب"، "أنا هو الطريق "، "أنا هو الحق"، "أنا هو الراعى الصالح"، "أنا هو الكرمة"، "أنا هو القيامة"، "أنا هو الحياة". وكذلك فى تأكيد أنه الوحيد الذى يسد كل احتياجات النفس الإنسانية، مهما اختلفت مطالبها أو حاجتها. كذلك تعبير "أبدا"، يقابل تعبير "إلى الأبد" فى حديثه مع السامرية. فالمسيح إشباعه ليس قاصرا على تنوع احتياجات الإنسان، ومطالبه الجسدية والنفسية والروحية، بل هو إشباع مستمر أبدى، أى إشباع لا نهاية له.

أما مسئولية الإنسان فى حصوله على هذا الإشباع، فقد حددها السيد المسيح نفسه بقوله: "**من يقبل إلىّ**". فالمسيح إذن يقدم ويعرض على الإنسان عطاياه، دون أن يفرض نفسه، فهو يقف ويقرع الباب، دون أن يفتحه عنوة، حتى يكون للإنسان الإرادة فى الاختيار، وهى مسئولية جسيمة، لأن من لا يقبل إلى المسيح، يهلك جوعا وعطشا، ويبقى فى عذاب الاحتياج للإشباع دون الحصول عليه...

ع36-37: "**رأيتمونى ولستم تؤمنون**": أى أنه، بالرغم من استمرار إعلان المسيح عن نفسه بطرق شتى، لا زالت عيون اليهود فى حالة من العمى الروحى، وذلك لأنهم لا يطلبون شخص المسيح لذاته، بل لسبب أكلهم من الخبز، والشبع الجسدى (ع 26). وهكذا الإنسان فى كل

أحواله، إذا كان أساس علاقته بالله هو النفع المادى فقط، لا يعتبره الله مؤمنا، حتى وإن ادعى هو ذلك.

"**كل ما يعطينى الآب**": نسب السيد المسيح فعل العطاء والإرسال للآب، والقبول وعدم الرفض للابن، فالابن يقبل كل من يجئ إليه، لينال الفداء من خلال الإيمان به أولا. والآية أيضا تحتمل معنى قبول الأمم فى هذا الفداء المجانى، فاليهود رأوه و لم يؤمنوا. أما من أقبل إليه فلا يرفضه، ولا يخرجه خارجا. وكيف هذا، وهو محب البشر، الحانى، الذى يقبل فى حبه كل العالم، وهو المتجسد والمصلوب لأجلنا جميعا. يا له من رجاء يُعطَى لكل الخطاة فى حضنه المفتوح دائما.

☩ *أشكرك يا إلهى على كلماتك المشجعة لنفوسنا الضعيفة... فكلما أتينا مقرين ومعترفين بخطايانا، وقرأ الكاهن لنا صلاة التحليل، تذكرنا وعدك الصادق بأن كل من يقبل إليك لا ترده خارجا، بل تثبته فى محبتك، وتنقيه ليأتى بثمر أكثر.*

ع38-39: الكلام هنا استمرار لمعنى الآيات السابقة، فالمسيح يؤكد أن سبب نزوله من السماء، أى تجسده، هو إتمام الإرادة الواحدة لله، فالآب مشيئته خلاص الجميع، والابن هو متمم هذه المشيئة بموته وفدائه. فكل ما أعطاه الآب للابن لا يضيع منه شئ، بل يحفظ فى اسم المسيح ليوم مجيئه الثانى، والقيامة من الأموات.

ع40: يستمر المسيح فى شرح وتوضيح إرادة الآب ومشيئته، وهما، ببساطة، الإيمان بابنه الوحيد، الذى ليس باسم آخر سواه يمكن أن نخلص (أع 4: 12). ويمكن استخلاص الحقائق الإيمانية التالية:

(1) أن الخلاص أساسه الإيمان بالمسيح، وهذا الشرط كرره المسيح بنفسه، وكذلك الرسل، مرارا دون تنازل. ولهذا، فالكنيسة تؤمن أن الخلاص متاح للعالم كله، ولكن شرطه الأول الإيمان بالمسيح. ولهذا الوضوح فى اقوال المسيح، ترفض الكنيسة بدعة عمومية الخلاص (أى خلاص الناس، حتى بدون إيمانهم بالمسيح).

(2) أن الإيمان، وإن كان هو الشرط الأول، إلا أن هناك أمورا أخرى بدونها يبطل الإيمان، وسوف تتناول الأعداد القادمة من نفس الأصحاح شرطا آخر للخلاص. ولهذا، فالكنيسة عندما تفسر الكتاب المقدس، لا تعمد على آية واحدة، بل تأخذ معنى الآيات ككل.

(5) عدم فهم اليهود (ع 41 - 51):

41- فكان اليهود يتذمرون عليه، لأنه قال: أنا هو الخبز الذى نزل من السماء. 42- وقالوا: "أليس هذا هو يسوع بن يوسف، الذى نحن عارفون بأبيه وأمه، فكيف يقول هذا أنى نزلت من السماء؟" 43- فأجاب يسوع وقال لهم: "لا تتذمروا فيما بينكم. 44- لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. 45- إنه مكتوب فى الأنبياء: ويكون الجميع متعلمين من الله. فكل من سمع من الآب وتعلم يقبل إلىّ. 46- ليس أن أحدا رأى الآب إلا الذى من الله، هذا قد رأى الآب. 47- الحق الحق اقول لكم، من يؤمن بى فله حياة أبدية. 48- أنا هو خبز الحياة. 49- آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. 50- هذا هو الخبز النازل من السماء، لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت. 51- أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز، يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطى، هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم."

ع41-42: وقف وضع المسيح الجسدى – بحسب النسب – عثرة أمام اليهود فى قبول لاهوته، و لم يقبلوا ما كرره السيد فى 3 آيات سابقة، وهو أنه الخبز النازل من السماء (ع 33، 35، 38). فكان رد فعلهم، التذمر عليه، والاستخفاف بكلامه، وعدم تقبلهم لفكرة التجسد.

"**يسوع ابن يوسف**": هذا ما كان يعرفه اليهود، بإدراكهم الجسدى، عن شخص المسيح. وقد كان القديس لوقا دقيقا عندما أشار لهذا النسب فى إنجيله قائلا: "وهو على ما كان يظن" (لو 3: 23)، أى الشائع وليس الحقيقى.

ع43-45: يشرح السيد المسيح هنا قصور العقل البشرى وحده على الإيمان وتبعيته للمسيح، فلابد أن يجتذب الآب الإنسان بفعل هبة الإيمان الإلهية، وبتعليم الإنسان من خلال الوحى الإلهى. والتعبير الذى استخدمه السيد هنا: "**الجميع متعلمين من الله**"، هو ما جاء على لسان النبيين (إش 54: 13؛ إر 31: 33-34)، فى إشارات واضحة إلى الدور الإلهى فى تعليم الإنسان لأسرار الإيمان، والذى بدونه، لا يستطيع الإنسان أن يُقبل إلى المسيح.

ع46-47: لم ولا ولن يستطيع إنسان أن يرى الله، كما قال الله ذاته: "لأن الإنسان لا يرانى ويعيش" (خر 33: 20). أما المسيح، فلكونه "فى حضن الآب" (ص 1: 18)، وواحد مع الآب (ص 10: 30)، فهو الوحيد الأزلى الذى رأى الآب، والذى يستطيع أن يعلنه لنا.

"**الحق الحق أقول لكم**": تعبير استخدمه السيد كثيرا للتدليل على صدق ما يُعلّم به، وهو أنه لا حياة أبدية، ولا خلاص، لكل من لا يؤمن بالمسيح، الواحد مع الآب فى الجوهر.

ع48: "**أنا هو خبز الحياة**": يكرر المسيح ما أعلنه فى (ع 35)، وهو ما لم يفهمه اليهود، وتذمروا عليه. وهذه الآية، تعتبر مقدمة لما سوف يعلنه السيد من أسرار إلهية تتعلق بهذا الخبز.

✣*أخى الحبيب... فلنتعلم من السيد المسيح هنا ضرورة التمسك بالإيمان السليم، فالسيد المسيح أطال أناته، وأخذ يشرح، وسوف يكمل شرحه، ولكنه لم يتنازل أبدا، تحت وطأة الضغوط أو التذمر، عن التعليم السليم. وهكذا كانت كنيستك على مدار العصور، من أيام الرسل الأطهار، ومرورا بأثناسيوس وكيرلس، وغيرهم من الذين حافظوا على الإيمان نقيا سليما، كما سلمه المسيح تماما، بلا تفريط ولا تبديل...*

ع49: إذا كان المن هو أعظم العطايا الإلهية التى كان يفتخر بها إسرائيل، يوضح المسيح هنا أنه لم يكن سوى طعاما لإحياء الجسد، الذى نهايته الموت على كل الأحوال. وهذه الآية تعتبرمقارنة، ومقدمة لحديث طويل آت عن الخبز الحى الحقيقى...

ع50-51: يكشف لنا السيد المسيح هنا أعظم أسرار وعطايا العهد الجديد أنه هو الخبز النازل من السماء، فى إشارة واضحة لتجسده، وفى كونه مصدر حياة، فلا موت لكل من يأكله. فالمن إذن فى العهد القديم، كان رمزا يعطى الحياة للجسد. أما المسيح – خبز الحياة – فمن يأكله يحيا إلى الأبد، لأنه غذاء الروح، بعكس ما أراد أو فهم اليهود. وعبارة "**يحيا إلى الأبد**"، معناها أن الموت الجسدى لا يقدر أن يؤذيه. وملخص هذا، أن المسيح هو الإله الحى، ومانح الحياة، ويقدم جسده ودمه كخبز الحياة، فكل من أكل من هذا الجسد وشرب من هذا الدم، اتحد بمعطى الحياة وواهبها. فكيف يموت إذن؟ بل الموت الذى فينا، يصيرحياة باتحادنا بهذا الخبز السماوى.

✝*فهل فهمت الآن، أيها العزيز، مدى اهتمام الكنيسة بسر التناول الأقدس، ودعوتها المستمرة لكل أبنائها بالاشتراك فيه، لأنه هو الحياة الأبدية... هو الاتحاد بالمسيح... هو مغفرة الخطايا.*

(6) فاعلية جسد ودم المسيح (ع 52 - 59):

52- فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين: "كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟!" 53- فقال لهم يسوع: "الحق الحق اقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. 54- من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير. 55- لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق. 56- من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه. 57- كما أرسلنى الآب الحى، وأنا حى بالآب، فمن يأكلنى فهو يحيا بى. 58- هذا هو الخبز الذى نزل من السماء، ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. من يأكل هذا الخبز، فإنه يحيا إلى الأبد." 59- قال هذا فى المجمع وهو يعلم فى كَفْرَنَاحُومَ.

ع52: "**خاصم اليهود**": أى انقسم اليهود بين مؤيد ومعارض لما أعلنه المسيح من أنه خبز الحياة، وجسده المبذول من أجل خلاص العالم. وعدم الفهم هذا، يذكرنا بكل من نيقوديموس (ص 3) والسامرية (ص 4)، فى عدم إدراكهم للأسرار الإلهية. وتعبير "**كيف يقدر؟!**"، يحمل أيضا شيئا من التهكم على ما قاله المسيح.

ع53: إلا أن المسيح يجيبهم بما هو أكثر صعوبة، فليس أكل الجسد فقط، بل شرب الدم أيضا، واستخدام المسيح تعبير "**ابن الإنسان**"، هو إشارة لتجسده وموته؛ وبموته كذبيحة يبذل جسده من أجل حياة العالم. وكما كان خروف الفصح ذبيحة ارتبطت بالأكل منها بخلاص ونجاة كل شعب إسرائيل، فهكذا جسد المسيح المبذول يعطى النجاة والخلاص. أما الممتنع والرافض لهذه الذبيحة الحية، فهو ميت روحيا فى هذه الحياة، وكذلك فى الدهر الآتى.

✝*فتعال أيها الحبيب وتمتع بأعظم العطايا الإلهية، ولا تحرم نفسك من الحياة فى المسيح وبالمسيح، فأنت شهوة قلبه، وموضوع حبه؛ فلا تحرم نفسك منه، ولا تدعه ينتظرك.*

ع54: ذبيحـــة المسيح، جســـده ودمه وخلاصه، مُنِحَ لكل العالم. ولكن، لن يتمتع بالحياة الأبدية، إلا من أكل من هذه الذبيحة. إذن؛ فالتناول من جسد الرب ودمه، صار شرطا لهذا الخلاص والميراث الأبدى.

ع55: أى ليس رمزا ولا صورة، بل حقيقة. وهذه الآية، هى أبلغ الآيات التى ترد على كل من ادعى أن ذبيحة المسيح، فى سر التناول الأقدس، ليست إلا رمزا أو ذكرى، متجاهلين تأكيد المسيح بأن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق. ولا نعرف ماذا يطلبون أن يقول المسيح أكثر من هذا حتى يؤمنوا؟!

ع56: هبة جديدة يعطيها التناول من جسد المسيح ودمه، وهى هبة وعطية الثبات، فالغصن المقطوع لا قيمة له ولا حياة فيه. ولكن، إن ثبت الغصن فى الأصل كان الثمر، والمسيح نفسه القائل: "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا" (ص 15: 5)، فكما تسرى عصارة الحياة إلى أغصان الشجرة، هكذا دم المسيح فى اجسادنا يعطينا ثباتا واتصالا ونموا...

ع57: أبى مصدر الحياة وأنا الحياة ذاها (كأن نقول: الآب هو العقل، والابن هو التفكير.) وأنا أعطى الحياة الروحية الأبدية لكل من يأكل ذبيحة جسدى.

ع58: يختم الســـيد المسيح حديثه هنا عن جسده ودمه، بالعودة إلى بداية الحديث (ع 32، 33) فى المقارنة بين عطية طعـــام الجســـد "**المن**"، وبين العطية الأعظم، أى جسده المبذول من أجل حياة العالم. وهذه الآية تأتى كملخص لكل ما قيل، وتأكيد لما سبق فى الأعداد (33، 50، 51، 54، 57).

✞ *إلهى الحبيب... نسجد لك شكرا على عظم غنى عطاياك التى هى فوق عقولنا وإدراكنا، ولا يفهمها إلا من ولد من الروح القدس بالمعمودية، هذا الذى ترنم به القديس أغريغوريوس فى القداس الإلهى: "أنت الذى أعطيتنى هذه الخدمة المملوءة سرا... أعطيتنى إصعاد جسدك بخبز وخمر."*

نشكرك يا إلهنا، لأن فى جسدك الحياة الأبدية (ع51)، والقيامة الثانية (ع54)، الثبات فيك (ع56)، والاتحاد بك مع الآب من جهة الحياة (ع57).

أعطنا ألا نفارق مائدة الحياة – مذبحك المقدس – حيث عطية جسدك الأقدس.

ع59: حرص القديس يوحنا أن يذكر أن هذا الحديث كله كان فى المجمع، وقصد بتحديد المكان فى نهاية الحديث، أن يعلن إنه لم يكن حديثا خاصا للتلاميذ، بل هو إعلان لحقائق إيمانية على الملأ، أمام الكهنة وكل الشعب.

(7) عثرة تابعيه (ع 60 - 63):

60- فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا أن هذا الكلام صعب: "من يقدر أن يسمعه؟" 61- فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا، فقال لهم: "أهذا يعثركم؟ 62- فإن رأيتم ابن الإنسان صاعدا إلى حيث كان أولا؟ 63- الروح هو الذى يحيى، أما الجسد فلا يفيد شيئا، الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة."

ع60-61: التلاميذ هنا لم يُقصد بهم الاثنى عشر والسبعين رسولا الآخرين، ولكن المقصود كثيرين من الذين كانوا يتبعونه من مكان لمكان، معتبرين أنفسهم تلاميذَ له... وأما ما أعثرهم فيه، هو أمرين: قوله بأنه خبز الحياة النازل من فوق، والتأكيد على ضرورة أكل جسده وشرب دمه، إذ فهموا كلامه بصورة حرفية. فعلم يسوع بلاهوته أن كلامه يعثرهم، وأخبرهم بهذا.

ع62: إذا كنتم لا تقبلوا ما قلته الآن، فكيف يكون حالكم إذن وأنتم ترونني صاعدا إلى السماء، حيث مكانى أولا؟ فالمسيح، حتى الآن، لم يحل لهؤلاء مشكلتهم الأولى فى أكل جسده وشرب دمه، بل زاد عليها مشكلة جديدة، إذ يتحدث عن أزليته، مشيرا إلى صعوده لحضن أبيه، حيث كان أولا قبل تجسده (مر 16: 19؛ لو 24 :51؛ أع 1: 9).

ع63: المعنى المبسط لهذه الآية، هو أن المسيح يقدم لمن أعثروا فى كلامه الحل، وهو أنه لابد من الإيمان بكلامه روحيا، بعيدا عن الفهم العقلى والمادى المحدود، كلامى "**هو روح وحياة**". ومعنى "أما الجسد فلا يفيد شيئا"، فقد أجمع كل من اغسطينوس والقديس كيرلس الكبير على أن المعنى الذى قصده المسيح هو: إذا كان تصوركم هو أكل جسدى بالفهم المادى، كأنكم تأكلون لحما ماديا، فهو لا يفيد شيئا فى الحياة الأبدية. ولكن الذى يفيد، أن تأكلوا جسدى الحقيقى

متحدا بلاهوتى. وهو ما شرحه لتلاميذه بعد هذا لاحقا فى العشاء الربانى يوم خميس العهد، فأعطاهم جسده ودمه تحت أغراض الخبز والخمر. وهذا هو الإيمان الروحى المعطى للحياة الأبدية. راجع تاسيس السر فى (مت 26: 26، مر 14: 22، لو 22: 17، 19).

(8) إيمان التلاميذ (ع 64 - 71):

64- "ولكن منكم قوم لا يؤمنون." لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون، ومن هو الذى يسلمه. 65- فقال: "لهذا قلت لكم إنه لا يقدر أحد أن يأتى إلىّ إن لم يعط من أبى." 66- من هذا الوقت، رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه. 67- فقال يسوع للاثنى عشر: "ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا." 68- فأجابه سِمعان بطرس: "يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. 69- ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحى." 70- أجابهم يسوع: "أليس أنى أنا اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان؟" 71- قال عن يهوذا سِمعان الإسخريوطى، لأن هذا كان مزمعا أن يسلمه، وهو واحد من الاثنى عشر.

ع64: إشارة قوية للاهوت الابن، من حيث المعرفة السابقة والقاصرة على الله، فهو يعرف أن من بين الذين يسمعونه قوم لا يؤمنون بكلامه. ولكى نعلم إنه ليس استنتاجا للمسيح نتيجة قراءة وجوه الجمع، يضيف القديس يوحنا كلمتا **"من البدء"**، لتأكيد هذا الجانب اللاهوتى فى المعرفة السابقة للمسيح، مشيرا أيضا إلى أن معرفة المسيح، ليست فقط لمن لا يقبل كلامه، بل للتلميذ المزمع أن يسلمه أيضا.

ع65: يذكرهم المسيح بما قاله سابقا فى ع 44، 45 إنه لا يستطيع الإنسان أن يأتى أو يُقبل إلى المسيح، ما لم يكن الإيمان الذى وضعه الآب فى قلبه، هو الدافع الحقيقى والوحيد. أما من يأتى لدافع نفعى، أو ذاتى، أو سياسى كتحرير اليهود، فسيكون المسيح له حجر عثرة؛ وهو ما قاله سِمعان الشيخ فى نبوته إنه "وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل" (لو 2: 34).

ع66: أى الناس الذين رفضوا قوله بأن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق.

☩*إلهى الحبيب، نرفع لك صلاة موضوعها هؤلاء الذين يتركونك كل يوم إلى الوراء، ولم يعودوا معك يسيرون... يتركون ينبوع الحياة الحى، ويتركون أحضان حبك، إلى ماذا يا إلهى... إلى*

ماديات ومشاغل، لا يجنى منها الإنسان سوى تعبا دون راحة... إلهى... لا تسمح لنا، نحن الضعفاء، أن يشغلنا شئ عنك، بل نظل معك فى كنيستك، نأخذ من حبك وعطائك، خادمين لاسمك القدوس طوال أيام عمرنا... آمين.

ع67-68: ليس المقصود أن المسيح يريد أن يعرف قصدهم، وهو العارف منذ البدء، من الذى يتركه ومن الذى يتبعه، ولكن هذا السؤال، كان الغرض منه امتحان إيمانهم وإقرارهم به. ولهذا، جاءت إجابة بطرس موافقة تماما لسؤال المسيح، وكانت تعبيرا أيضا عما بداخل باقى التلاميذ، وتحمل إيمانا قويا. وعبارة "**إلى من نذهب؟**" تعنى أنه ليس لنا سواك، ولا نستطيع أن نرتد إلى الوراء كما فعل الآخرين. وعبارة "**الحياة الأبدية عندك**"، هى تصديق لكل ما قاله المسيح فى الأعداد السابقة عن الحياة الأبدية، وأنه مصدرها ومانحها من خلال أنه خبز الحياة وعطية جسده ودمه الأقدسين.

ع69: يكمل بطرس حديثه، فى إعلانه عن موقف التلاميذ معه، فى أن أساس تبعيتهم للمسيح هى الإيمان المعطى من الآب لهم، وهى تبعية سوف تستمر، بصرف النظر عمن تركوه: فإيماننا بك أنك أنت هو المسيح المخلص، وأنك أنت ابن الله الحى، لن يدع لنا مجالا آخر لتركك، وإلا صرنا كأننا نترك الحياة إلى الموت، والأبدية إلى الهلاك.

ع70-71: يستكمل السيد المسيح استعلان معرفته الإلهية بتصحيح كلام بطرس، فيقول له: لقد تكلمت يا بطرس عن سائر إخوتك التلاميذ بكلام الإيمان الحسن، ولكن ليس هذا إقرار الجميع كما قلت، لأن بينكم من لا يؤمن، بل ملأ الشيطان قلبه، وهو الذى يسلمنى ويخوننى...

ولنلاحظ هنا قول السيد: إنه بالرغم من اختيارى وتلمذتى لكم، فوسطكم شيطان. وهذا معناه أن الله يختار الإنسان ويدعوه، ولكن الإنسان قد يثبت أو يترك الله بإرادته الحرة. وبالتالى، فإن التعليم بأن المؤمن لا يهلك أبدا هو تعليم غريب، فالله أيضا اختار يهوذا، ولكن يهوذا لم يثبت فى هذا الاختيار، فكان هلاكه.



الأَصْحَاحُ السَّابِعُ

حديث المسيح عن نفسه وعن الروح القدس ، إيمان الجمع ورفض الرؤساء

η E η

(1) المكوث فى الجليل (ع 1-9):

1- وكان يسوع يتردد بعد هذا فى الجليل، لأنه لم يرد أن يتردد فى اليهودية، لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه. 2- وكان عيد اليهود "عيد المظال" قريبا. 3- فقال له إخوته: "انتقل من هنا واذهب إلى اليهودية، لكى يرى تلاميذك أيضا أعمالك التى تعمل. 4- لأنه ليس أحد يعمل شيئا فى الخفاء وهو يريد أن يكون علانية. إن كنت تعمل هذه الأشياء، فأظهر نفسك للعالم." 5- لأن إخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به. 6- فقال لهم يسوع: "إن وقتى لم يحضر بعدُ، وأما وقتكم ففى كل حين حاضــر. 7- لا يقــدر العالم أن يبغضــكم، ولكنه يبغضنى أنا، لأنى أشـــهد عليه أن أعماله شريرة. 8- اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لست أصعد بعدُ إلى هذا العيد، لأن وقتى لم يكمل بعد." 9- قال لهم هذا، ومكث فى الجليل.

ع1: "**بعد هذا**"، أى بعد معجزة إشباع الجموع، والحديث المطول عن "جسده ودمه"، مكث المسيح فترة فى الجليل، مبتعدا عن اليهودية – القسم الجنوبى – وذلك بسبب حسد اليهود، وشكايتهم على المسيح الذى كسر السبت، وطلبوا قتله لهذا السبب.

ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: "إن المسيح يعلّمنا هنا مبدءا هاما، وهو أن الابتعاد عن الخطر والفرار من المضطهدين، حيثما تقتضيه الحاجة، هو نوع من الحكمة والفطنة، فالمواجهة فى أحيان كثيرة لا تكون ضرورية ... "

والمسيح هنا – حاشا – لم يكن خائفا، وهو العالم بأنه سوف يبذل ذاته، ولكن لكل شئ وقت.

ع2: "**عيد المظال**": هو أحد أعياد اليهود الثلاثة الكبار. وكانت مدة العيد 8 أيام، ومكانه أورشليم، ويسمى بموسم الحصاد، وقد فرض هذا العيد على إسرائيل من الله (خر 23: 16) لمعانيه الروحية التالية:

(1) **تذكار الغربة**: فالجميع يتركون منازلهم، ويسكنون تحت مظال فوق الأسطح أو على الطرقات، ليذكرهم الله بالأربعين سنة التى قضوها فى البرية، ثم كيف أورثهم الله هذه الأرض.

(2) **الشكر والفرح**: فالحصاد يبدأ مع أول الأعياد، وهو الفصح، ولكنه ينتهى منه بالتمام مع زمن عيد المظال، فيكون الشكر والفرح على بركات السنة كلها.

☩ *إلهى الحبيب... اجعلنى دائما متذكرا أننى هنا فى زمن الغربة تائها، ولكن راحتى الحقيقية والدائمة هى عندك هناك حيث الميراث الباقى الحقيقى، فلا تجعل شيئا يشغلنى عنك وعنه، وأعنّى على قضاء غربتى بسلام...*

ع3-5: "**إخوته**": ذكرهم القديس متى (13: 55)، وهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؛ وهم إخوة للمسيح، ولكن ليس من القديسة البتول مريم، بل إن أبناء الخالة والعمومة يطلق عليهم إخوة فى منطقة الشام، كما أطلق على إبراهيم ولوط قديما إنهم إخوة، بالرغم من أن إبراهيم هو عمه.

أما ما قاله هؤلاء الإخوة للمسيح باختصار هو: إنه عليك أن تذهب، حيث الجموع والزحام فى عيد المظال، لتصنع معجزاتك هناك، فيؤمن الجميع بك، بدلا من أن تصنع هذه العجائب هنا فى القرى الصغيرة، ولا يعرفك أحد. ولكن القديس يوحنا يكشف لنا سرا يوضح الدافع لهذه النصيحة، وهذا السر هو (ع5) إن إخوته لم يكونوا يؤمنون به. وبالتالى، أرادوا للمسيح أن يذهب لأورشليم، حتى يفحصه الكهنة والكتبة ليعرفوا هل هو المسيح أم لا.

ع6: "**وقتى لم يحضر بعد**": تحتمل معنيان؛ الأول: هو ما يختص بوقت صلبه وفدائه وتقديم نفسه ذبيحة من أجل العالم. والثانى: سوف أصعد، ولكن ليس الآن. فالصعود العلنى مع حالة الترقب، يهيج حسد الرؤساء، فيطلبونه للموت قبل الوقت المعيّن، والذى حدده الله نفسه. وهذا المعنى يوافق سياق الأحداث فى الأصحاح نفسه (ع10، ع14) فى صعوده لأورشليم خافيا نفسه، ثم كلامه فى الهيكل.

"**وقتكم ففى كل حين حاضر**": أى تستطيعون الذهاب إلى العيد فى أى وقت.

ع7: يشـــير السيد هنا إلى ســـبب بغض اليهود وعدم قبولهم له، وهو أن العالم فى مجمله، وبسبب خطية حب الذات، لا يقبـــل التوبيخ، بل هو مستعد حتى لقتل كل من يوبخه، فالذى

يحب الظلمة يكره النور. فعندما كاشفهم المسيح بخطاياهم، طالبوا بهلاكه، بدلا من الاستماع له والتوبة عنها.

☩ *يا ليت قلوبنا تتضع وتعترف بخطاياها، ونستمع لصوتك أيها المخلص، فنوبخ أنفسنا، بدلا من أن نتجاسر، فى كثير من الأحيان، ونلقى باللوم عليك فيما نستحقه نحن من تأديب.*

ع8-9: يكمل السيد المسيح الحديث لإخوته فى ذهابهم مع الجموع الصاعدة لأورشليم، متنحيا عنهم فى الذهاب، مقدما ما سبق وقاله فى (ع6) من حيث الوقت المعين لذهابه، ولنا أن نستنتج من المقابلة (ع14)، أنه مكث فى الجليل حوالى 4 أيام، حتى انتصف العيد، قبل أن يظهر فى أورشليم.

(2) صعود المسيح لأورشليم وحديثه فى الهيكل (ع 10-24):

10- ولما كان إخوته قد صعدوا، حينئذ صعد هو أيضا إلى العيد، لا ظاهرا، بل كأنه فى الخفاء. 11- فكان اليهود يطلبونه فى العيد، ويقولون: "أين ذاك؟" 12- وكان فى الجموع مناجاة كثيرة من نحوه، بعضهم يقولون: "إنه صالح"، وآخرون يقولون: "لا، بل يضل الشعب." 13- ولكن، لم يكن أحد يتكلم عنه جهارا، لسبب الخوف من اليهود. 14- ولما كان العيد قد انتصف، صعد يسوع إلى الهيكل، وكان يعلم. 15- فتعجب اليهود قائلين: "كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم؟" 16- أجابهم يسوع وقال: "تعليمى ليس لى، بل للذى أرسلنى. 17- إن شاء أحد أن يعمل مشيئته، يعرف التعليم، هل هو من الله، أم اتكلم أنا من نفسى. 18- من يتكلم من نفسه، يطلب مجد نفسه، وأما من يطلب مجد الذى أرسله، فهو صادق، وليس فيه ظلم. 19- أليس موسى قد أعطاكم الناموس، وليس أحد منكم يعمل الناموس، لماذا تطلبون أن تقتلونى؟" 20- أجاب الجمع وقالوا: "بك شيطان، من يطلب أن يقتلك؟" 21- أجاب يسوع وقال لهم: "عملا واحدا عملت فتتعجبون جميعا. 22- لهذا أعطاكم موسى الختان، ليس أنه من موسى، بل من الآباء، ففى السبت تختنون الإنسان. 23- فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت، لئلا ينقض ناموس موسى، أفتسخطون علىّ لأنى شفيت إنسانا كله فى السبت؟ 24- لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكموا حكما عادلا."

ع10-11: صعد السيد المسيح فى الخفاء لأورشليم، وهو تصرف فى غاية الحكمة. فلو كان صعد مع الجموع، لكانوا نادوا به ملكا، كما حدث فى زيارته الأخيرة لأورشليم، وهذا بخلاف التدبير الذى قصده، وخاصة أن ساعته لم تأت بعد.

☩ *ليتنا نتعلم فى صلواتنا انتظار استجابة الله فى الوقت الذى يراه، فإن الله له تدابير لحياتنا لا نصل إليها؛ بل لنعلم أنه لكل شئ تحت السماء وقت.*

ويصور أيضا القديس يوحنا حال اليهود الذين كانوا يترقبون ظهور المسيح مع أول أيام العيد، بسؤال: "**أين ذاك؟**"، الذى يحمل فى المعنى الاحتقار والحقد، أكثر من الانتظار باشتياق. وهذا يكشف لنا أن الانتظار كان فيه شئ من التربص، وهو تأكيد لحكمة المسيح فى اختيار الوقت المناسب للذهاب.

ع12-13: تضاربت الآراء حول شخص المسيح، فالبعض يرون "**إنه صالح**"، أى مستقيم ولا عيب فيه؛ والآخرون يرون إنه "**يضل الشعب**"، أى يخدعه. ويجمع القديسون أن الفريق الآخر، هم الحاسدون من أنصار الكتبة والفريسيين، الذين وبخهم المسيح. إلا أنه لم يجسر أحد أن يتكلم فى ذلك علانية، بل معظم الأحاديث كانت على مستوى مجموعات صغيرة، وفى سرية، وذلك بسبب الخوف من رؤساء وولاة اليهود (الكهنة والفرسيون).

ع14-15: أى بعد أربعة أيام، أعلن المسيح عن نفسه، وظهر فى الهيكل بسلطان، بل أخذ أيضا يعلم الجموع. ويصف القديس متى أن ظهوره هكذا، باغت به الرؤساء، الذين، بالرغم من حنقهم عليه، خافوا أن يقاوموه، "لئلا يكون شغب فى الشعب" (مت 26 : 5)، راجع أيضا (مت 21: 46).

أما رد فعل اليهود، فكان التعجب من سمو وجمال ودقة التعليم، معربين عن هذا التعجب بأنه لم يكن معروفا عن المسيح أنه من تلاميذ علماء اليهود، فكيف إذن يعرف الكتب – أى النبوات والناموس – بكل تفاصيلها؟

ع16: يتكرر هذا المشهد أكثر من مرة، وهو إما التذمر، أو التعجب، أو الهمهمة، التى كان يقرأها السيد المسيح على الوجوه، أو يعلمها بلاهوته، حتى دون أن يوجه له أحد سؤلا مباشرا. وإذ علم السيد المسيح ما فى أذهانهم من جهة أصله وتعليمه بحسب رؤيتهم الجسدية... أجابهم عما كان يحيرهم، أن مصدر هذا كله، هو الآب الذى أرسله إلى العالم. وبالرغم من أن الآب والابن واحد، لكن المسيح كان يعلم جيدا أنه لو قال إنه مصدر التعليم، لما قبله اليهود، بل نسبه للآب، كما قال سابقا: "الآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى" (ص 5: 37).

ع17: يضيف المسيح فى حديثه وسيلة التحقق من صدق التعليم الذى يسمعه اليهود، فليست الوسيلة هنا هى التلمذة تحت أيدى معلمى اليهود، بل الوسيلة الوحيدة هنا، هى أن يكون

الإنسان متوافقا وعاملا لمشيئة الله، وخاضعا لها فى حياته، فهذه الطريقة فقط هى التى تقود الإنسان إلى معرفة الحق، فلا يستطع أن يميز صوت الله، إلا من يتمم مشيئته ويعمل بها.

ع18: يضيف السيد هنا ويؤكد ارتباطه بالمصدر، فهو لا يطلب مجدا لنفسه كما يفعل الفريسيون، وهذا دليل على صدق وعدل قوله.

☨*إلهى الحبيب... علمتنا كيف يكون إخلاء الذات، وأنت صاحب كل المجد والكرامة، بل أخذت صورة العبد، ناسبا كل شئ للاب، وأنت المساوى له... أما أنا، فلا زلت أسرق مجدك وأفتخر بكل ما أعطيتنى، ناسبا إياه لنفسى. فما اقبح ذنبى، الإله يتضع والمخلوق يرتفع... سامحنى، وعلمنى كيف أسلك مثلك فى اتضاع، وأعترف بفضلك.*

ع19-20: ينقل السيد المسيح هنا الحديث إلى الفريسيين، فى مواجهة، الغرض منها كشف ريائهم، وازدواجية معاييرهم فى الحكم، بل يريد أيضا منهم أن يكونوا شهودا على أنفسهم فى تعدياتهم على الناموس الذى يبدون الغيرة عليه وعلى أحكامه. فالمسيح هنا، يكاشفهم بأن علاقتهم بالناموس علاقة ظاهرية، أما المعرفة والعمل الحقيقى بالناموس فلا يوجد، فلو كانوا فعلا خاضعين للناموس بروح الله، ما كان فكرهم يذهب لقتل المسيح، وهذا ما فاجأهم به المسيح كعارف لخفايا افكارهم. أما هم فأنكروا ما كشفه السيد المسيح، بل زادوا على إنكارهم اتهامه بأن به شيطان، مضيفين على ريائهم وأفكارهم خطية جديدة، هى التجديف على الإله نفسه.

ع21: العمل الذى يشير له المسيح، هو معجزة شفاء مريض بيت حسدا (ص5)، وهى معجزة أتمها يوم سبت، فأثارت سخط اليهود، واعتبروها كسرا للسبت، وعملا يستوجب الموت، وتعتبر هذه الآية مقدمة للأعداد (22–24).

ع22-24: فى هذه الأعداد، يثير السيد المسيح قضية منطقية، يريد من خلالها أن يكون الإنسان حكمه عادلا ومنطقيا، ولا يأخذ بظواهر الأمور. أما ما أراد السيد أن يقدمه كدليل على ذلك، فهو موضوع الختان. وكان ما قاله المسيح هو الآتى:

(1) إن الختان كان عهدا، ولكن من أيام الآباء – إبراهيم – وقبل ناموس موسى.

(2) جاء ناموس موسى يحرّم أى عمل كان فى السبت.

(3) ولكن الختان كان فى اليوم الثامن من ميلاد الذكر، فإذا جاء اليوم الثامن سبتا، أجاز الناموس إتمامه.
(4) والسؤال الأخير الذى يوجهه السيد: "إذا كنتم تكسرون السبت من أجل الختان الذى يمكن تأجيله يوما، وهو علامة طلبها الله من الإنسان، فهل شفاء إنسان بالكامل وإعطائه القدرة على الحركة يعتبر كسرا للسبت؟ فإذا كان الله أجاز كسر السبت للختان، فهو يجيز كسر السبت أيضا من أجل حياة وخير الإنسان.
(5) ويختم المسيح حديثه (ع24) بنصيحة، لا لليهود فقط، بل لنا جميعا، وهى ألا يحكم الإنسان حكما سطحيا، وبحسب الظاهر، بل أن يفهم تماما القصد الإلهى.

✝ *ولهذا أيها الحبيب، نجد أن قديسى الكنيسة لم يتسرعوا أبدا فى أحكامهم، بل كانوا يفحصون كل شئ فى خوف الله وفهم الروح القدس، وهربوا جميعا من إدانة الآخر... فمن منا يعلم كل العلم حتى يصدر أحكامه على الآخرين؟!*

(3) تحير اليهود من كلام المسيح (ع 25-31):

25- فقال قوم من أهل أورشليم: "أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه؟ 26- وها هو يتكلم جهارا، ولا يقولون له شيئا. ألعل الرؤساء عرفوا يقينا أن هذا هو المسيح حقا؟ 27- ولكن، هذا نعلم من أين هو. وأما المسيح، فمتى جاء، لا يعرف أحد من أين هو." 28- فنادى يسوع، وهو يعلم فى الهيكل، قائلا: "تعرفوننى، وتعرفون من أين أنا. ومن نفسى لم آت، بل الذى أرسلنى هو حق، الذى أنتم لستم تعرفونه. 29- أنا أعرفه، لأنى منه وهو أرسلنى." 30- فطلبوا أن يمسكوه، ولم يلق أحد يدا عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد. 31- فآمن به كثيرون من الجمع، وقالوا: "ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التى عملها هذا؟"

ع25-27: "**أهل أورشليم**": أى أهل المدينة، وليس اليهود الوافدين إليها. وهم أكثر علما والتصاقا بالرؤساء، ويعرفون ما يضمرونه لشخص المسيح. ووقع أهل أورشليم فى حيرة للأسباب التالية:

(1) أن المسيح يتكلم ويعلّم جهرا، و لم يقاطعه أو يمنعه أحد من الرؤساء (الكهنة والفريسيين).
(2) لعل السبب كان أن الرؤساء أنفسهم آمنوا أنه هو المسيح، ولهذا لم يعارضوه أو يقاوموه، وهم الذين قد قرروا قتله قبلا.

(3) ولكن، أكثر ما حيرهم، هو تقليد وتعليم خاطئ كان سائدا لمعلمى اليهود، أن المسيح عندما يأتى، لن يعلم أحد من أين يأتى، ولكنه سيظهر بغتة فى الهيكل؛ أما هذا، فبالرغم من أعماله ومعجزاته وتعاليمه، إلا أنهم يعلمون منشأه وأسرته وإخوته.

ع28-29: "**نادى يسوع**": أى رفع صوته أكثر عما كان يعلّم به، قائلا ومجيبا عليهم، بأن ما يعلمونه عنه، هو ما شهد به الأنبياء، أن المسيح يولد فى بيت لحم؛ وهذا ما أجاب به الرؤساء على هيردوس عندما سأل: "أين يولد المسيح؟" (مت 2: 4 و5). ولكن السيد لم يكتف بإعلان أن معرفهتم الجسدية له تتماشى مع كونه المسيح، بل أضاف بُعدا لاهوتيا، وهو أن الذى أرسله هو الله الآب – الحق – والذى بسبب حرفيتكم وتقليدكم الخاطئ، ضللتم فى معرفته ومعرفة قصده. وبالتالى، معرفتى أما أنا فأعرفه، لأننى منه ومن جوهره ونفس طبعه اللاهوتى الأزلى، وهو الذى أرسلنى (ع29) كما سبق وقلت مرارا.

ع30: استفزهم كلام السيد المسيح فى أنهم لا يعرفون الله، وهم المعتبرين أنفسهم شعبه المختار، فحاولوا القبض عليه، ولكن لم يستطع أحد، لأن الله نفسه لم يسمح لهم. وهذا ما أشار إليه القديس يوحنا: "أن ساعته لم تكن قد جاءت بعد".

✝ *ومن هذا، نتعلم شيئين:*

الأول: *خاص بالمسيح، الذى قال إنه صاحب السلطان وحده فى أن يضع ذاته ويقيمها؛ وهذا تأكيد لقدرته اللاهوتية وحده.*

الثانى: *هو درس لنا جميعا، فى أنه مهما حاول الأشرار المساس بأبناء الله، فلن يستطيعوا شيئا إلا ما يسمح به الله... ولهذا فنحن نصلى، فى صلاة الشكر وقانون الإيمان، منادين إلهنا حامى كنيسته "ضابط الكل"، وهى صفة تشيع فى نفس الشعب الطمأنينة والاستقرار، لأن كل الأمور فى يد الله محب البشر.*

ع31: "**آمن كثيرون من الجمع**": أى البسطاء، وليس رؤساء اليهود، وعبّروا عن إيمانهم بسؤال استنكارى بسيط، موجه للرؤساء رافضى الرب يسوع، وهو: "هل إذا جاء المسيح، كما تقولون، سيأتى بمعجزات وعجائب أعظم مما صنع الذى نراه بأعيننا الآن؟!"

(4) المسيح ينبئ بصعوده وفاعلية الروح القدس (ع 32-44):

32– سمع الفريسيون الجمع يتناجوْن بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمســـكوه.33– فقال لهم يســـوع: "أنا معـــكم زمانـــا يســـيرا بعدُ، ثم أمضى إلى الذى أرسلنى. 34– ستطلبوننى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا." 35– فقال اليهود فيما بينهم: "إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين، ويعلم اليونانيين؟ 36– ما هذا القول الذى قال: ستطلبوننى ولا تجدوننى، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟" 37– وفى اليوم الأخير العظيم من العيد، وقف يسوع ونادى قائلا: "إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب. 38– من آمن بى، كما قال الكتاب، تجرى من بطنه أنهار ماء حى." 39– قال هـــذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِىَ بعدُ، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّدَ بعدُ. 40– فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام، قالوا: "هذا بالحقيقة هـــو النبى." 41– آخرون قالوا: "هذا هـــو المسيح." وآخرون قالوا: "ألعل المسيح من الجليل يأتى؟ 42– ألم يقـــل الكتـــاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التى كان داود فيها يأتى المسيح؟" 43– فحدث انشقاق فى الجمع لسببه. 44– وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه، ولكن لم يلق أحد عليه الأيادى.

ع32: سمع الفريسيون بإيمان الجمع أنه المسيح، فأرسلوا خدامهم ليقبضوا عليه. والفرق بين هذه المرة والتى قبلها، أنه فى المرة الأولى, كان أفراد من الشعب هم الذين أرادوا أن يمسكوا المسيح؛ أما هذه المرة، فهم خدام مكلفون – بقوة القانون – من قِبَلِ رؤساء الكهنة والفريسين، الذين يكوّنون معا مجمع "السنهدريم" فى أورشليم، الذى يتكون من سبعين من كبار شـــيوخها رؤساء اليهود، لذا يسمى أيضا مجلس السبعين، وهو المجلس الأعلى وتتبعه كل المجالس الفرعية. كما أنه أكبر سلطة يهودية تأخذ القرارات فى أمور اليهود الدينية، وكان كثير من الكتبة أيضا أعضاء فى هذا المجمع؛ وهو أعلى سلطان مدنى لليهود بعد الدولة الرومانية.

ع33-34: يشير السيد المسيح فى إجابته إلى الزمن القصير المتبقى لخدمته على الأرض، وهو نحو ستة أشهر، من عيد المظال إلى الفصح، وبعدها يصلب ويموت، ويقوم، ويصعد؛ فلا يعودوا يجدونه، لأنه سيكون فى حضن أبيه، وهو المكان الذى نزل منه (ص 1: 18).

"**ستطلبوننى ولا تجدوننى**": هو أيضا ما قاله الرب فى (لو 17: 22) "ستأتى أيام فيها تشتهون أن تروا يوما من أيام ابن الإنسان"، ويعنى أن من يرفضونه الآن، هم أنفسهم من سيندمون على ذهابه وفراقه، بعد أن يعلن مجد ذاته بقيامته وصعوده.

"**حيث أكون أنا**": أى وأنا فى كل مجدى، وفى حضن أبى؛ لن يستطيع كل من رفض ابن الإنسان، و لم يؤمن به، أن يدخل إلى الأقداس، ويتنعّم معه بالحياة الأبدية هناك، والتى أعطيت فقط لكل من آمن به وعمل بكلامه. والكلام فى كل معناه، إنه بالرغم من تكليف الخدام بقوة القانون بالقبض على المسيح، إلا أنه وحده صاحب السلطان فى تحديد هذا الوقت كما سبق فى (ع30).

ع35-36: إضافة لمشهد متكرر فى إنجيل القديس يوحنا بالذات، وهو أن ما يعنيه السيد المسيح، يفهمه الشعب بصورة أخرى... فكل ما جاء فى (ع33، 34)، ترجمه بعض الحاضرين أن المسيح، بسبب عـــدم نجاحه فى إقناع اليهود بأنه هو المسيح، ربما يذهب إلى اليونان ويعلّم يهود الشتات، أى اليهود المتفرقين والساكنين بلاد اليونان، محاولا اجتذابهم، وجعلهم يؤمنون به.

ع36: يوضح المشاعر الداخلية لليهود، والتى تحمل الاستخفاف وعدم الفهم أكثر من أى شئ آخر.

ع37: "**اليوم الأخير**": هو اليوم الثامن (فى عيد المظال) وأعظمها، لكثرة المحتفلين، وأنه يوم اعتكاف لا يُعمل فيه عملا. وكان هناك طقسا مصاحبا لهذا العيد، لابد من الإشارة اليه، لعلاقته بما سوف يقوله السيد المسيح فى هذه الآيه... كان هذا الطقس، هو أن رئيس الكهنة يذهب لمدة 7 أيام ويملأ جرة ذهبية من ماء بركة سلوام، ويصبها على مذبح النحاس، وأثناء ذلك، يسبح الشعب كله كل النبوات المتعلقة بالمياه، تذكارا لخروج الماء من الصخرة فى البرية، وخلاص كل الشعب... طوال السبعة أيام، النفوس مرتبطة بالصخرة وبالماء كرمز للحياة... وهنا، جاء كلام المسيح فى اليوم الثامن عن الماء الروحى، وبوصفه لنفسه أنه هو الصخرة الحقيقية، عوضا عن الرمز فى البرية، مناديا وداعيا الجميع أن يأتوا ويشربوا منه، فتكون لهم الحياة الحقيقية. وهذا ما أعلنه أيضا السيد فى سفر الرؤيا، عندما قال: "من يعطش فليأت، ومن يرِد فليأخذ ماء حياة مجانا" (رؤ 22: 17).

☩*نعم أيها الحبيب... أنت مصدر الارتواء الوحيد، فكل مغريات العالم هى سراب، ولكنك النبع الوحيد الحقيقى، كما قال عنك إشعياء: "كنبع مياه لا تنقطع مياهه" (58: 11).*

فأنت الخالق... وبالتالى، أنت العارف باحتياجات النفس التى خلقتها، والقادر على إشباعها، وكل ما هو عداك هو باطل، ولهث وراء شهوات لا تترك سوى جفاف... فاروني يا نبع الحب بماء حبك، واجعلني أنمو فى نعمتك العاملة فىّ، مجددا عهود معموديتى يا ماء الحياة.

ع38-39: يعود السيد ويؤكد أن مصدر كل عطية ونعمة وهبة، هو الإيمان به، وهذا ما التزم القديس يوحنا بإبرازه فى بشارته كلها. وهبة الإيمان فى هذه المرة، هى عمل المسيح بالروح القدس فى النفس التى تؤمن به، فيكون لها ثمر حياة، ووفرة فى المواهب الروحية؛ فالمسيح هو النبع، والنفس التى تتبعه تأخذ منه، فيصير نبع المسيح فيها تيارا لا يتوقف... (راجع ص4: 14) فى حديثه مع المرأة السامرية...

وفى (ع39)، يربط القديس يوحنا بين الإيمان بالمسيح وقبول عطية الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسم المسيح لكل من آمن به. كما يشير هنا إلى أحداث مستقبلية عاشها هو أيضا بنفسه، وهى أن الروح القدس لن يحل على المؤمنين، إلا بعد موت المسيح وقيامته وصعوده فى المجد.

☩*يلاحظ أنه عندما تتحدث الكنيسة عن الإيمان، فهى تعنى إيمانا عمليا، وليس إيمانا نظريا كإيمان الكتبة والفريسيين، أو حتى إيمان الشياطين (يع 2: 19)، بل كما قال السيد: كل من يؤمن بى ويعمل بوصاياى...*

ع40-43: تباينت آراء المستمعين إلى 3 آراء:

المجموعة الأولى: رأت أنه النبى العظيم الذى أنبأ عنه موسى فى تث (18: 15)، ولكن انتظره اليهود من أجل الخلاص السياسى من الرومان، وبعد فترة طويلة خلت فيها الساحة من الأنبياء العظماء، و لم يفهموا أنه المخلص من الخطية.

والمجموعة الثانية: رأت أنه هو المسيح، وذلك من خلال معجزاته وأمثاله وأحاديثه الروحية، والتى لم تشابه أحاديث كل المعلمين أو الكتبة والفريسيين ...

أما المجموعة الثالثة: فقد أنكرت هذا، وعللت إنكارها بأن يسوع، معلوما لديهم إنه من الناصرة، والمفترض أن يكون من بيت لحم كما فى الكتب. ولو كانت هذه المجموعة تتبعت بدقة،

لعلمت أن المسيح ولد فعلا فى بيت لحم (مت 2: 1-6 ؛ راجع أيضا مى 5: 2)، وإن كانت نشأته فى الناصرة وجليل الأمم.

✝ *إلهنا الأعظم... كثيرا ما ننزلق، وندخل فى مباحثات ومتاهات فى ظاهرها أنها كلها حولك، ولكن هذا الانزلاق يأخذنا بعيدا عنك، بالرغم من أنك إله البسطاء، ولا زالت عطاياك وهباتك كما هى. فلا تدعنا ننشغل بما يبعدنا عن الحياة معك، فنحن جميعا كأرض يابسة فى اشتياق إلى نبع مائك الحى، وعطية روحك القدوس، حتى تزدهر حياتنا بك، وتنمو فى روحك.*

ع44: أما القوم الذين كانوا يريدون إلقاء القبض عليه، فهم خدام رؤساء الكهنة (ع32)، وسيأتى الحديث عنهم.

(5) رؤساء اليهود يرفضون المسيح (45-53):

45- فجاء الخدام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين، فقال هؤلاء لهم: "لماذا لم تأتوا به؟" 46- أجاب الخدام: "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان." 47- فأجابهم الفريسيون: "ألعلكم انتم أيضا قد ضللتم؟ 48- ألعل أحدا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به؟ 49- ولكن هذا الشعب الذى لا يفهم الناموس هو ملعون". 50- قال لهم نيقوديموس، الذى جاء إليه ليلا، وهو واحد منهم: 51- "ألعل ناموسنا يدين إنسانا لم يسمع منه أولا ويعرف ماذا فعل؟" 52- أجابوا وقالوا له: "ألعلك انت أيضا من الجليل؟ فتش وانظر، إنه لم يقم نبى من الجليل." 53- فمضى كل واحد إلى بيته.

ع45-47: عاد الخدام المكلفون من السنهدريم (راجع ع32)، دون القبض على المسيح، للأسباب التالية:

(1) تأثرهم الشخصى بتعاليم المسيح التى لم يروا لها نظيرا.

(2) انحياز معظم الشعب لجانب المسيح، سواء باعتباره النبى أو المسيح المنتظر. والشهادة التى نقلها هؤلاء الخدام، هى شهادة حقيقية عما رأوه، وفحواها أنه، لولا خوفهم من سلطان الرؤساء، لقالوا أيضا إنه المسيح. وهذا نستنتجه من خلاصة شهادتهم: "كلام ليس لإنسان"، أى أنه ليس إنسانا. وكان هذا الرد الأمين، والشهادة القوية، استفزازا لرؤساء اليهود، الذين بلغ غيظهم مداه، حيث اتهموا الخدام بضلالتهم.

ع48-49: الكلام هنا على لسان مجلس الكهنة والفريسيين – الرؤساء – وهو سؤال استنكارى تهكمى، بعد استماعهم لإجابة الخدام المخزية، والغير متوقعة، ومعناه إنه لم يعد ينقص شئ سوى أن يؤمن أحدنا أيضا بهذا المضل. وكنوع لتبرير ما حدث، ألقوا باللوم على هذا الشعب، بأنه شعب جاهل، ليست له معرفة بالناموس، شعب يسهل خداعه. والقديس يوحنا يكشف لنا قسوة قلب من ادعوا أنفسهم رعاة ومعلمين، عندما وصفوا شعبهم ورعيتهم بأنهم شعب ملعون.

ع50-51: والكلام لــ **"نيقوديموس"**، الذى سبق وقدمه لنا القديس يوحنا، فى (ص3)، فى الحوار الليلى مع المسيح عن المعمودية، والذى أقر فى حديثه: "نعلم أنك قد أتيت من الله معلما" (ص 3: 2). ونيقوديموس جمع بين الإيمان بالمسيح، والخوف أيضا من باقى الرؤساء. ولهذا، نجده، فى (ع51)، يحاول الدفاع عن المسيح، وتقليل روح الثورة لدى باقى الفريسيين ورؤساء الكهنة، بالتماس حق شرعى بقوة الناموس لصالح المسيح، وهذا الحق هو أن الناموس يقضى بعدم الحكم على إنسان دون محاكمة، أى، بلغة القانون، إن المسيح برئ إلى أن تثبت إدانته.

ع52: كانت إجابة الفريسيين على نيقوديموس، هربا من إجابتهم الواجبة على ما قاله، وبنوع من التهكم عليه – خارجا عن موضوعية الحوار – فإنهم كانوا يعلمون أنه ليس من الجليل. وهذا الاتهام التهكمى معناه: لماذا تحابى هذا الإنسان وكأنك من مسقط رأسه؟ فى محاولة لإسكاته، وتبرير موقفهم، إذ قالوا له: لم يذكر أبدا أن هناك نبيا خرج من الجليل...

ويلاحظ أن حتى هذا الدليل خاطئ، فيونان النبى كان من الجليل، وكذلك ينتسب كل من هوشع وناحوم وإيليا وأليشع.

ع53: نهاية الأمر ونهاية عيد المظال، أن كل مضى إلى بيته بمشاعر الغيظ والعجز، لتجمع الشعب حول المسيح، وعدم طاعة الخدام فى القبض عليه. وبهذا، تمم الله قصده بعدم القبض عليه، إذ لم تأت ساعته بعد.



الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ

التى أمسكت فى زنا ، الإيمان بالمسيح

η E η

(1) المرأة الممسكة فى ذات الفعل (ع 1-11):

1- أما يسوع، فمضى إلى جبل الزيتون. 2- ثم حضر أيضا إلى الهيكل فى الصبح، وجاء إليه جميع الشعب، فجلس يعلمهم. 3- وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا. ولما أقاموها فى الوسط، 4- قالوا له: "يا معلم، هذه المرأة أُمْسِكَتْ وهى تزنى فى ذات الفعل. 5- وموسى، فى الناموس، أوصانا أن مثل هذه ترجم. فماذا تقول أنت؟" 6- قالوا هذا ليجربوه، لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأما يسوع، فانحنى إلى أسفل، وكان يكتب بأصبعه على الأرض. 7- ولما استمروا يسألونه، انتصب، وقال لهم: "من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولا بحجر." 8- ثم انحنى أيضا إلى أسفل، وكان يكتب على الأرض. 9- وأما هم، فلما سمعوا، وكانت ضمائرهم تبكتهم، خرجوا واحدا فواحدا، مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين. وبقى يسوع وحده، والمرأة واقفة فى الوسط. 10- فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سوى المرأة، قال لها: "يا امرأة، أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دانك أحد؟" 11- فقالت: "لا أحد يا سيد." فقال لها يسوع: "ولا أنا أدينك، اذهبى ولا تخطئى أيضا."

ع1: "أما يسوع... جبل الزيتون": لم يشر القديس يوحنا لماذا مضى الرب إلى جبل الزيتون. ولكن، يمكن الاستنتاج، مما قاله القديس لوقا فى (6: 12)، إنه كان يخرج إلى الجبل، ويقضى الليل كله يصلى. أما جبل الزيتون، فيقع شرق أورشليم.

ع2: "فى الصبح": أى ثانى أيام انقضاء العيد. وذهب إلى الهيكل ليكمل تعليمه للجموع، وجلس ككبار معلمى اليهود، يحدثهم عن كرازة الملكوت.

☩ *أخى الحبيب... ألا تلاحظ معى كيف كان أسلوب حياة السيد المسيح... ليس هناك وقتا لإضاعته، فبعد خدمة شاقة 4 أيام فى العيد مع الجموع، ثم سهر فى الصلاة، عاد للتعليم من جديد... إنه العمل الإيجابى الذى ينقصنا جميعا فى حياتنا، فنحن نهدر الكثير من أوقاتنا فى أشياء لا جدوى منها... أما الأشياء الأخرى، الباقية فى نفعها، واللازمة لخلاص نفوسنا، فلا نعطيها سوى الفتات...*

أيها الحبيب... ليتنا نتذكر أن كل لحظة وكل دقيقة، سوف نعطى عنها حسابا...

ع3-5: قصة المرأة الزانية من القصص الشهيرة، والتى اهتم بذكرها القديس يوحنا. وقبل البدء فى الدخول إلى أحداثها، ننوه أن مفتاح القصة كلها فى (ع6)، حيث يوضح أن الغرض والدافع كانا شيئا واحدا، وهو الإيقاع بيسوع، وإيجاد سببا يشتكون به عليه، بصرف النظر عن المرأة وقصتها. أما ما حدث، فيمكن ايجازه فى الآتى.

(1) لم يكونوا فى حاجة لسؤال المسيح فالشريعة واضحة فى (لا 20: 10) و (تث 22: 22)، بأن الزانى والزانية، كلاهما يرجم حتى الموت، خاصة وأن هذه المرأة كانت فى "حالة تلبس". فما الحاجة لسؤال المسيح إذن؟

(2) قدموا للمسيح نص ما قاله موسى، فهل يخالف الناموس، ويصبح كاسرا ومتعديا، مفضوحا أمام الشعب؟ أم يصدر حكما برجمها، وهو ليس له سلطان مدنى، إذ أن أحكام الإعدام من سلطان الدولة الرومانية، والتى كانت لا تجيز موت الزانية رجما فى القانون الرومانى. وبالتالى، إذا صرح المسيح برجمها، صار متعديا لسلطان قيصر؛ وهذا هو المأزق الذى دبره المشتكون.

(3) غلب الدهاء عليهم، وأرادوا استدراج السيد، ملقبين إياه "**يا معلم**"، وهو لقب كبير جدا، قاصر على طائفة معلمى الناموس المعتمدين (الربيين). فكان استخدامهم للفظ "**معلم**"، لا يعنى احترامهم، أو أنهم يعنوه، بل للايقاع به.

ع6: "**انحنى إلى أسفل، وكان يكتب**": انحنى بهدوء، وكأن الأمر لا يعنيه.

✝ *وهذا الهدوء هو درس لنا فى سلوكياتنا من السيد المسيح، فالشر لا يواجَه بالردود السريعة المنفعلة، فهو أراد أن يمتص ثورتهم ومكيدتهم، ويقلل من غليانهم نحوه. فليتنا نتعلم كيف نقابل المكائد بالهدوء والصلاة، قبل الإدلاء بأى رأى...*

أما ما كتبه المسيح على الأرض، فلم يذكره يوحنا، واختلف فيه الآباء المفسرون. وفيما يلى بعض الآراء:

(1) قد يكون كتب "من أخطأ فى وصية واحدة، صار متعديا لكل الوصايا. وهذا كتمهيد لما سوف يقوله لهم فى أنهم ليس لهم حق الحكم على أحد."

(2) قد يكون كتب بعض الوصايا، التى كسرها معظمهم، وذلك بقصد التوبيخ لهم على غلاظة قلوبهم.

(3) قد يكون كتب ما سبق وقاله فى الموعظة على الجبل، ألا تدين حتى لا تدان...

(4) قد يكون كتب ما نطق به، أى: "**من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر**."

وكل هذه الآراء، تقبلها الكنيسة من باب التأمل والاستنتاج، وليس هناك رأيا قاطعا يمكن الأخذ به وحده.

ع7: استمر الإلحاح والسؤال، وقطع السيد ما كان يكتبه، وانتصب. وجاءت إجابته تمثل عمق الحكمة الإلهية، مقابل دهاء وخبث الشياطين. فالمسيح لم يبرئ المرأة ولم يدينها، بل أضاف على الناموس عمق وروح الوصية؛ إن كاسر الناموس لا يحق له أن يدين آخر بالناموس. فإذا لم يكن فيكم كاسرا للناموس، فليبدأ برجمها...

هذا ما قاله أيضا القديس بولس: "لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها " (رو2: 1).

☩ *وهكذا يعطينا السيد درسا جديدا جميلا فى كيف تنجى الحكمة صاحبها من المكائد. ولكن علينا أولا الصلاة للروح القدس معطى هذه الحكمة، وثانيا الهدوء والتريث قبل الإجابة.*

ع8: انحناء الرب يسوع هذه المرة، كان هدنة أعطاها كفرصة لانصراف الجمع، متفكرين فيما قاله، دون مواجهة جديدة. أما ما كان يكتبه، فقد أشرنا له فى (ع6).

ع9: يصور القديس يوحنا هنا، كيف كانت كلمات المسيح القليلة، مؤثرة وعاملة فى القلوب والضمائر. وكيف لا، وهى كلمة الله الحية الفعالة، المخترقة للنفس والمفاصل والعظام؟ وجاءت الاستجابة من الشيوخ أولا، لأن إدراكهم الروحى أعلى، ثم تبعهم الشباب تاركين الحجارة من أيديهم، متذكرين تعدياتهم وخطاياهم فقط. وخلا المشهد من الجميع، عدا السيد وحده والمرأة الزانية.

ع10-11: بدأ هنا السيد الحديث مع المرأة، وهى فى حالة لم تكن تسمح لها أن تبدأ الكلام أبدا، من خزيها وإحراجها...

☩ *ولكن، أليس هذا قلب المسيح، الذى نصلى له فى أوشية المرضى: "يا رجاء من ليس له رجاء، ومعين من ليس له معين، عزاء صغيرى القلوب"؟*

إنه قلب الحب والمغفرة، ودائما يمد يده لمنكسرى القلوب.

وبدأ يسألها عن المشتكين الذين انصرفوا، وهو العالم بانصرافهم، ولكنه يريد أن يشيع فيها الاطمئنان. إن من أرادوا موتها، لم يعودوا يطلبونها. وعندما أجابته، قال لها: وإن كنت أنا الإله الديان، وإن كنت الوحيد الذى بلا خطية، فأنا أيضا لا أدينك. ولكن، لا تعودى تخطئى. فليس معنى غفران الله هو الاستباحة والعودة للخطية، بل معناه أن مراحم الله تفتح فرصة للتوبة أمام الخاطئ الذى عليه أن يستغلها.

✝*أخى الحبيب... لعلنا نخرج من هذه القصة، بكل أحداثها، بدرس واحد هام، هو ألا ندين أحدا، واضعين قول المسيح أمام أعيننا، إن كان أحد منا بلا خطية، فليدن أخوه أولا... فلنلق إذن بحجارة الإدانة التى فى أيدينا بعيدا، لأننا تحت الحكم عينه، ولنطلب من أجل إخوتنا، بدلا من إدانتهم، لعل الله يرحمنا أيضا معهم.*

(2) المسيح نور العالم (ع 12-20):

12- ثم كلمهم يسوع أيضا قائلا: "أنا هو نور العالم، من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة، بل يكون له نور الحياة." 13- فقال له الفريسيون: "أنت تشهد لنفسك، شهادتك ليست حقا." 14- أجاب يسوع وقال لهم: "وإن كنت أشهد لنفسى، فشهادتى حق، لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب. وأما أنتم، فلا تعلمون من أين آتى ولا إلى أين أذهب. 15- أنتم حسب الجسد تدينون، أما أنا فلست أدين أحدا. 16- وإن كنت أنا أدين فدينونتى حق، لأنى لست وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلنى. 17- وأيضا فى ناموسكم مكتوب: إن شهادة رجلين حق. 18- أنا هو الشاهد لنفسى، ويشهد لى الآب الذى أرسلنى." 19- فقالوا له: "أين هو أبوك؟" أجاب يسوع: "لستم تعرفوننى أنا ولا أبى، لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا." 20- هذا الكلام قاله يسوع فى الخزانة وهو يعلم فى الهيكل، ولم يمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد.

مقدمة:

حتى لا نفقد تتابع الأحداث، فإن الحديث هنا لا زال مرتبطا بنهاية عيد المظال. ففى اليوم الأخير للعيد، استخدم المسيح طقس الماء، وعبّر عن نفسه بأنه هو الماء الحى ومصدره. وعرض القديس يوحنا بعض الأحداث العرضية، مثل: انقسام اليهود، محاولة القبض على يسوع، ثم المرأة الخاطئة والحديث القادم فى ثانى يوم بعد انتهاء عيد المظال، ولا زال العيد ماثلا وراسخا فى أذهان مستمعى تعليم السيد، فأخذ مثلا جديدا من طقوس العيد، واستكمل حديثه.

ع12: أيضا يربط السيد هنا كلامه بما سبق وقاله، أنه الماء الحى (ص7: 38). فكما نادى عن نفسه حينذاك، ينـــادى اليوم، مقدما نفسه كنور العالم، مستخدما أيضا أحد طقوس ورموز العيد، وهو طقس النور. فكان فى الهيكل - الرواق الخارجى - أربعة أعمدة عالية جدا، وكل عمود يحمل أربعة فتائل تضاء فى عيد المظال، فتعطى نورا عظيما. وكان هذا الطقس يرمز إلى الله، نور العالم، وإلى تذكار عمود النور الذى أرسله الله فى البرية لقيادة شعبه ليلا فى برية سيناء.

فينادى المسيح مرة أخرى معلنا نفسه: **"أنا هو نور العالم"...** لاحظ أيها القارئ العزيز، أنه عندما كان الكلام عن المن، قدم المسيح نفسه على أنه: الخبز الحقيقى، و خبز الحياة، والخبز الحى (ص 6: 32 و35 و48 و51). والآن، الحديث عن نور العيد، فيقدم نفسه كنور حقيقى للعالم. وكأن المسيح يقول أن كل رموز الماضى الباهتة، قد صارت اليوم حقيقة لامعة فى ابن الإنسان بتجسده الذى تمت فيه كل الرموز. ولنلاحظ بعض المعانى الروحية فى هذه الكلمات:

(**1**) **بكونه نور العالم**: صار كل ما عداه أو خارجه ظلاما.

(**2**) **بكونه نور العالم**: صار مصدر الإرشاد الوحيد للنفس التائهة فى الخطايا.

(**3**) **بكونه نور العالم**: منح أولاده أن يكون لهم نور حياة بداخلهم يميزوا به الأشياء، يعكس نوره لكل من حولهم.

(**4**) **مع أنه نور العالم**: ترك للإنسان الحرية فى أن يتبعه أو لا يتبعه بإرادته.

✝ *والكنيسة، أيها الحبيب، حرصت على أن تذكّر أبنائها دائما بكل هذه المعانى فى صلاة باكر اليومية من الأجبية، فنقرأ الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا، الذى يصف المسيح بأنه النور الذى أضاء فى الظلمة. وكذلك نصلى فى القطع والتسبحة الصباحية: "أيها النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان آت إلى العالم." فليتك تتذكر دائما هذه الصفة فى إلهك، فتشرق نفسك بنوره الإلهى...*

ع13: استند الفريسيون إلى أن شريعة موسى تطلب شاهدين لإثبات الدعوى، ولا تقبل شهادة الإنسان عن نفسه. وبهذا، عللوا رفضهم لقبول فكر المسيح، وقوله بأنه نور العالم.

ع14: فى (ص 5: 31)، يقول المسيح: "إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حق... الذى يشهد لى هو آخر..." قاصدا شهادة الآب للابن.

أما هنا، وقد قربت أيام تجسد المسيح، ولم يبق إلا زمنا يسيرا، بدأ يعلن عن نفسه بقوة ووضوح، ويوضح أن شهادته لنفسه هى حق، لأنه هو نفسه الحق، وليس للظلمة أن تحكم على النور، فلقد سبق وشهد المعمدان لى، كذلك الآب يشهد لى، وأيضا أعمالى. أما الآن، فأنا أشهد لنفسى، وشهادتى حق، ولن تقبلوها أو تفهموها، لأنكم لا تدركون سر التجسد، فلا تعلمون من أين أتيت، ولا تعلمون إلى أين أذهب بعد ذلك، قاصدا وجوده الأزلى فى حضن الآب، ثم صعوده للسماء.

ع15: **"أنتم حسب الجسد تدينون"**: لها معنيان:

المعنى الأول: إنكم تدينون حسب أهوائكم الجسدية وميولكم. وذلك لأنهم أدانوا المسيح، واعتبروه كاذبا، عندما قالوا لا نقبل شهادتك.

المعنى الثانى: إنهم يحكموا بحسب رؤيتهم الجسدية لشخص المسيح، ومعرفة نسبه ووطنه الأرضى. وهى رؤية قاصرة بحسب الظاهر، تخلو من البصيرة الروحية التى تدرك حقيقة جوهر المسيح الإلهى.

"أما أنا فلست أدين أحدا": وذلك لأنه لم يأت ليدين العالم، بل ليخلصه (ص3: 17)؛ وقد دلل المسيح على ذلك أيضا بعدم إدانته للمرأة الزانية التى قدموها إليه.

ع16: أى وإن كنت لا أدين الآن، فإن المهمة الحالية هى تقديم الخلاص، لكن الدينونة من صفاتى اللاهوتية. ودينونته حق، لأنه هو الحق. ويعود ثانية السيد المسيح لربط نفسه بالآب فى وحدانية اللاهوت، فالدينونة هى حق الله، وقد أعطاها الآب للابن (ص5: 22) الذى سيدين كل من لا يقبل عمل خلاصه، أو يرفض وصيته ولا يعمل بها.

ع17-18: يقدم المسيح للفريسيين الرد على اعتراضهم عن عدم قبول شهادته فى (ع13) بأنه، وإن كانت شهادته لنفسه حقا، إلا أن هناك من يشهد ويؤكد ذلك، وهو الآب السماوى الذى أرسله، وبذله خلاصا للعالم (تث 17: 6).

ع19: سأل اليهود بخبث لإيقاع المسيح، فعندما تكلم عن أبيه السماوى فى (ص5: 18)، طلبوا أن يقتلوه. وهنا أيضا أرادوا اصطياده بكلمة، ولكن المسيح لم يجبهم بما سألوا، بل أظهر أن سبب عدم معرفتهم للآب جهلهم لشخصه، إذ هو الصورة المنظورة للآب غير المنظور؛ ولنراجع قولا للمسيح فى مكان آخر: "لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى" (ص 15: 24 و25).

ع20: الخزانة أحد الأماكن فى الهيكل فى رواق النساء. واستخدم السيد هذا المكان، لأنه كان أكثر الأماكن ازدحاما بالناس، لسبب تقديم النذور وما شابه. وبالرغم من شدة كلام المسيح مع اليهود، فلم يستطع أحد القبض عليه، لأنه وحده المحدد لساعته، وليس بحسب رأى أو مشورة إنسان.

✝ *يا إلهى... لعل كان لليهود عذرا لعماهم الروحى، وعدم تعرفهم عليك. ولكن، ما عذرى أنا الممسوح بالروح القدس. ما اقبح ذنبى عندما أتركك أيها النور الحقيقى، وأسقط فى ظلمة الخطية. نعم، أنا بلا عذر. ولكنى أعود وأشكرك، لأنك جعلت فى كنيستك من يسندنى ويقيمنى، ويقرأ لى حِلا بالمغفرة، فتنفتح الأعين ثانية على بهاء نورك الذى لا يُحد...*

يا إلهى... لا تجعل معرفتى لك على مستوى العقل والنظريات، بل أريد معرفة الاستنارة الكاملة، أيها النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان آت إلى العالم.

(3) دينونة عدم الإيمان بالمسيح (ع 21-29):

21- قال لهم يسوع أيضا: "أنا أمضى، وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم، حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا." 22- فقال اليهود: "ألعله يقتل نفسه، حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟" 23- فقال لهم: "أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم. 24- فقلت لكم إنكم تموتون فى خطاياكم، لأنكم إن لم تؤمنوا أنى أنا هو، تموتون فى خطاياكم." 25- فقالوا له: "من أنت؟" فقال لهم يسوع: "أنا من البدء ما أكلمكم أيضا به. 26- إن لى أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم، لكن الذى أرسلنى هو حق، وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم." 27- ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب. 28- فقال لهم يسوع: "متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أنى أنا هو. ولست افعل شيئا من نفسى، بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى. 29- والذى أرسلنى هو معى، ولم يتركنى الآب وحدى، لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه."

ع21-22: الحوار المتكرر يعود مرة أخرى، من ناحية قصد المسيح شئ وفهم اليهود شئ آخر. والآية 21، تطابق فى معناها ما جاء فى (ص7: 33-34)، والمعنى هو أنكم سوف تموتون فى خطية عدم الإيمان بالابن، وستطلبون وتنتظرون مسيحا أرضيا بحسب هواكم، ولن تجدوا. وبسبب عدم إيمانكم، فلن تقدروا أن تدخلوا ملكوت السموات (ع22). أما اليهود، فبنفس السخرية المعهودة، وانغلاق الرؤية الروحية، لم يفهموا القصد الإلهى، بل عبروا عن عماهم الروحى، وبغضهم للمسيح، بأن الحل الوحيد لفهم كلامه، هو إنه مزمع أن يقتل نفسه، وهو المكان الوحيد الذى لا يستطيعوا الذهاب إليه، أى "الجحيم".

ع23-24: يوضح السيد المسيح هنا السبب والداء والفرق بين كلمتى **"أنا"** و **"أنتم"** فى الآية السابقة، وهو الخلاف بين كل ما هو سمائى روحى، وبين ما هو أرضى زمنى مرتبط بأمجاد العالم التى لا أطلبها. و (ع23) يكمل المعنى فى (ع14) من نفس الأصحاح: "أعلم من أين أتيت و إلى أين أذهب"، وكلتا الآيتين إشارة واضحة لتجسد المسيح ونزوله من السماء وطبيعته اللاهوتية الأزلية. ويقدم المسيح مرة أخرى سبب هلاكهم، وهو عدم إيمانهم به!!!

✝ *سيدى الحبيب... أثار حديثك مع اليهود فى نفسى سؤالا محيرا ومخيفا: هل أنا أرضى؟ أم أنا سماوى؟ هل أستطيع أن أكون معك حيثما تكون، هناك فى بيت أبيك، أم لا أستطيع؟ لقد أعطيتنى، مجانا، نعمة الميلاد السمائى فى سر المعمودية. ولكن، لا زلت أجد أن ما بداخلى متجها إلى أسفل، حيث أمجاد العالم وزيفه، ناسيا عظم دعوتك لى، أن أكون من فوق كما أنت... إلهى، أخاف من نفسى على نفسى، فلا تسمح يا سيدى أن أنزلق لأسفل بل اجذبنى إلى فوق كما وعدت: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إلىّ الجميع"، واجعل كل اشتياق قلبى نحوك أنت وحدك.*

ع25: لم يكن غرض الفريسيين من سؤالهم: **"من أنت؟"** هو الاستيضاح، بل الاصطياد. أما المسيح، فأجاب: **"أنا من البدء ما أكلمكم أيضا به"...** أى سبق وأعلنت من أكون: "أنا الخبز النازل من السماء"... "أنا الماء الحى"... "أنا نور العالم"... "أنا من تشهد لى أعمالى"... "أنا من يشهد لى الآب"... وهكذا... أى أنا المسيح مخلص العالم. ولكن، هل هناك من يفهم، أو يقبل، أو يؤمن؟!

ع26-27: **"لى أشياء كثيرة"**: يعلن المسيح أنه وحده العالِم، ووحده الديان. فإذا كنت أتكلم من جهتكم بأشياء، فكلها حق، لأننى الوحيد العالِم بما فى قلوبكم. وإن كنت أحكم عليكم، فحكمى حقيقى وعادل. ولكنى أيضا لا أحكم ولا أتكلم من نفسى، فإنى أقول ما يقوله الآب أيضا، لأنى أنا والآب واحد، وهو الذى أرسلنى. ويضيف القديس يوحنا فى (ع27) إيضاحا أن المسيح كان يشير للآب هنا، دون أن يفهم اليهود قصده.

ع28: ينفى المسيح هنا أى احتمال لليهود فى التعرف عليه قبل أن يرفعوه على الصليب. واستخدم المسيح كلمة **"رفعتم"**، ليؤكد مسئولية خاصته التى رفضته فى صلبه، وبعضهم سيفهم عند

صلبه، لما سيصاحبه من أحداث وعلامات، مثل: "الظلمة"، و "خروج كثيرين من القبور". وكلمة "**رفعتم**" أيضا تحمل هوان الصليب، والألم، ومجد الرفعة الذى تم بالفداء. وإشارة واضحة جدا لرمز الحية النحاسية التى رفعها موسى على خشبة لكى لا يموت كل من ينظر إليها (عد 21: 9). ويعود المسيح مرة أخرى ليؤكد طبيعة علاقته الوثيقة الفريدة بالآب، فى وحدة العِلم والاتصال، وسبق وأشار السيد إلى هذا كثيرا.

ع29: "**الذى أرسلنى**": أى الآب، هو معى ولم يتركنى. وهذا يكشف لنا سر الاتصال الدائم بين الآب والابن على مستوى الجوهر الواحد. فالابن، بتجسده، لم يترك حضن الآب ولم يفارقه، وكذلك الآب أيضا... وينهى المسيح بإضافة حقيقة لاهوتية جديدة، وهى الاتحاد أيضا على مستوى الإرادة؛ فكل ما يفعله الابن هو إرادة الآب، وكل ما يريده الآب، فهو معمول بالابن.

(4) ذرية إبراهيم ومفهوم الحرية (ع 30-41):

30- وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون. 31- فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: "إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونوا تلاميذى. 32- وتعرفون الحق، والحق يحرركم." 33- أجابوه: "إننا ذرية إبراهيم، ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحرارا؟" 34- أجابهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم، إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. 35- والعبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. 36- فإن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحرارا. 37- أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم، لكنكم تطلبون أن تقتلونى، لأن كلامى لا موضع له فيكم. 38- أنا أتكلم بما رأيت عند أبى، وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم." 39- أجابوا وقالوا له: "أبونا هو إبراهيم." قال لهم يسوع: "لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. 40- ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله، هذا لم يعمله إبراهيم. 41- أنتم تعملون أعمال أبيكم." فقالوا له: "إننا لم نولد من زنا، لنا أب واحد وهو الله."

ع30-32: "**آمن به كثيرون**": ولكن إيمانهم لم يكن كافيا، بل يعتبر مجرد قبول، بدليل حث المسيح إياهم فى الآية 31 بالثبات فى كلامه. وتدل الأعداد القادمة من نفس الأصحاح على انقلابهم السريع على المسيح.

"**تعرفون الحق**": تدركون من أنا، فأنا هو "الطريق والحق والحياة" (ص 14: 6). وهذا الحق – أى أنا – هو الوحيد المحرر من عبودية الشهوات والخطية، بل المخلص الوحيد من عقوبة الخطية...

✝ *ما أحلى ألقابك أيها الحبيب المخلص... فأنت الحق، وكل ما سواك هو باطل. وأنت الحرية، وكل ما عداك، هو سجن حتى لو بأسوار ذهبية. فما أحلى أن تحررنا من ذواتنا واهتماماتها البالية الفانية، وتدعونا إلى الانطلاق والتمتع بحرية الحياة معك، حيث تصغر كل الأشياء، بل تنعدم، فلا يعود ينغص على النفس شئ، أو يسجنها فى شهواتها أو رغباتها المتدنية والبعيدة عنك.*

ع33: أى إننا أبناء لإبراهيم الحر، والذى لم يكن عبدا لأحد، وبالتالى نحن أحرار... نلاحظ الآتى:

أولا: أنهم لم يفهموا ما قصده المسيح روحيا، بل انصرفوا لمعنى الحرية السياسى بأنهم ليسوا عبيدا لأحد، وكانت بنوتهم لإبراهيم موضع فخرهم الجسدى أمام الأمم.

ثانيا: أنهم، حتى على مستوى الفهم السياسى المادى، وقعوا فى مغالطة تاريخية، وهى أنهم كانوا مستعبدين بالفعل لممالك كثيرة، مثل بابل وأشور وبلاد اليونان وكذلك الحكم الرومانى المواكب لعصر المسيح. ولهذا الفهم القاصر والمغلوط، استنكروا على المسيح كيف يدعوهم للحرية... غير مدركين دعوة خلاصه؟!

ع34: "**الحق الحق**": أسلوب تكرار للتأكيد، استخدمه المسيح كثيرا. والمعنى هنا، إنكم لا تدركون ما عنيته: بالحق يحرركم. ولهذا، فى إيضاح جديد، يواجه المسيح اليهود بما قصده، وهو أن كل إنسان غير تائب ويحيا حياة الخطية، هو عبد وليس حرا، بصرف النظر عن نسبه أو انتسابه أو وصفه السياسى؛ فالمعمودية والحرية مقياسها عند الله بخلاف الناس، فهى إما الخطية أو التوبة. وبالتالى، كم من قديسين سُجنوا وتم نفيهم، ولكن حياة البر والتوبة جعلت منهم أحرارا...

"**عبد للخطية**": هذه الكلمة تصور لنا بشاعة سلطان الخطية، كسيد شرير، يتحكم فى إرادة الإنسان، الذى لا يملك حولا ولا قوة أمام هذا السيد. والتوبة الصادقة، والعودة إلى حضن الله، هما طريق الحرية الحقيقى من نير هذه العبودية.

ع35: أما النتيجة، فإن العبد المستعبَد لهذا السيد الشرير، لا يبقى فى البيت طالما الخطية هى سيده، فلا مكان للعبيد بين الأبناء. أما الابن، أى المسيح، فبقائه شئ طبيعى، فهو الوارث لكل بيت أبيه...

ع36-37: "**إن حرركم الابن**": وإن كان المسيح هو مصدر الحرية الحقيقية الوحيد، إلا أنه وضعها فى أسلوب شرطى: "**إن حرركم**". وهذا الشرط لا يعود على مشيئة المسيح فى منح الحرية، لكن يعود على اليهود فى قبولهم لهذا الخلاص من عدمه. بمعنى آخر: لديكم الحرية الحقيقية الممنوحة من الابن، فهل تقبلوها؟

أما من الناحية الجسدية (ع37)، فأنا أعلم أنكم ذرية إبراهيم. ولكن هذه البنوة الجسدية صارت قاصـــرة جـــدا، ولا تعنى شيئا عند الله، بدليل عدم قبولكم لكلامى وإيمانكم به، بل بدلا من هـــذا – وأنا العالم لفكر قلوبكم – تطلبون موتى؛ وقد كرر المسيح هذا الكلام فى (ص 7: 19) من حيث رغبتهم فى قتله، وعبارة "**كلامى لا موضع له فيكم**"، تقابل ما قاله فى (ع31) "**إن ثبتم فى كلامى**"، وهذا معناه أن المسيح كان يعلم أولا أنهم لم ولن يثبتوا فى كلامه!

ع38: "**أنا أتكلم بما رأيت عند أبى**": (راجع 5: 19–20) "**وأنتم تعملون**": أى أن المسيح هنا ينكر بنوتهم لإبراهيم، وينسب بنوتهم للشيطان، فطلبهم قتله هو مشيئة الشيطان نفسه, وبالتالى، ليس لهم أن يدّعوا إنهم أبناء إبراهيم، طالما أن عملهم يتمشى مع مشيئة أب آخر، وهو إبليس.

ع39-40: يلفت السيد المسيح نظرنا هنا إلى مبدأ هام، وهو أن الإنسان لا يُقَيّم بما يدعيه عن نفسه، ولكن بالأعمال التى يعملها. فمثلا، ليس كافيا أن نقول: إننا كنيسة تذخر بالقديسين. ولكن، هل لنا جهاد وأعمال آبائنا القديسين؟ ولهذا، فالمسيح ينكر على اليهود ثانية ادعاء بنوتهم لإبراهيم، بسبب أعمالهم التى تتنافى مع هذا الانتساب. والخلاف هنا، هو أن إبراهيم آمن ووثق فى كلام الله، وتبعه بكل قلبه. أما من يدعون إنهم أبنائه، فإنهم يرفضون كلمات الحق والحياة من فم الإله نفسه، بل يطلبون قتله.

ع41: إذ نفى المسيح على محدثيه بنوتهم لإبراهيم، مما أغاظهم جدا، لافتخارهم بهذا النسب، جاء ردهم فى نقطتين:

الأولى: إننا لسنا أولاد زنا، أى أنسابنا محفوظة إلى إبراهيم، بل إلى آدم، و لم نختلط بالأمم و لم نتزاوج منهم؛ وكان اليهود يعتزون دائما بحفظ سجلات أنسابهم عن ظهر قلب.

الثانية: إنهم رفعوا بنوتهم إلى الله مباشرة، وهو الأعلى من إبراهيم، وهو الآب الواحد لنا جميعا.

ملاحظة: بالرغم من هذا الافتخار بالبنوة الكاذبة، ونفى تهمة الزنا، إلا أن تاريخ الكتاب المقدس يخبرنا أن هذا الشعب كثيرا ما زاغ وزنا جسديا مع بنات الأمم وتزاوج منهم، وكذلك زنا روحيا بترك الله، وعبادة آلهة الأمم على المرتفعات وتقديم ذبائح لها (راجع نح 13: 23 ؛ إر 3: 6-10)، مما عرضهم لعقوبات الله التى كانت أصعبها أسرهم وتشتيتهم.

✠ *إلهى الحبيب... أخشى أن أعتقد فى نفسى باطلا إنى أدعَى لك ابنا، مشاركا اليهود فيما نسبوه لأنفسهم. فإن كانت حياتى حتى هذه اللحظة لا تخلو من خطايا، فلا تطفئ روحك القدوس وعطية الحياة بالمعمودية بداخلى. وإن كانت بنوتى لك قاصرة، فلتدم أبوتك لى كاملة... ولا تتركنى أبدا لنفسى.*

(5) أبناء إبليس وصفاتهم (ع 42- 47):

42- فقال لهم يسوع: "لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى، لأنى خرجت من قِبَلِ الله وأتيت، لأنى لم آت من نفسى، بل ذاك أرسلنى. 43- لماذا لا تفهمون كلامى؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى. 44- أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالا للناس من البدء، ولم يثبت فى الحق، لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب. 45- وأما أنا، فلأنى أقول الحق، لستم تؤمنون بى. 46- من منكم يبكتنى على خطية؟ فإن كنت أقول الحق، فلماذا لستم تؤمنون بى؟ 47- الذى من الله يسمع كلام الله، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله."

ع42-43: كما نفى المسيح بنوة اليهود لإبراهيم، يعود وينفى بنوتهم الروحية لله، مقدما الدليل على ذلك، وهو رفض اليهود للمسيح نفسه. ويقدم المسيح نفسه هنا، كما سبق وقدم أيضا أنه كلمة الله المتجسدة، فهو الخارج من عند الله – المتجسد – وبإرادة الآب لخلاص البشر. فعندما يرفض اليهود المسيح المتجسد، يرفضون الله نفسه. ويزيد المسيح لحديثه سببا آخر لرفض اليهود الإيمان به، وهو أن اليهود سمعوا كلمات المسيح بآذانهم الجسدية، فلم يفهموا قصده من البداية،

وكان ينبغى أن يسمعوا حديثه بقلوبهم، فكلام الله يُقبل بالإيمان، وليس بالعقل القاصر أو الأذن الجسدية.

ع44: تعتبر هذه الآية من أقوى المواجهات التى واجه فيها السيد المسيح اليهود. ولم يكن الغرض هو التعدى على مشاعرهم، بقدر تبرئة الله وإبراهيم من هذا الشعب الغليظ القلب. وقصد بشهوات أبيكم إبليس هنا، هى رغبتهم فى قتله، فعادة ما يجتمع الأشرار مع الشيطان فى إرادة واحدة، فيصيروا بذلك أبناءا لإرادته. ويستطرد السيد حديثه فى وصف الشيطان بصفاته التالية:

(1) "**قتّالا**": أى منذ دخول الشر قلبه، كانت غاية الشيطان الوحيدة هى الفتك بالناس وتضليلهم، من أجل هلاك نفوسهم. بل هو المصدر الوحيد لكل الصراعات والحروب، وإثارة الكثيرين على قتل إخوتهم وشعوبهم. واستخدم المسيح كلمة "**قتّالا**"، وليس قاتلا، ليوضح أن هلاك الناس هو عمل مستمر للشيطان، بل هدفه الوحيد من كل أعماله.

(2) "**لم يثبت فى الحق**": عندما خلق الله الشيطان، كان ملاكا عظيما ذو رئاسة، أى أن الله خلقه فى النور والحق. أما هو، فبإرادته، لم يثبت فى هذا الحق، وتدنى إلى كل الشر بانفصاله عن الله. راجع قصة سقوط الشيطان (إش 14 ؛ حز 28: 12-19).

(3) "**كذاب**": من أهم صفات الشيطان التى يضل بها الناس، كما أضل بكذبه أبوينا الأولين. وهذه الصفة تنتقل بالتبعية لأولاده الذين يحملون صفاته.

♱ *وهذا يوضح لنا جميعا خطورة خطية الكذب التى لا يهتم بها الكثيرون، بل لا يعتبروها خطية كبيرة، وأنها صارت من لوازم الحياة اليومية... ليتنا نراجع أنفسنا، ونتذكر كلمات المسيح المخيفة فى هذا الموضوع.*

ع45: يعود السيد المسيح مرة أخرى لسبب عدم إيمان اليهود بكلامه، فهو يتكلم بالحق، ولكنهم أبناء الكذاب، فلا يفهمون ولا يصدقون كلماته.

♱ *ونأخذ هنا درسا جديدا من المسيح، أن الإنسان المسيحى لا يتكلم بغير الحق، بصرف النظر عن تصديق أو عدم تصديق سامعيه. ألم يكن هكذا الأنبياء الذين قتلهم اليهود؟ ألم يكن هكذا أيضا آباءنا الشهداء والقديسين الذين قدموا أرواحهم من أجل الحق؟*

ع46: يقدم السيد هنا دليلا قويا على كل ما قاله سابقا، وخروجه من عند الآب وتجسده. وهذا الدليل قدمه فى صورة سؤال لليهود، وهو: من يمسك علىّ تعديا واحدا، سواء للناموس أو بأية خطية أخرى؟

✝ *وهذا دليل على سلوك السيد بالبر والطهارة والوداعة فى حياته، ودرسا لنا نحن أيضا أن نسلك كما سلك هو بتدقيق وحساب مستمر للنفس. فالإنسان ليس بما يدعى لنفسه، بل بسلوكه المطابق لما يعلنه من حق، كما سبق الشرح (ع 39-40).*

ع47: يأتى المسيح هنا لنهاية جزء من حواره مع اليهود، ردا على الآية 41: "لنا أب واحد هو الله". فبعد أن أثبت لهم عدم بنوتهم لإبراهيم بسبب أعمالهم، وأنهم أبناء الشيطان بإرادتهم الشريرة لمحاولة قتله، وكذبهم؛ يأتى لنهاية هذا الجزء، نافيا تماما بنوتهم لله أبيه، ومقدما هذا سببا لعدم سماع كلامه والإيمان به.

(6) اتهام المسيح أن به شيطان (ع 48-59):

48- فأجاب اليهود وقالوا له: "ألسنا نقول حسنا: إنك سامرى وبك شيطان؟" 49- أجاب يسوع: "أنا ليس بى شيطان، لكنى أكرم أبى، وأنتم تهينوننى. 50- أنا لست أطلب مجدى، يوجد من يطلب ويدين. 51- الحق الحق أقول لكم، إن كان أحد يحفظ كلامى، فلن يرى الموت إلى الأبد." 52- فقال له اليهود: "الآن علمنا أن بك شيطانا. قد مات إبراهيم والأنبياء، وأنت تقول: إن كان أحد يحفظ كلامى، فلن يذوق الموت إلى الأبد. 53- ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذى مات؟ والأنبياء ماتوا، من تجعل نفسك؟" 54- أجاب يسوع: "إن كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئا، أبى هو الذى يمجدنى، الذى تقولون أنتم إنه إلهكم. 55- ولستم تعرفونه، وأما أنا فأعرفه. وإن قلت إنى لست أعرفه، أكون مثلكم كاذبا، لكنى أعرفه وأحفظ قوله. 56- أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى، فرأى وفرح." 57- فقال له اليهود: "ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟" 58- قال لهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم، قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن." 59- فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم، ومضى هكذا.

ع48: لم يجد اليهود تهمة يوجهونها للمسيح أشد من أنه سامرى، وكانت العداوة بين الفريقين كبيرة (راجع ص 4). وأضافوا أيضا أن به شيطان، وكأنهم يردون عليه فيما اتهمهم به...

وذلك غيظا منهم لما قاله عنهم. و لم يدللوا على هذه التهمة بشئ، لأنهم يعلمون جيدا إنه يهودى، و لم يمسكوا عليه خطية واحدة. ولهذا، فإن ما قاله اليهود عن المسيح، يعتبر فى عداد الشتيمة والإهانة.

ع49: أما المسيح، فلم ينشغل بالدفاع عن أصله ونسبه اليهودى، بل اهتم بدفع ورفض الاتهام الثانى، الذى يمس جوهر لاهوته وقداسة أبيه، معبرا أن ادعاء اليهود أن به شيطان، هو إهانة لكرامة أبيه السماوى التى لا يمكن قبولها، أو التغاضى عنها، لأن الذى فى المسيح هو الآب، فكيف يقولون عن الآب إنه شيطان؟!

ع50: "**لست أطلب مجدى**": ليست مهمتى أن أنادى بمجدى الذى هو لى. فقد أتيت لاحتمال المهانة والعار، وليس للدفاع عن نفسى، فتلك مهمة أبى الذى يرى ويفحص كل شئ، وهو الذى يغير على مجدى ويطلبه، بل يدين أيضا كل من أهان مجد الابن الوحيد.

✝*وما قاله المسيح هنا، هو تعزية لكل أبنائه الذين يعانون من اضطهاد أو إهانة من أجل اسمه. فكل ما يتحمله الإنسان من أجل المسيح، يعتبر مجدا مدخرا له، بل أيضا الله العادل يدين الأشرار بحسب صلاحه ودينونته العادلة.*

ع51: يؤكد المسيح على حقيقة إيمانية، وهى أن كل من يسمع ويعمل بوصيته، لن يؤذيه الموت الثانى، بل له حياة أبدية. وقد سبق وقال نفس المعنى فى (ص 5: 24).

ع52-53: يعود القديس يوحنا ويبرز استمرار الفهم المادى الجسدى الحرفى من اليهود لكلمات المسيح، بدلا من الفهم الروحى لها. ودللوا، بفهمهم الخاطئ، على صحة اتهامهم السابق له بأن به شيطان. وكلمة "**علمنا**" معناها تأكيد، وهى تشبه تعبير رئيس الكهنة فى المحاكمة: "ما حاجاتنا بعد إلى شهود" (مت 26: 65). واستمروا فى تأكيد رأيهم بأن إبراهيم وكل الأنبياء والآباء قد ماتوا؛ فمن أنت حتى تُعطَى الحياة وعدم الموت؟ لأنهم لم يدركوا بالطبع أنه كان يتكلم عن العتق من الموت الأبدى، وليس الموت الجسدى.

ع54-55: يطابق (ع54) فى معناه ما جاء فى (ص5: 31)، ويضيف إن ادعاء اليهود بأن الله أبيهم، لم ينقلهم للمعرفة الحقيقية لله، الذى يعرفه هو معرفة ذاتية، من خلال وحدة الطبيعة والجوهر. ويؤكد المسيح أنه لو ادعى عدم معرفة الآب، يكون كاليهود كاذبا فى ادعائهم المعرفة

به. والبرهان الذى يقدمه المسيح على معرفته بالآب، هو حفظ أقواله وطاعة مشيئته، وهى أبسط المبادئ الإيمانية التى لم يفعلها اليهود مع الله نفسه، وهى سبب دينونتهم، وعدم تعرفهم على شخص المسيح.

☩ *لاحظ أيها القارئ العزيز، أن السيد المسيح لم يزل يكرر أن الإيمان الحقيقى ليس هو الموروث، كإيمان اليهود، أو المتفاخَر به. ولكن الإيمان فى مفهوم الله، هو حفظ أقواله ووصاياه والعمل بها فى الحياة التى نحياها... فكم من أناس يدعون الإيمان، وبأعمالهم ينكرونه؟!*

ع56: جاءت هذه الآية ردا على تهكم اليهود على المسيح فى (ع53) **"ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم؟"**

أما المعنى: فهو أنه بالحقيقة أعظم من إبراهيم، فإبراهيم – مع مكانته عند اليهود – لم يكن أكثر من شاهدا لمواعيد الله... وهو بخلافكم، صدق الوعد، بل اشتهى أن يكون معاصرا لأحداث التجسد والفداء، فرآها بالإيمان، وصدق ففرح، وتهلل بالروح... وهذا ما عبر عنه القديس بولس فى (عب 11: 13) عندما قال: "فى الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها."

ع57-58: كالمعتاد، لم يفهم اليهود قصد المسيح، بل فسروا كلامه بأنه رأى إبراهيم بالجسد. ولهذا، تهكم اليهود ثانية قائلين: إنك لم تبلغ مبلغ الشيوخ – وهو خمسون سنة عند اليهود – فكيف تدعى رؤياك لمن مات منذ الفى عام؟! أما إجابة المسيح، فكانت تحمل الجانب اللاهوتى فى الإعلان عن نفسه، وتؤكد ما جاء فى (ص 1: 1) "فى البدء كان الكلمة". **والمعنى المقصود**: وإن كنتم تتعجبون وتهزئون من أنى معاصر لإبراهيم، فالحقيقة، والتى سوف لا تقبلونها أيضا، أننى كائن قبل أن يكون إبراهيم؛ وكلمة **"كائن"** هذه، هى نفسها الكلمة التى استخدمها الله فى تقديم نفسه لشعبه، عندما قال فى (خر 3: 14) "أَهْيَهْ" كاسم له، ومعناها: "أنا كائن". فالمسيح هنا يستخدم اسم الله المعروف عند اليهود. وقوله: **"قبل أن يكون إبراهيم"**، إشارة واضحة للاهوته الأزلى.

ع59: اعتبر اليهود ما قاله المسيح تجديف عقوبته الرجم. ولكن، لأن ساعته لم تأت بعد، خرج من الهيكل، واجتاز واختفى عن عيونهم، دون أن يتمموا قصدهم فى رجمه.

☩ *وهكذا يذكرنا المسيح ثانية أنه، فى كثير من الأحيان، يكون من الحكمة الهروب من الغضب، وليس مواجهته...*



الأصْحَاحُ التَّاسِعُ

المولود أعمى

η E η

(1) شفاء المولود أعمى (ع 1-7):

1- وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته. 2- فسأله تلاميذه قائلين: "يا معلم، من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟" 3- أجاب يسوع: "لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه. 4- ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار، يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. 5- ما دمت فى العالم، فأنا نور العالم." 6- قال هذا، وتفل على الأرض، وصنع من التفل طينا، وطلى بالطين عينى الأعمى. 7- وقال له: "اذهب اغتسل فى بركة سلوام" الذى تفسيره مرسل، فمضى واغتسل، وأتى بصيرا.

مقدمة:

أحداث الأصحاحين التاسع والعاشر تقع فى الشتاء، أى بعد 3 أشهر من عيد المظال؛ فنحن الآن فى عيد يهودى آخر - عيد التجديد - والمكان هو هيكل سليمان، فى أحد الأروقة التى يتجمع فيها المسئولين.

ع1-2: **"أعمى منذ ولادته"**: أى لم تكن له عينان أصلا. وهذا يجعل المعجزة القادمة لا تندرج تحت معجزات الشفاء، بل معجزات الخلق. أما السؤال الذى سأله التلاميذ للسيد المسيح، مستفسرين عن سبب عمى هذا الإنسان، فيعبر عن اعتقاد اليهود، وإيمانهم بما جاء فى الشريعة، افتقاد الله لذنوب الآباء فى الأبناء، أو أن المرض نتيجة مباشرة للخطية. ولكن الله يسمح أيضا بالتجارب والأمراض لأبنائه الأبرار والقديسين، لإظهار فضائل مثل الشكر والاحتمال، ويسمح بأمراض أخرى لخطاة لغرض توبتهم ورجوعهم.

ع3-5: **"لا هذا أخطأ ولا أبواه"**: هذه الإجابة من السيد المسيح لتلاميذه، كانت لصرفهم عن البحث عن الأسباب، وإعدادهم لتقبل عمل الله الآتى. فالأعمى هنا يمثل مجالا لظهور، ليس

فقط عملا محددا يقوم به – الله الكلمة – بل يكشف لنا عن صفات وتدبير الابن نحو خليقته كلها؛ فنجد صفة الحنو والحب الأبوى فى الله المفتقد لخليقته الضعيفة، فالمسيح هو الذى ذهب للأعمى والسامرية والمشلول، ولم يأتوا هم إليه. كذلك صفة الخلق، وهى عمل يعلن فيه المسيح لاهوته وقدرته الذاتية على خلق عين من العدم، بكل ما تشمله من أنسجة وأعصاب وقدرة على الإبصار. وأخيرا، يعلن الابن أيضا عن العلاقة بينه وبين الآب فى الإرادة والعمل فى (ع4). أما آخر الاغراض من هذه المعجزة، فهو **إيمان كل من رآها** بالمسيح، نظرا لصعوبتها.

"**ما دام نهار**": إشارة إلى حياته الجسدية على الأرض، والليل هو نهاية الحياة والموت.

✠*وهذه الرسالة موجهة لنا جميعا أيها الحبيب، فالمسيح يتحدث عنا كلنا، لأن النهار هو حياتى وحياتك. ونحن مدعوون لاستخدام هذا النهار، قبل أن تمضى حياتنا، فى عمل الخير. فهو فرصة عظيمة لنا لأن نعمل فيها أعمال الله، لأنه يأتى الموت، ولا يوجد عندئذ نفع فينا بعد ضياع الفرصة، بل إن الندم على إهدار حياتنا فى أشياء أخرى، كالملذات أو الانشغال بأمور العالم، لن يفيد شيئا. فلنستغل إذن هذه الفرصة الثمينة فى العمل الإيجابى، والخير، وخدمة الرب.*

"**أنا نور العالم**": أى أن المسيح هو مصدر الإنارة الوحيدة لكل من يعيش فى عمى وظلمة الخطية، وليس سواه نورا ومخلّصا. وقد سبق الحديث فى (ص 8) عن المسيح بكونه نور العالم. أما التمتع بهذا النور، فمدخله الوحيد هو حياة التوبة، والعشرة مع المسيح فى كنيسته.

ع6-7: من العجيب أن يستخدم السيد الطين، الذى يتلف العين، فى شفاء وخلق العين. ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم أن المسيح يبيّن أن قوته فى شفاء الأمراض تفوق قوى الطبيعة، ويثبت أنه غير مقيد بوسيلة واحدة فى عمل معجزاته، فهو مرة يشفى بالكلمة، وتارة باللمس، وأخرى بالتفل فى التراب، وهكذا...

"**اذهب واغتسل**": أى أن الشفاء يبدأ بالاغتسال، والاغتسال هو فعل التوبة. وفى إيماننا أن المعمودية هى اغتسال من الخطية "مطهرا إياها بغسل الماء بالكلمة" (أف 5: 26). ولهذا كانت المعمودية هى باب المسيحية، لأنها مدخل الخلاص...

كذلك التعامل مع الكتاب المقدس وكلام الله هو مصدر ثان للاغتسال الروحى وتنقية النفس.

والمصدر الثالث، هو التوبة وسر الاعتراف. فالتوبة والاعتراف، هما معمودية يومية، يغتسل فيها الإنسان من خطاياه، ويأخذ بهما عطية الشفاء وخلاص النفس. أما كلمة "**اذهب**"، وكلمتا

"**مضى واغتسل**"، فهى إشارة واضحة للدور الإنسانى؛ فهو أعمى. وكان أسهل على المسيح أن يشفيه دون أن يكبده عناء الطريق إلى البركة – وهو ما زال لا يبصر – والرجوع منها بصيرا. ولكن المسيح يريد أن يعلن، وإن كانت عطيتا الشفاء (المعمودية) والخلاص مجانيتين، إلا أن هناك دورا ومسئولية على الإنسان فى الذهاب والعودة. وهذا ما نطلق عليه تعبير "الجهاد الروحى فى الحياة مع الله". أما بركات الطاعة، والإيمان، ومعمودية الاغتسال، وجهاد الإنسان، فقد كللت بالإبصار والاستنارة.

✠ *وهذا أيضا متاح لكل إنسان فينا، لو قبل وعمل بمثل ما عمل هذا الإنسان، وأطاع المسيح، وتمسك بوسائط النعمة فى كنيسته.*

(2) اندهاش الجمع (ع 8-12):

8– فالجيران، والذين كانوا يرونه قبلا أنه كان أعمى، قالوا: "أليس هذا هو الذى كان يجلس ويتعطى؟" 9– آخرون قالوا: "هذا هو." وآخرون: "إنه يشبهه." وأما هو، فقال: "إنى أنا هو." 10– فقالوا له: "كيف انفتحت عيناك؟" 11– أجاب ذاك وقال: "إنسان يقال له يسوع، صنع طينا وطلى عينىّ، وقال لى: اذهب إلى بركة سلوام واغتسل. فمضيت واغتسلت، فأبصرت." 12– فقالوا له: "اين ذاك؟" قال: "لا أعلم."

إذ فوجئ الجميع بشفاء المولود أعمى، أعلنوا عن دهشتهم، غير مصدقين أنه نفس الإنسان. ولهم الحق فى تشككهم، فلم يُعرف على الإطلاق أن مولودا بلا عينين، تُخلق له عينان وهو رجل بالغ. كما أنها إضافة تُغيّر من ملامح وجه الإنسان، فيتشكك، ولو قليلا، من يراه فى تحديد هويته. ولولا شهادته القاطعة عن نفسه "**إنى أنا هو**"، لصار هناك كثير من الجدل، لصعوبة تصديق هذه المعجزة. وفى إجابته، شَرَحَ أيضا خطوات الشفاء، ولقائه بالرب يسوع.

"**يجلس ويستعطى**":

✠ *أخى الحبيب... أليس هذا هو حال كل إنسان جالس فى ظلمة الخطية، يجلس ويستعطى، من أجل إشباع شهواته ولذاته دون شبع؟*

أما من أضيئت نفسه بمعرفة المسيح المخلّص، ومعمودية التطهير، فهو يتحول إلى إنسان آخر، عاملا فى كَرْمِ المسيح، معطيا أكثر مما يأخذ، وتزداد يوما بعد يوم بصيرته الروحية، ويراه الناس، فيمجدوا إلهه، سر البهاء والضياء والنور لكل أولاده.

(3) الفريسيون يحققون فى واقعة الشفاء (ع13-23):

13- فأتوا إلى الفريسيين بالذى كان قبلا أعمى. 14- وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه. 15- فسأله الفريسيون أيضا كيف أبصر. فقال لهم: "وضع طينا على عينىّ، واغتسلت، فأنا أبصر." 16- فقال قوم من الفريسيين: "هذا الإنسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت." آخرون قالوا: "كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات؟" وكان بينهم انشقاق. 17- قالوا أيضا للأعمى: "ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك؟" فقال: " إنه نبى." 18- فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر، حتى دعوا أبوى الذى أبصر. 19- فسألوهما قائلين: "أهذا ابنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى؟ فكيف يبصر الآن؟" 20- أجابهم أبواه وقالا: "نعلم أن هذا ابننا وأنه ولد أعمى. 21- وأما كيف يبصر الآن؟ فلا نعلم؛ أو من فتح عينيه؟ فلا نعلم. هو كامل السن، اسألوه، فهو يتكلم عن نفسه." 22- قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود، لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح، يُخرج من المجمع. 23- لذلك، قال أبواه: إنه كامل السن، اسألوه.

ع13-15: اصطحب الجمع المولود أعمى للفريسيين، الذين هم فى أعين اليهود أكثر الناس علما وتعليما للشريعة، باحثين عن تفسير لهذه الأعجوبة الفريدة. وذكر القديس يوحنا أن المعجزة حدثت يوم سبت، تمهيدا لما سيقوله الفريسيون فى (ع16) من جهة، وتثبيت تعليم المسيح بأن السبت لا يبطل عمل الرحمة من جهة أخرى؛ وهو ما سبق المسيح وعمله وعلّم به فى كل معجزات الشفاء السابقة.

"سأله الفريسيون أيضا": تعنى أن القصة سمعها الفريسيون من الجمع. ولكن، لمزيد من التحقيق والاستيضاح، سألوا صاحب الشأن نفسه، ودافعهم هو الغيرة والحقد على السيد المسيح، ومحاولة لإيجاد علة عليه، وليس للإيمان بالواقع والاعتراف به.

✝ *وكثيرا أيها الحبيب ما تقودنا أحكامنا المسبقة على الناس إلى الحيدة عن الحق، بالرغم من وضوحه، بسبب ما تمتلئ به نفوسنا من مشاعر لا ترضى الله من نحوهم.*

ع16: انقسم الفريسيون فى رأيهم، فالأكثرية الراغبة فى إدانة المسيح، أغمضت عينيها عن المعجزة وقوتها، ولم تر سوى أن المسيح كاسرا لوصية حفظ السبت. أما البعض القليل منهم، فلم يستطيعوا سوى إعلان رفضهم للرأى الأول؛ فهل من المعقول أن يقوم رجل خاطئ بما لا يستطيع عمله سوى الله؟

ولهذا، حدث الانشقاق، ولم يخرج مجمع الفريسيين برأى واحد.

ع17: ومع هذا الانشقاق، طرحوا سؤالا على الأعمى نفسه عن رأيه الشخصى فيما حدث، لعلهم يجدون علة فى أقواله يتهموا بها المسيح بالسحر، أو ما يوقع فى الشك بحدوث معجزة.

أما إجابة الأعمى، المعترف بالفضل لمن أدخل النور إلى حياته، فجاءت مخيّبة لكل آمالهم، إذ أعلن عن إيمانه بأنه نبى، مظهرا بذلك شجاعه وحبا للحق، فهو يشهد للمسيح أمام مجلس يعلم أن أغلبه ضد المسيح.

ع18-20: إذ جاءت شهادة الأعمى على غير هوى الفريسيين، استدعوا أبويه، كآخر أمل فى إنكار هذه المعجزة، ووضعوا سؤالهم بصورة استنكارية، حتى يرفضوا قول ابنهم. أما إجابة أبويه، فكانت مختصرة وحاسمة، فأقرا بأن الرجل هو ابنهما، وإنه ولد أعمى.

ع21-23: ولكنهما فى الوقت نفسه، أعلنا عدم معرفتهما بأحداث المعجزة، وهذا لسببين؛ **الأول**: أنهما لم يرياها بالفعل. **والثانى**: وهو الأوقع، ما يذكره القديس يوحنا أنهما كانا يخافان من أن يطردهما اليهود من المجمع، مما ينتج عنه حرمانهما من الحقوق الدينية وممارسة العبادة. وكانت عقوبة الخروج من المجمع، فى أحيان كثيرة، مقدمة لعقوبة أخرى، هى القتل. ولهذا، أعاداه إلى الفريسيين لاستكمال استجوابه، على أنه رجل مسئول عن إجابته.

"**كامل السن**": معناها أنه تجاوز الثلاثين من عمره.

(4) المولود أعمى يشهد للمسيح (ع 24-34):

24- فدعوا ثانية الإنسان الذى كان أعمى، و قالوا له: "أعط مجدا لله، نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ." 25- فأجاب ذاك وقال: "أخاطئ هو؟! لست أعلم. إنما أعلم شيئا واحدا، أنى كنت أعمى، والآن أبصـــر." 26- فقالوا له أيضـــا: "ماذا صنع بك؛ كيف فتح عينيك؟" 27- أجابهم: "قد قلت لكم ولم تسمعوا. لماذا تريدون أن تسمعوا أيضا؟ ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟" 28- فشتموه، وقالوا: "أنت تلميذ ذاك. وأما نحن، فإننا تلاميذ موسى. 29- نحن نعلم أن موسى كلمه الله. وأما هذا، فما نعلم من أين هو." 30- أجاب الرجل وقال لهم: "إن فى هذا عجبا إنكم لستم تعلمون من أين هو، وقد فتح عينيّ! 31- و نعلم أن الله لا يسمع للخطاة. ولكن، إن

كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته، فلهذا يسمع. 32- منذ الدهر، لم يُسمع أن أحدا فتح عينىْ مولود أعمى. 33- لو لم يكن هذا من الله، لم يقدر أن يفعل شيئا." 34- أجابوا وقالوا له: "فى الخطايا ولدت أنت بجملتك، وأنت تعلمنا؟" فأخرجوه خارجا.

ع24-25: "**أعط مجدا لله**": كان إجراءً قانونيا ودينيا، يشبه نوع من الاستحلاف، يُلزم صاحبه بقول الحق. وهو تعبير مخيف فى نفس كل يهودى، فكان عادة يسبق المحاكمات الدينية التى تنتهى بحرمان اليهودى من المجمع، أو تقديمه إلى الموت... راجع قصة "عخان بن كرمى" (يش 7: 19). إلا أن هذا الاستجواب كان غير محايد، وليس الغرض منه الاستماع للقصة لغرض الوصول للحقيقة، بل إدانة المسيح المسبقة والواضحة فى كلامهم الإيحائى للرجل، عندما قالوا: "**نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ**".

أما إجابة الرجل، فجاءت صريحة وبسيطة: إننى لا أهتم بحكمكم على هذا الإنسان، فأنتم ترونه خاطئا، ولكنى أعيش واقعا لا أستطيع أن أنكره، وهو أننى بالأمس كنت أحيا فى الظلام، واليوم أنا فى النور.

"**كنت أعمى، والآن أبصر**":

✣ *ما أحلاها من كلمات رنانة، يُسمع صداها فى النفس المتأملة. فكثيرا ما يفتح الله أعيننا وأذهاننا وقلوبنا على أخطاء كنا نفعلها، واعتدناها اعتياد الأعمى على الظلام. ولكن، بعد دخول النور الإلهى، واستنارة النفس بحب المسيح، لا يستطيع الإنسان قبول ظلام الخطية مرة أخرى. وبقدر نمو الإنسان فى الحياة مع الله، واكتشاف أبعاد جديدة فى الحب الإلهى، لا يسعه إلا ترديد: "كنت أعمى، والآن أبصر."*

ع26-28: مرة أخرى يعود الفريسيون لاستجواب جديد، لعلهم يجدوا ما ينقضوا به شهادته. ولكن الرجل استبد به الضيق من محاولة الضغط عليه، وإعادة شهادته مرارا، وعبّر عن هذا الضيق بشئ من السخرية اللاذعة، عندما قال لهم: لعل كثرة اسئلتكم الغرض منها الإيمان به، وأن تصيروا له تلاميذ؟! فجاءت إجابتهم مزيح من الخطية والغطرسة، فالخطية إنهم شتموه، أما الغطرسة، فهى فخرهم الباطل بأنهم تلاميذ موسى، واعتبار التلمذة للمسيح إهانة، نسبوها للرجل المولود أعمى.

ع29-33: تعجب الرجل، وفى عجبه هذا سخرية جديدة، وكأنه يقول: كيف لا تعلمون، وأنتم تدعون إنكم أهل المعرفة، وخاصة أن الحدث والمعجزة فوق المقدرة الإنسانية، فإن موسى كلمه الله (ع29)، ولكنه لم يصنع مثل هذه الأعمال، أفلا يكون هذا أفضل من موسى موضع افتخاركم؟!

وقدم الرجل أيضا دفاعا جديدا ضد مجلس الفريسيين، وهو: هل الله يستجيب للخطاه؟! أم من يعمل هذه الأعمال، ويسمع له الله، هو إنسان بار وتقى، ويفعل مشيئة الله ويتممها فى حياته.

ويقدم الرجل دليلا أخيرا يختم به حديثه، وهو إنه لم يُسمع فى تاريخ الإنسانية كلها، منذ الخليقة، أن رجلا مولود أعمى، خُلقت له عينان. وبالتالى، فصانع هذه المعجزة ليس إنسانا بارا فحسب، بل هو من الله؛ وكأن هذه الشهادة قد وضعها الروح القدس على فمه.

ع34: أما الشهادة بالحق، فكان جزاؤها الشتم والإخراج من أمام مجلس التحقيق، دون إدانة أكبر، حتى لا يثور الشعب المؤمن بالمعجزة.

✝ *ونتعلم من المولود أعمى أن الشهادة بالحق، يكون لها أحيانا ثمنا باهظا، ولا يقدر عليها إلا الإنسان المؤمن بقدرة الله ومساندة الروح القدس له، كسائر شهداء الكنيسة الذين لم يثنهم ألم ولا خوف عن إعلان الحق، حتى لو دفعوا حياتهم ثمنا لها.*

(5) الفرق بين العمى الجسدى والعمى الروحى (ع 35-41):

35- فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجا، فوجده، وقال له: "أتؤمن بابن الله؟" 36- أجاب ذاك وقال: "من هو يا سيد لأومن به؟" 37- فقال له يسوع: "قد رأيته، والذى يتكلم معك هو هو." 38- فقال: "أومن يا سيد." وسجد له. 39- فقال يسوع: "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم، حتى يبصر الذين لا يبصرون، ويعمى الذين يبصرون." 40- فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين، وقالوا له: "ألعلنا نحن أيضا عميان؟" 41- قال لهم يسوع: "لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية، ولكن الآن، تقولون إننا نبصر، فخطيتكم باقية."

ع35-38: من فهمنا لهذه الآيات، نجد أن المسيح، له المجد، هو الذى سعى نحو الرجل "**فوجده**". والرجل كان يحمل روح البشارة من جهة، وألم الطرد من جهة أخرى. لكن إدراكه لم يكن كاملا، فأقصى ما يصل إليه كإنسان، هو أن المسيح نبى. ولهذا، كان لابد أن يسعى إليه الرب، ليكمل إنارة قلبه، كما أنار عينيه.

والمسيح هنا يستخدم تعبيرا كالذى استخدمه قبلا، فكما قال: "أنا هو نور العالم"، "أنا هو خبز الحياة"، وهى تعبيرات تتميز بالإعلان عن لاهوته، يقول هنا: **"هو هو"**، وهو نفس الأسلوب الذى وصـــف به الله نفســـه لموســـى، عندما ســـأله موسى عن اسمه، فقال له الله: "أَهْيَهِ الذى أَهْيَهْ"، أى الكائـــن الذى يكون. وهذا الإعلان من جانب المسيح، ارتبط بسؤال مباشر للرجل: **"أتؤمن بابن الله؟"**، ولهـــذا جاءت إجابة الرجل، بعد اســـتفسار، وإعلان المسيح عن نفسه: **"أومن يا سيد"**، وعبّر عن إيمانه بالمســـيح بالســـجود له. وهـــكذا انفتحت بصـــيرته الداخلية، ورأى الله بقلبـــه بعد أن رآه بعينيه.

ع39: **"لدينونة أتيت"**: معناها إننى أتيت لإعلان ما فى قلوب الناس، ومن منهم يقبل الله ويستنير بمعرفته، أو يرفضه ويبقى فى الظلام. فالفريسيون كانوا أكثر الناس معرفة بالناموس، ولكنهم لم يقبلوا إله الفداء والمواعيد الذى تكلم عنه ناموسهم. فجاء المسيح، النور الحقيقى، يكشف عماهم الروحى. أما البسطاء الذين لم تكن لهم معرفة الناموس والأنبياء، صاروا بالإيمان يتمتعون ببصـــيرة روحية أعـــلى شـــأنا من أى بصيرة أو معرفة جسدية. وهنا نتذكر ما جاء فى (ص 3: 19) "وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة."

ع40-41: فهم الفريسيون مغزى كلام المسيح وتلميحه، فسألوه مباشرة: ألعلك تقول علينا نحن أيضا (علماء الشريعة وفاحصيها ومعلميها) إننا عميان؟ وذلك فى محاولة لاصطياده بكلمة. إلا أن إجابة المسيح جاءت أقوى وأشد مما كان يتوقعه الفريسيون، وهى: لو كنتم عميانا لجهلكم بالشريعة، ولا قدرة لكم على تمييز الحلال من الحرام، أو تمييز المرسل من الله دونه, لكان لكم عذرا، وما حُسبت عليكم خطية. لكن ادعائكم المعرفة هو الذى يدينكم، فقد أصررتم على عنادكم و لم تؤمنوا، بالرغم من النبوات المحققة فىّ، والأعمال التى لا يقدر عليها سوى الإله الخالق. ولهذا، فدينونة رفضكم لى باقية عليكم.

✞ *يا إلهى... أعطنى هذه البصيرة الروحية النوارنية، فلا أريد لعقلى أو معرفتى أو ذاتى، أن يكونوا عوائق تمنعنى عن التعرف على آثارك وأعمالك وصوتك فى حياتى... فأنا لا أريد أن أكون فريسيا يدعى الإبصار، بل أعمى يريد أن يبصر، واثقا فى إلهه، نور العالم الوحيد.*



الأَصْحَاحُ العَاشِرُ

مثل الراعى الصالح ، علاقة الابن بالآب ، اتهام المسيح بالتجديف

η E η

(1) أنا هو باب الخراف (ع 1-10):

1- "الحق الحق أقول لكم، إن الذى لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف، بل يطلع من موضع آخر، فذاك سارق ولص. 2- وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف. 3- لهذا، يفتح البواب، والخراف تسمع صوته، فيدعو خرافه الخاصة بأسماء، ويخرجها. 4- ومتى أخرج خرافه الخاصة، يذهب أمامها، والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته. 5- وأما الغريب فلا تتبعه، بل تهرب منه، لأنها لا تعرف صوت الغرباء." 6- هذا المثل قاله لهم يسوع. وأما هم، فلم يفهموا ما هو الذى كان يكلمهم به. 7- فقال لهم يسوع أيضا: "الحق الحق أقول لكم، إنى أنا باب الخراف. 8- جميع الذين أتوْا قبلى هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم. 9- أنا هو الباب، إن دخل بى أحد فيخلص، ويدخل ويخرج ويجد مرعًى. 10- السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويهلك، وأما أنا، فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل."

مقدمة:

فى هذا الأصحاح، يقدم المسيح نفسه لليهود والبشرية، بإحدى الصفات التى تعبر عن مهمته الخلاصية فى حياة أبنائه. وقد استخدم السيد المسيح صفة الراعى، وهى المهنة الأولى للمجتمع اليهودى، وتأتى قبل الزراعة والصيد والنجارة، ولقربها من قلوبهم، إذ كان كل آبائهم الكبار رعاة مثل: إبراهيم وإسحق وداود وموسى النبى... وكذلك تكلم الله عن نفسه كراع أمين لأولاده فى (مز 23) و (إش 40: 11).

ع1-2: يؤكد السيد المسيح هنا على أنه المالك الشرعى، والراعى الوحيد لشعبه. فالحظيرة هنا هى الكنيسة، والخراف هم شعبه، والباب هو المسيح المهتم بتوبة وخلاص نفوس شعبه؛ فى

مقارنة بينه وبين كهنة اليهود والفريسين، الذين اعتبرهم المسيح لصوصا لم يشفقوا على الشعب، بل أضروه بالأكثر، ملتفتين إلى مصالحهم (راجع حز34).

☩*وكذلك ينطبق القول على كل خادم غير أمين فى كنيسة الله، يسرق من شعب المسيح لحساب ذاته، أو يسرق بتعليم غريب، سالبا المسيح قطيعه.*

ع3: "البواب": إشارة إلى الروح القدس، الذى يفتح القلوب أمام كلمة وصوت الراعى؛ وهو عمل مستمر للروح القدس. وكذلك يمكن القول بأن البواب هو الخادم الأمين، الذى لا يدّعى نفسه راعيا، بل بوابا، كل عمله إنه يفتح الباب للراعى، بمعنى أنه يسعى جاهدا لتوصيل المسيح للناس، دون أن يدّعى لنفسه دورا أكبر من هذا. أما الخراف، فإذ تسمع صوت راعيها الأمين، والذى تميزه جيدا من خلال العشرة والصداقة اليومية، وتثق فى قيادته لحياتها، إذ ينادى كل منها باسمه الخاص، كدليل على الحب والاهتمام والرعاية الخاصة... تخرج فى إثره لتتمتع بشمس المعرفة الروحية، وهواء حرية مجد أبناء الله.

☩*فهل لك أيها الحبيب هذا التمييز لصوت المسيح فى حياتك؟ فهو دائم المناداة لك، والحديث معك، مشتاقا أن تنطلق معه فى مراعيه الروحية، ليكون لك الشبع والتمتع. فلا تدع شيئا يشغل أذناك من أصوات هذا العالم ومشاغله، عن الاستماع لصوت راعيك الصالح.*

ع4-5: إذ اطمأنت الخراف إلى صوت راعيها الذى تميزه جيدا، فإنها تسير وراءه فى تسليم كامل وثقة مطلقة، فهو الوحيد الذى يعلم أين هى المراعى الجيدة لرعيته، ورعيته تنظر لقدميه، وتتبع خطواته التى تقودها إلى مياه الراحة الأبدية، متمثلة بقائدها فى اتضاعه ووداعته وجهاده وآلامه، مأسورة بحب رعايته لها. أما الغريب فهو المعلم الخادع، مثله مثل السارق واللص، فإن الرعية الواعية والمتعلمة داخل الكنيسة، تميز التعليم الغريب عن روح كنيستها ومسيحها، فتنفر من هذا التعليم المضل.

☩*ولهذا أيها الحبيب، فإن التواجد داخل المناخ الكنسى، يوفر لنا جميعا الغذاء الروحى العديم الغش، ويحمينا من المعلمين الغرباء الذين يدخلون البيوت باسم المسيح، وهم سراق ولصوص لا يبغون سوى تمزيق جسده، أى كنيسته، فلا تسمع لهم... بل اهرب منهم.*

ع6: لم يفهم اليهود قصد المسيح، وخاصة المقارنة الأخيرة بين الراعى الحقيقى وبين الغريب. ولهذا، يبدأ السيد المسيح فى الأعداد القادمة فى إعادة التوضيح والشرح، مطيلا أناته عليهم.

ع7-8: "**باب الخراف**": أى أنا المدخل الوحيد لطريق الخلاص، ولا يوجد خلاص خارج جسدى ودمى. وكذلك أنا المخرج الوحيد، من الضيقة والألم، إلى التمتع بحرية العشرة الفسيحة مع الله.

"**جميع الذين أتوْا**": بالطبع لم يقصد الأنبياء أو الآباء، وهم المرسلين بحسب اختياره ودعوته، بل يقصد كل من أتى قبله وادعى إنه هو الراعى والمعلم. وكذلك يمكن تطبيق القول على الكتبة والفريسيين، ولكن رعية الله لم تستجب لضلالهم. ويوضح القديس مرقس الفرق بين صوت الراعى الحقيقى واللصوص، فإنه: "كان يعلمهم كمن له سلطان، وليس كالكتبة" (مر1: 22). والمسيح نفسه وصف الكتبة والفريسيين باللصوص، عندما قال عنهم: "تأكلون بيوت الأرامل" (مت 23: 14)، أى أخذوا شكل الرعاة، ولكنهم كانوا لصوصا. ولهذا، فإن شعب الله الحقيقى لم يستجب لزيفهم. فكما أن الطفل يستطيع تمييز صوت أبيه، كذلك شعب المسيح مع راعيه الأعظم.

ع9-10: "**إن دخل بى أحد**": فالدعوة قائمة، ولكن الله يحترم حرية الإنسان. فالخلاص مقدم لكل الناس، ولكن للإنسان أن يقبل عطية المسيح، أو يرفضها بعناده وكبريائه. فالخلاص المجانى مشروط بالإيمان بالراعى، واتباعه، والجهاد معه.

"**يدخل ويخرج ويجد مرعى**": الحديث عن الحظيرة، وهى الكنيسة، التى توفر لأولادها:

أولا: الاتحاد بالمسيح من خلال التناول المقدس.

ثانيا: الشبع الروحى من خلال التعليم السليم.

ثالثا: الطمأنينة من خلال إرشاد الآباء.

رابعا: حرية الانطلاق فى النمو ومعرفة الله الحقيقية.

ومعنى هذا أن الحياة خارج المسيح وكنيسته هى موت.

✝ *صديقى العزيز، إن المسيح وهب لنا الحياة واشتراها لنا بموته عنا جميعا على الصليب، وقدمها لنا ودعانا إليها مجانا، وهو لا يبغى سوى أن نتمتع نحن بهذا كله، ويكون لنا الأفضل "لأن الناموس بموسى أعطى، أما النعمة والحق، فبيسوع المسيح صارا" (ص 1: 17). فكل إعلانات وأنبياء وظهورات العهد القديم، لا تغدو شيئا مقارنة بما أُعلِن لنا فى شخص المسيح بتجسده وتقديم الخلاص لنا. بل الأعظم والأفضل يا صديقى، هو سكنى روح الله القدوس الحقيقى بداخلنا.*

فيوم مسحك بالميرون المقدس، سكن الله بداخلك وصرت له هيكلا... فهل أنت تُقدّر هذه الحياة وهذا الوضع الأفضل، أم أن الحياة الزائلة والمزيفة هى التى لا زالت تستهويك وتشغلك عن مسيحك؟

(2) أنا هو الراعى الصالح (ع 11-16):

11- "أنا هو الراعى الصالح، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف. 12- أما الذى هو أجير وليس راعيا، الذى ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلا ويترك الخراف ويهرب، فيخطف الذئب الخراف ويبددها. 13- والأجير يهرب، لأنه أجير ولا يبالى بالخراف. 14- أما أنا، فإنى الراعى الصالح، وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى. 15- كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب، وأنا أضع نفسى عن الخراف. 16- ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغى أن آتى بتلك أيضا فتسمع صوتى، وتكون رعية واحدة وراع واحد.

ع11: "**الراعى الصالح**": فى (ع1)، وضحنا أهمية صفة الراعى. أما هنا، فما هو صلاح المسيح مقارنة بالرعاة مثل موسى وداود وغيرهم؟ كان هؤلاء الرعاة بدورهم أيضا خرافا لله يرعاهم؛ أما صلاح المسيح:

أولا: أنه راعى الرعاة الأوحد، ضابط الكل، ولا ترتقى رعاية أى إنسان محدود إلى رعاية المسيح لخليقته.

ثانيا: إن الراعى الأمين قد يدافع عن رعيته ويقاتل عنها، ولكنه لا يجازف بحياته الأغلى من قطيعه... أما المسيح، فقد بذل ذاته من أجل خلاص كل قطيعه، وهو عمل الفداء الكفارى الذى لا يستطيع أحد القيام به سوى مسيحنا وراعينا الصالح...

ثالثا: بجانب عمل الفداء، فإن تعبير "الراعى الصالح" يحمل معانى روحية عميقة...

✝ *إن المسيح هو المعتنى بإعداد كل ما تحتاج إليه، وهو الحنون عليك فى كل ضيقاتك، وهو المدافع عنك ضد الشر والخطر... فإذا كان هذا راعينا، فلماذا نقلق إذن وتربكنا اهتماماتنا اليومية العالمية؟*

ثق أيها الحبيب فى راعيك المحب، الباذل نفسه لأجلك.

ع12-13: مقارنة يقدمها السيد المسيح، الغرض منها إظهار مدى الحب فى رعايته لرعيته، التى يمتلكها ويفديها. فمهما كانت أمانة الأجير، لن ترقى أبدا إلى محبة صاحب القطيع

لرعيته. فالأجير حياته أهم بكثير من الخراف، فإنه يهرب إذا استشعر الخطر المهدد لحياته. أما صاحب الرعية الحقيقى، فيحمل صليبه ويصعد عليه بإرادته وحده، ليموت هو ويهب الحياة لشعبه.

✞ *والكلام هنا، يمكن توجيهه للخدام فى كنيسة المسيح. فالخادم الأجير لا يربطه بمخدوميه سوى الأجرة، أى ما يحصل عليه من مديح أو إشباع للذات. أما الخادم الأمين، فهو من أجل المسيح، وخوفا على رعية المسيح، يبذل كل جهد... حتى حياته كلها رخيصة من أجل رعية السيد التى اؤتمن عليها. والكنيسة ذاخرة بسير هؤلاء الرعاة الأمناء الذين بذلوا أيضا حياتهم من أجل شعبهم، مثال القديس البطريرك بطرس خاتم الشهداء الذى قدم حياته راضيا، طالبا من المسيح أن يكون دمه نهاية لعصر الاستشهاد الذى عانى منه الشعب القبطى على يد الرومان.*

ع14: بعد أن عرض السيد المسيح الفرق بين الأجير وصاحب الرعية، يعود ليؤكد أهمية عمله الرعوى المميز فى أنه الراعى الصالح؛ ويضيف صفة جديدة تشملها هذه الرعاية، وهى معرفته لخاصته. فكما أن الراعى يعرف قطيعه جملة وعددا، فإنه يعرف كل واحد أيضا باسمه (ع3)، وباحتياجاته وضيقاته، بل أيضا يتألم لألمه.

✞ *وهذه ميزة يتمتع بها كل أبنائه، بخلاف من يرفضون وجودهم داخل الكنيسة – حظيرته – فيقول لهم الراعى: " لم أعرفكم قط" (مت7: 23).*

"**وخاصتى تعرفنى**": معرفة الحب والعرفان والشكر من الخراف إلى راعيها الحنّان، ومعرفة الاختبار لذراعه القوية وعمل نعمته فى حياتنا. فالمسيح ليس له نظير أو بديل لكل نفس تمتعت بصداقته ورعايته، فهو الوحيد المشبع، ولهذا تتبعه النفس أينما ذهب، وهو مصدر شبعها وارتوائها.

طوباك أيها القديس بولس، عندما تعلن عن عمق هذه المعرفة، وتقول: "لأننى عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى" (2 تى 1: 12).

ع15: يقابل المسيح هنا معرفته بخاصته، بالمعرفة الكائنة بينه وبين الآب. فكما أن الآب والابن فى انفتاح واتصال دائم، هكذا لا يفصل المسيح عن رعيته شئ. وبقدر ما تستطيع الرعية أيضا، فهى فى اتصال مع سيدها وراعيها، مصدر كل خيرها... وكلما زاد الإنسان فى حبه للمسيح، زاد اتصاله به، أى زادت معرفته به...

✞ *إذن أيها الحبيب، فإن معرفة الله متاحة للجميع، لأن هذه هى شهوة قلبه وإرادته الصالحة. ولكن، هناك دور علينا جميعا لننمو فى معرفة الله المشبعة لكل نفس؛ وهذا الدور هو أن نقدم*

من وقتنا المزيد لنقضيه مع الله، فمهما كانت المشاغل والالتزامات، فهى ليست أعذارا مقبولة أمام الله. والوقت الذى نقضيه مع الله فى الصلاة والقراءة، هو استثمار لحياتنا وراحتنا وسلامنا الحقيقى.

ع15: "**اضع ذاتى**": إذ بلغ الحب منتهاه من الراعى نحو رعيته، يأتى البذل والفداء نتيجة طبيعية لهذه الرعاية الأمينة، والإشارة هنا للفداء، وهو الغاية التى تجسد من أجلها المسيح، فليس هناك برهانا أقوى من الموت يقدمه المسيح فى حبه لشعبه (ص 13:1؛ ص 15: 13).

ع16: إذ يعلن السيد المسيح سر الفداء للرعية، يوضح هنا أن هذا الفداء ليس عن شعب بنى إسرائيل فقط، فالرعية الحقيقية للمسيح، هى كل من يقبله فى العالم كله؛ فهو ليس محدودا بحظيرة إسرائيل، لأن الفداء والصليب قدم للجميع، وهذا ما تنبأ عنه رئيس الكهنة فى (ص11: 52) بأن المسيح سيموت ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد.

"**ينبغى أن آتى بتلك أيضا**":

✝ *تلقى هذه العبارة علينا جميعا التزاما فى البحث عن كل نفس بعيدة عن المسيح. فالخادم والإنسان المسيحى الحق، لا ترتاح نفسه وهو يعلم أن هناك كثيرين لا زالوا بعيدين عن كنيسة المسيح، فهو يشعر بالمسئولية تجاه هؤلاء، مثال مسيحه تماما، الراعى الأعظم. فإذا تعرفت الخراف الضالة على صوت الراعى الأعظم، صارت هى أيضا من قطيعه، تتبعه أينما ذهب.*

(3) سلطان المسيح على حياتنا (ع 17-21):

17- لهذا، يحبنى الآب، لأنى أضع نفسى لآخذها أيضا. 18- ليس أحد يأخذها منى، بل أضعـــها أنا من ذاتى، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضا؛ هذه الوصية قبلتها من أبى." 19- فحدث أيضا انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام. 20- فقال كثيرون منهم: "به شيطان، وهو يهذى، لماذا تستمعون له؟" 21- آخرون قالوا: "ليس هذا كلام من به شيطان، ألعل شيطانا يقدر أن يفتح أعين العميان؟!"

ع17: "**لهذا، يحبنى الآب**": الحب بين الآب والابن حب أزلى لا يتوقف على شئ، ولكن المسيح يلفت النظر هنا لبذل ذاته ذبيحة فداء للعالم كله، وهذه الذبيحة يقبلها الآب بسرور وحب.

ع17-18: ولئلا يُظَن أن طاعة الابن للآب تنقص من قدره، أو فى مساواته للآب، يستكمل المسيح حديثه موضحا سلطانه وإرادته المطلقة فى عملية الموت والفداء؛ فإرادة الآب والابن واحدة ومتساوية فى فداء الإنسان، فالآب بالتدبير والابن بالتنفيذ. ولهذا، يركز المسيح هنا على سلطانه، أنه هو الذى يضع بإرادته نفسه ليأخذها، أى هو الذاهب إلى الموت ليسحقه، وليس للموت سلطانا عليه. وكلمة "**آخذها**" معناها القيامة، أى يسترد روحه التى ذاقت الموت بالجسد، وليس للشيطان سلطان فى القبض على روح السيد المسيح الإنسانية والخاضعة لمشيئة الابن وحده.

"**هذه الوصية قبلتها من أبى**": الوصية هنا تشير إلى تدبير الآب فى خلاص الإنسان، فالمسيح قبل بإرادته هذا التدبير، وليس قسرا أو إجبارا.

✝ *أيها الحبيب... ألا يلفت نظرك اتضاع الابن المساوى للآب فى الجوهر، مخليا ذاته، ومقدما – بكل الحب – نفسه ليشتريك بدمه المقدس الكريم؟ فلماذا إذن لا زالت الذات العالية وكبرياء النفس تطاردنا، وننخدع بمظاهرها الباطلة؟ ألا نتعلم بعد من إلهنا؟!*

ع19-21: كالمعتاد (ص 7: 43، ص 9: 16)، يحدث الانشقاق فى الرأى بين اليهود لسببين:

الأول: عدم فهمهم لما قاله، غير مدركين الأبعاد الروحية لكلامه.

الثانى: عداوتهم للمسيح نتيجة تأثير كلامه فى الآخرين، فكان الأسهل عليهم اتهامه بالتجديف وتبعيته للشيطان.

ولكن، بقى قوم لم يوافقوا الأولين على رأيهم... فهم لم ينسوا بعد معجزة المولود أعمى، وساقوها هنا كدليل ينفى عن المسيح أية علاقة بمملكة الظلمة.

(4) العلاقة مع الآب (ع 22-30):

22– وكان عيد التجديد فى أورشليم، وكان شتاء. 23– وكان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان. 24– فاحتاط به اليهود، وقالوا له: "إلى متى تعلق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح، فقل لنا جهرا." 25– أجابهم يسوع: "إنى قلت لكم ولستم تؤمنون، الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى. 26– ولكنكم لستم تؤمنون، لأنكم لستم من خرافى كما قلت لكم. 27– خرافى تسمع صوتى، وأنا أعرفها فتتبعنى. 28– وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من

يدى. 29– أبى الذى أعطانى إياها، هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى. 30– أنا والآب واحد."

ع22-23: يقطع القديس يوحنا هنا حديث السيد المسيح عن الرعية والراعى الصالح، ليضيف لنا البعد الزمنى والمكانى لهذا الحديث، فعيد التجديد هذا هو عيد قومى روحى، أضافه يهوذا المكابى تذكارا لتطهير الهيكل من الاحتلال اليونانى، الذى نجس الهيكل، وقتل أكثر من أربعين ألف من اليهود. والزمن كان شتاءً، حوالى منتصف ديسمبر. ولما كان رواق سليمان هو الرواق الوحيد المسقف، احتمى فيه السيد المسيح من البرد والمطر.

ع24-25: أجمع كل الآباء والمفسرون أن الغرض من السؤال، ليس الإيمان بالمسيح وتبعيته، بل محاولة جديدة لاصطياده بكلمة، فيتهموه بالتجديف، وخاصة ما طلبوه منه أن يعلن هذا جهرا، أى أمام كل الجموع، فتكون لهم شكاية عليه أمام مجمع رؤساء اليهود من جهة، وأمام الدولة الرومانية من جهة أخرى، لأن إعلان إنه المسيح، يشتمل ضمنا على أنه ملك اليهود، محررهم من الرومان. ولهذا، جاءت إجابة المسيح غير مباشرة، ولكنه لم ينكر حقيقة نفسه، بل أشار إلى الأعمال الإعجازية التى قام بها، ولا يستطيع أحد سواه أن يقوم بها.

وقد اســـتخدم السيد نفس الرد فى أن أعماله تشهد له (ص 5: 36؛ ص 9: 4؛ ص 10: 37، 38؛ ص 14: 10).

ع26: يقدم المسيح هنا سبب عدم إيمان اليهود به، سواء لكلامه أو أعماله. وهذا السبب هو أنهم ليسوا من خرافه، أو من الله؛ فكبرياء الإنسان يمنعه من الاستماع لصوت الله، وهذا ما كان يعانيه الكتبة والفريسيين. أما الشعب البسيط والمتضع، فكان يقبل كلام المسيح ويسر به. وعبارة: "**كما قلت لكم**"، هى تذكير من المسيح لما قاله فى (ع4، 14) وكذلك (ص 8: 47).

ع27: تكرار لما جاء بالأعداد (4، 14)، والغرض هو تأكيد لنفس المعانى الروحية فى معرفة الله لخاصته، وتمييزها لصوته.

ع28: **"وأنا أعطيها حياة أبدية"**: عطية خاصة جدا تتمتع بها رعية المسيح وحدها، وهى عطية ميراث الحياة الأبدية. ولكن، كيف يعطيها هذه الحياة الأبدية؟ والإجابة من خلال ما سبق وتكلم عنه أيضا:

(1) الميلاد من المعمودية والروح القدس، فى حديثه مع نيقوديموس (ص3: 5).

(2) الإيمان بالابن الوحيد (ص 3: 16، 36؛ ص 6: 47).

(3) التناول من جسده الاقدس ودمه الكريم (ص 6: 54).

(4) تبعية المسيح المستمرة والجهاد وقبول الضيقات (ص 12: 25).

"لن تهلك... لا يخطفها أحد":

✞ *ما أحلى هذه الكلمات التى تشيع فى النفس اطمئنانا، وتبعد شكوكنا فى خلاص نفوسنا... نعم أيها الإله الحبيب، نحن نؤمن أن لنا حياة أبدية فيك وحدك، وأنت حافظنا وحامينا. وكيف لا نخلص، وقد وهبتنا الخلاص المجانى فى المعمودية، وغفران الخطايا فى سر التناول الاقدس، وسر التوبة والاعتراف؟ نحن مطمئنين يا سيدى. ولكن، هب لنا روح الجهاد ضد الخطايا حتى نكمل خلاص نفوسنا...*

ع29-30: فى (ع28)، يقول السيد: **"لا يخطفها أحد من يدى"**، وهنا يقول: **"لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى"**، وهذا إثبات ودليل على أن يد الآب والابن هما واحد فى المقدرة، والقوة، والإرادة أيضا. ولهذا، جاء الإعلان الهام فى (ع30) **"أنا والآب واحد"**، وهى من أقوى الآيات التى تثبت لاهوت المسيح ومساواة الابن للآب. أما تعبير **"أبى الذى أعطانى إياها"**، فمعناه إنه منذ الأزل، وقبل تأسيس العالم، مُنحت الخليقة كلها للابن، فهو خالقها (ص 1: 3)، وهو فاديها (ص 10: 15)، وهو حاميها ومدبرها (ص 10: 28).

"هو أعظم من الكل": مهما كانت محاولات الشيطان لخطف وتبديد رعية الله، فإن الله أقوى، وحمايته غير محدودة.

✞ *فهل نثق يا أحبائى فى يد الله القوية، وحمايته لكنيسته، أم لا زلنا نقلق من هذا وذاك؟ أيها الحبيب... أنت بين يدى أبيك السمائى، تتمتع بحماية فائقة، تستطيع من خلالها الانتصار على قوة المعاند الشرير. فلا تستهن بيد الله القوية التى تسحق كل الشرور، بل تعالى نرنّم مع سليمان الحكيم قائلين: "اسم الرب برج حصين يركض إليه الصّدّيق ويتمنّع" (أم 18: 10).*

(5) اتهام المسيح بالتجديف (ع 31-42):

31- فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه. 32- أجابهم يسوع: "أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى، بسبب أى عمل ترجموننى؟" 33- أجابه اليهود قائلين: "لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف. فإنك - وأنت إنسان - تجعل نفسك إلها." 34- أجابهم يسوع: "أليس مكتوبا فى ناموسكم: أنا قلت إنكم آلهة. 35- إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب. 36- فالذى قدّســه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون له إنك تجدف، لأنى قلت إنى ابن الله؟ 37- إن كنت لست أعمل أعمال أبى، فلا تؤمنون بى. 38- ولكن، إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بى، فآمنوا بالأعمال، لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه." 39- فطلبوا أيضا أن يمسكوه، فخرج من أيديهم. 40- ومضى أيضا إلى عبر الأردن، إلى المكان الذى كان يوحنا يعمد فيه أولا، ومكث هناك. 41- فأتى إليه كثيرون، وقالوا: "إن يوحنا لم يفعل آية واحدة. ولكن، كل ما قاله يوحنا عن هذا، كان حقا." 42- فآمن كثيرون به هناك.

ع31-33: الإعلان القوى، الذى قاله السيد المسيح عن وحدانيته مع الآب، أغاظ اليهود، بسبب عدم إدراكهم لكل الأقوال والعجائب السابقة، والتى لا يأتى بها بشر. فحاولوا رجمه بالحجارة، معتبرين كل ما قاله فى علاقته بالآب تجديفا. وبدلا من أن يستمعوا ويفهموا ويستوعبوا الأعمال الحسنة التى عملها المسيح، انغلقت عيونهم وقلوبهم عنها، و لم يتبق سوى الرغبة فى قتله.

✝ *أيها الحبيب، ألا ننسى نحن أيضا فى كثير من الأحيان، وخاصة فى وقت الضيق والتجربة، كل ما فعله الله معنا من خير ومعجزات خلال سنوات عمرنا، ولا نستمع إلا لصوت عدو الخير، المشكك فى رعاية الله لأولاده؟!*

ألا نظلم الله معنا حينئذ؟

يا إلهى الحبيب... سامحنا على تجاسرنا وظلمنا لك، ولا تجعلنا نشبه من أُعمِيَت عيونهم عنك وعن خيراتك.

ع34-36: قد يحتمل الإنسان ظلما من أجل الله، ولا يدافع عن نفسه. أما تهمة التجديف، فهى الوحيدة التى لا يقبلها المسيحى عن نفسه، لأن قبولها معناه إنكار الله. وهنا، يدافع المسيح عن نفسه ضد هذه التهمة الباطلة، مستخدما الناموس نفسه. فالناموس لقّب موسى إلها لأخيه هارون (خر 4: 16)، وفى (مز 82: 6) يقول: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم"، والناموس صادق ولا يمكن نقضه. فإذا كان الناموس قد أطلق على أناس إنهم آلهة، و لم يعتبر هذا

تجديفا. فحتى وإن كنت فقط إنسانا... فأنا لم أجدف عندما استخدمت نفس الصفة لنفسى، أى إنها صفة لها مرجع لديكم... والاحتجاج الثانى الذى قدمه السيد هو أقوى، لأنه يعلن عن نفسه إنه ليس إنسانا عاديا (ع36)، فهو قدوس الله، أى المعيّن منذ الأزل مسيحا لخلاص البشر، والمرسل بتجسده إلى العالم. فكل من سبقوه أُطلق عليهم آلهة، لأن كلمة الله صارت إليهم (ع35). أما هو، فهو كلمة الله ذاته (ص 1: 1)، فكيف لا يكون إلها بالطبيعة؟ ولهذا، فهو ابن الله، وهو أيضا الله، وهو والآب واحد.

ع37-38: أما الإثبات الثالث الذى يقدمه المسيح ضد اتهام التجديف، فهو الأعمال نفسها، والتى سبق الإشارة إليها فى (ص5: 36؛ ص9: 3-5؛ ص10: 35، 38؛ص14: 10-12). وهى أن الأعمال التى يعملها كلها أعمال إلهية، لم يسبق لإنسان عملها؛ من إشباع الجموع، وإقامة مريض بيت حسدا، إلى شفاء المولود أعمى. وهذه الأعمال وحدها، حتى دون أن تسمعوا لكلامى، كافية لأن تؤمنوا عندما قلت لكم: "أنا والآب واحد"، لأنى أنا فى الآب والآب فىّ.

ع39: تنتهى الأحداث بأن كل ما قاله السيد لم يقنع اليهود، بل طلبوا أن يمسكوه غيظا، إما بغرض رجمه خارجا، أو تقديمه إلى الرؤساء للمحاكمة. ولكن المسيح، إذ لم تأت ساعته بعد، "لم يلق أحد عليه الأيادى" (ص 7: 44)، ومضى فى وسطهم دون أن يمسكوه (ص 8: 59).

ع40-42: أى إلى شرق الأردن، حيث تعمد الرب يسوع من المعمدان، وهذا الجزء معروف ببلاد بيريّة (مت 19: 1)، قضى فيه السيد المسيح آخر 4 أشهر من تجسده، أى من ديسمبر حتى عيد الفصح الذى قبل صلبه. ووجود المسيح فى ذلك المكان، جذب إليه الكثير من الجموع الذين قبلوا الإيمان ببساطتهم؛ والمقارنة التى عقدها هؤلاء البسطاء بين الرب ويوحنا المعمدان، الذى لم يفعل معجزة واحدة، نستدل منها أن المسيح صنع آيات ومعجزات خلال فترة إقامته هناك. وهذه المعجزات، بالإضافة إلى شهادة يوحنا له، كانت سببا فى إيمان كثيرين.



الأَصْحَاحُ الحَادِى عَشَرَ
إقامة لعازر

η E η

(1) موت لعازر (ع 1-7):

1- وكان إنسان مريضا، وهو لعازر من بيت عَنْيَا، من قرية مريم ومرثا أختها. 2- وكانت مريم، التى كان لعازر أخوها مريضا، هى التى دهنت الرب بطيب، ومسحت رجليه بشعرها. 3- فأرسلت الأختان إليه قائلتين: "يا سيد، هوذا الذى تحبه مريض." 4- فلما سمع يسوع، قال: "هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به." 5- وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر. 6- فلما سمع أنه مريض، مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين. 7- ثم بعد ذلك، قال لتلاميذه: "لنذهب إلى اليهودية أيضا."

تمهيد:

معجزة إقامة لعازر من بين الأموات، هى معجزة انفرد بها إنجيل يوحنا. ولعل القارئ العزيز يسأل: ما سر هذا الانفراد للقديس يوحنا؟! والإجابة: إن القديس يوحنا كتب إنجيله فى نهاية القرن الأول، وبعد حوالى 50 عاما من كتابة باقى الأناجيل. وبالتالى، اختار أحداثا أخرى لم يركز عليها باقى الإنجيليين، مثل: شفاء مريض بيت حسدا، وخلق عينين للمولود أعمى. واختيار القديس يوحنا لهذه المعجزات بالذات له مدلول آخر، وهو ليس إبراز شخص المسيح كإنسان له قدرة، بل كإله له سلطان؛ وهو أسلوب تميز به إنجيل يوحنا منذ أول كلماته. أما سؤال: لماذا ذكر مرقس شيئا لم يذكره يوحنا، أو ذكر لوقا شيئا لم يذكره متى؟ فإجابته: إن كل ما كتبه الإنجيليين الأربعة، لم يكن على سبيل الحصر، بدليل ما قاله القديس يوحنا نفسه: "وأشياء أُخَرُ كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (ص 21: 25).

ع1-2: لعازر شخصية محبوبة للرب، له المجد، مع أختاه. وكان منزله بمثابة محطة، يستريح فيها المسيح أثناء تجواله. واسم **"لعازر"** معناه: "الله الذى آزر". وقرية **"بيت عَنْيَا"** معناها: "بيت العناء"، وتبعد عن أورشليم حوالى 3كم.

والإشارة إلى مرض لعازر هنا، هى مقدمة لباقى أحداث الأصحاح.

وقصة دهن مريم بالطيب للمسيح، تأتى بالتفصيل فى (ص 12: 3-8).

ع3: كان المسيح فى عبر الأردن، عندما أرسلت إليه الأختان، بدالة الحب والصداقة الأسرية، برجاء شفاء أخوهما. و لم يكن المسيح محتاجا لمن يذكره بأنه يحب لعازر. ولكن، ما ذكرته الأختان، وهذه الكلمات هى نوع من الترجى الشفاعى، ليأتى المسيح بسرعة أكثر.

✝ *ونتعلم من مريم ومرثا، مما صنعتاه بإرسال رسول إلى المسيح، أن نرسل صلواتنا إليه من أجل أحبائنا المرضى، ليس فقط الذين نعرفهم على وجه الخصوص، ولكن لكل المرضى على وجه العموم.*

ع4: "**ليس للموت**": إجابة المسيح هنا دليل على لاهوته، فهو يجيب صاحب الرسالة العاجلة، على مسمع من تلاميذه، بأن "**هذا المرض ليس للموت**"، ودليل أيضا على علمه السابق بكل ما سيأتى من أحداث هذه القصة. بل يكرر السيد ما قاله سابقا فى (ص9: 3) قبل شفاء المولود أعمى؛ وهو أن كلا المرضين كانا بترتيب إلهى يُستعلن من خلاله قدرة الابن على خلق العينين والإقامة من الأموات.

ع5-6: "**كان يسوع يحب**": هو مثال لحب المسيح لكل خليقته، وخاصة هذه القلوب والاعين المتعلقة به.

✝ *وقد ذكر القديس يوحنا هنا هذا الحب، ويؤكده، حتى لا يسرع القارئ ويقول: كيف يهمل السيد المسيح رسالة الرسول الهامة بمرض حبيبه لعازر، ويمكث لمدة يومين بعيدا ومتباطئا؟! فالمسيح يحب، وهذه حقيقة. وعلينا أن نتعلم أمورا روحية حسنة، وهى حكمة الله فى تدبير الأوقات؛ فصلواتنا مرفوعة لديه فور النطق بها. ولكن الاستجابة وتوقيتها، تتوقف على حكمة الله فى تدبير الأوقات "لكل شىء زمان، ولكل أمر تحت السموات وقت" (جا 3: 1)، والتأخر أحيانا يأتى بفوائد أكثر... وقد يكون اختبارا لإيمان وثقة الإنسان فى الله...*
ونتعلم أيضا ألا ندين الناس إذا تأخروا فى السؤال عنا، لعل كان لديهم من الأمور الهامة ما يشغلهم عنا، بل نلتمس لهم الأعذار.

ع7: واستجاب قلب المسيح المحب، فى الوقت الذى رآه مناسبا. فبعد اليومين، توجه إلى بيت عَنْيَا فى اليهودية، تاركا بيت عبرة فى عبر الأردن، آخذا معه تلاميذه الذين سيصبحون شهودا لهذا الحدث العظيم.

(2) خوف التلاميذ من زيارة اليهودية (ع 8-16):

8- قال له التلاميذ: "يا معلم، الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك، وتذهب أيضا إلى هناك؟" 9- أجاب يسوع: "أليست ساعات النهار اثنتى عشرة؟ إن كان أحد يمشى فى النهار لا يعثر، لأنه ينظر نور هذا العالم. 10- ولكن، إن كان أحد يمشى فى الليل يعثر، لأن النور ليس فيه." 11- قال هذا، وبعد ذلك قال لهم: "لعازر حبيبنا قد نام؛ لكنى أذهب لأوقظه." 12- فقال تلاميذه: "يا سيد، إن كان قد نام، فهو يُشفَى. 13- وكان يسوع يقول عن موته، وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. 14- فقال لهم يسوع حينئذ علانية: "لعازر مات. 15- وأنا أفرح لأجلكم إنى لم أكن هناك لتؤمنوا، ولكن لنذهب إليه." 16- فقال توما الذى يقال له التوأم للتلاميذ رفقائه: "لنذهب نحن أيضا لكى نموت معه."

ع8: لا زالت أحداث عيد التجديد، وحديث السيد عن الرعية والراعى، ومحاولة اليهود رجم الرب يسوع أو القبض عليه، ماثلة أمام أعين التلاميذ. ولهذا، جاء استفسارهم الاعتراضى عن الذهاب لليهودية، وخوفهم على المسيح، وعلى أنفسهم، من بطش اليهود.

ع9-10: ما قاله المسيح للتلاميذ فى هذين العددين، هو على سبيل المثل الإيضاحى؛ فالمسيح هو نور النهار، وساعات النهار هى زمن خدمته المحددة على الأرض. وبالتالى، لا داعى للخوف، ما دام الوقت نهارا وأنا معكم. وقد أوضح المسيح ذلك عندما قال: "النور معكم زمانا قليلا بعد، فسيروا فى النور ما دام لكم النور" (ص 12: 35)، وكأنه يقول لا تخافوا، فلن يستطيع أحد أن يؤذيكم، لأنى أولا أنا معكم، ثانيا ليس لأحد سلطان علىّ لأن ساعتى لم تأت بعد، فاجعلوا حالكم كمن يسافر نهارا وهو لا يخشى شيئا، قبل أن يأتى الظلام.

ع11: "لعازر حبيبنا": يعبر المسيح هنا عن علاقة الحب التى تربطه بلعازر، وقد ضم لها التلاميذ أيضا.

☩ *ولكن المعنى الروحى، أن المقصود لم يكن لعازر وحده، فالمسيح يحبك أنت، ويحبنى أنا أيضا، ويحب كل أولاده. ألم ينادنا جميعا فى سفر نشيد الأناشيد باسم "حبيبتى"؟ قد تدعو الله فى صلاتك "حبيبى". ولكن، هل تسمعه أيضا وهو يدعوك حبيبا، وكم يكون صداها فى نفسك؟ بل هو أيضا يدعوك حبيبا أمام تلاميذه وكل قديسيه.*

"**قد نام**": استخدم المسيح هذا التعبير، ليعلمنا أن الموت الذى يأتى على أبنائه بالجسد، ليس هو موتا، بل نوما هادئا يعقبه قيامة وحياة أبدية.

☩*ولهذا، فالكنيسة فى الصلاة على الراقدين تقول: "ليس موتا لعبيدك بل هو انتقال." ولكن الموت عند المسيح، يعنى الهلاك نتيجة عدم الإيمان به، أو رفض وصاياه، أو كبرياء الإنسان، أو رفض الأسرار الكنسية، فهذا هو الموت الحقيقى الذى لا يعقبه حياة، بل دينونة.*

"**أذهب لأوقظه**": إشارة لعمله اللاهوتى فى إقامة لعازر من الموت. وهذه الإشارة لم يفهمها التلاميذ، لكنهم سيدركون معناها بعد معجزة القيامة.

ع12-14: فهم التلاميذ كلام المسيح حرفيا، دون الوصول لقصده. ولما كانت رغبتهم القلبية، لا زالت لا تريد الذهاب إلى اليهودية، قدموا نومه كدليل على بداية شفائه... وهو ما يحدث فعلا فى كثير من الأمراض، مثل الحمى، فبداية النوم لفترة طويلة تسبق الشفاء... وأمام هذا الابتعاد عن الفهم، أعلن المسيح صراحة قصده السابق، وهو إعلان موت لعازر بالجسد.

ع15: "**أنا افرح لأجلكم**": لم يفرح السيد بموت لعازر، بل من أجل علمه بما سيحدث، فإن إقامة لعازر ستكون سببا كبيرا فى تدعيم إيمان التلاميذ أمام أحداث الصليب، والتى اقتربت جدا. كذلك، فهناك الكثيرين، بجانب التلاميذ، سوف يؤمنون بالمسيح بعد هذه المعجزة... ويوضح أيضا سبب فرحه... بانه لم يكن هناك وقت مرضه، وذلك لأن المعجزة كانت ستكون أقل شأنا، وشاهد التلاميذ أمثلة متكررة لها... ولكن التأثير سيصير أعظم عندما يقام من مات له أربعة أيام.

ع16: الحديث هنا جانبى بصوت خفيض من توما – الذى يُعرف بشكه وقلقه – للتلاميذ. وكأن توما يقول إن المعلم لم يسمع لنصحنا، وتوسلنا إليه. وبالتالى، فالنتيجة الحتمية هى قبض اليهود عليه وعلينا، وموتنا جميعا معا.

☩*وما فعله توما حينذاك، يفعله كثيرين أيضا من هؤلاء الذين يسبق عقلهم إيمانهم. وبدلا من أن يصدقوا خبر الإيمان، يشككون البسطاء فى إيمانهم، بسخريتهم مثلا من المعجزات، أو قدرة الله، أو سلطان القديسين.*

يا إلهى، لا تجعل من عقولنا موانعا وسدودا تمنع تيار الإيمان، بل افتح قلوبنا، فنقبل ونُخبر أيضا بعظيم أعمالك.

(3) المسيح هو القيامة والحياة (ع 17-29):

17- فلما أتى يسوع، وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر. 18- وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة. 19- وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما. 20- فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقته، وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت. 21- فقالت مرثا ليسوع: "يا سيد، لو كنت ههنا لم يمت أخى. 22- لكنى الآن أيضا، أعلم أن كل ما تطلب من الله، يعطيك الله إياه." 23- قال لها يسوع: "سيقوم أخوك." 24- قالت له مرثا: "أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير." 25- قال لها يسوع: "أنا هو القيامة والحياة، من آمن بى ولو مات فسيحيا. 26- وكل من كان حيا وآمن بى، فلن يموت إلى الأبد. أتؤمنين بهذا؟" 27- قالت له: "نعم ياسيد، أنا قد آمنت انك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم." 28- ولما قالت هذا مضت، ودعت مريم أختها سرا، قائلة: "المعلم قد حضر، وهو يدعوك." 29- أما تلك، فلما سمعت، قامت سريعا وجاءت إليه.

ع17-19: "**أربعة أيام**": هى المدة ما بين إبلاغ المسيح لتلاميذه بنوم لعازر، وتركه عبر الأردن إلى اليهودية. وبيت عَنْيَا تبعد عن أورشليم حوالى 45 دقيقة سيرا على الأقدام. ومثل عادة معظم المجتمعات حتى الآن، فقد اجتمع العديد من أهل القرية لعزاء مريم ومرثا فى بيتهما.

ع20: يُفهم من النص أن المسيح لم يذهب إلى بيت لعازر، بل إن هناك رسولا أخبر مرثا، التى خرجت مسرعة لمقابلة المسيح خارجا، وتركت مريم بين المعزّين، ومريم لم تعرف، وإلا كانت قد خرجت هى الأخرى معها. وتتضح عدم معرفتها من (ع28)، عندما أخبرتها مرثا لاحقا "**المعلم قد حضر**".

ع21-22: بتلقائية وببساطة، تكلمت مرثا بما تشعر به، فقد عبّرت عن أسفها بعدم وجود المسيح وقت مرض أخوها، فهى تعلم أن حبه لشخص لعازر من جهة، واعتباره نبيا بارا صنع معجزات شفاء كثيرة قبلا، وأن كل ما يطلبه من الله يستجاب له من جهة أخرى، كان

كفيلا بشفائه ومنع موته. وقولها: "**الآن أيضا**"، كان يعنى انتظارها شيئا من المسيح، وهو غالبا إقامة أخيها، ولكنها غير واثقة من ذلك، بدليل باقى حديثها.

✝ *ولعل أهم ما نتعلمه هنا من مرثا، بساطة الحديث وصراحته، وهى عناصر هامة كثيرا ما تخلو منها صلواتنا. فيجب علينا أن نتحدث مع الله بكل ما نشعر به، سواء ضيقا أو طلب معونة، أو شكر على ما جاد به علينا؛ فالصدق والصراحة أساس للصلاة المقبولة.*

ع23-24: مقابلة جديدة يقدمها القديس يوحنا، كما اعتاد على إبراز الفرق الكبير بين ما يقصده الله، وبين ما يفهمه الإنسان. فالمسيح هنا يوضح أن لعازر سيقوم بالحقيقة، لأن القيامة والحياة هى من خصائص وسلطان الابن الوحيد، اللتين يمنحهما لمن يريد من ذاته. أما مرثا، فلم تفهم هذا البعد اللاهوتى فى شخص المسيح بعد. ولهذا إجابته، بما هو راسخ فى أذهان كل الناس، بأن أخوها "**سيقوم**" أيضا كما الجميع، "**فى اليوم الاخير**"، أى يوم القيامة العامة لكل الناس.

(4) إقامة لعازر (ع 30-46):

30- ولم يكن يسوع قد جاء إلى القرية، بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا. 31- ثم إن اليهود الذيـــن كانوا معها فى البيت يعزونها، لما رأوا مريم قامت عاجلا وخرجت، تبعوها قائلين: "إنها تذهب إلى القبر لتبكى هناك." 32- فمريم لما أتت إلى حيث كان يسوع ورأته، خرت عند رجليه قائلة له: "يا سيد، لو كنت ههنا لم يمت أخى." 33- فلما رآها يسوع تبكى، واليهود الذين جاءوا معها يبكون، انزعج بالروح واضطرب. 34- وقال: "أين وضعتموه؟" قالوا له: "يا سيد، تعال وانظر." 35- بكى يسوع. 36- فقال اليهود: "انظروا كيف كان يحبه!" 37- وقال بعض منهم: "ألم يقدر هذا، الذى فتح عينِى الأعمى، أن يجعل هذا أيضا لا يموت؟" 38- فانزعج يسوع أيضا فى نفسه، وجاء إلى القبر، وكان مغارة وقد وضع عليه حجر. 39- قال يسوع: "ارفعوا الحجر." قالت له مرثا أخت الميت: "يا سيد، قد أنتن، لأن له أربعة أيام." 40- قال لها يسوع: "ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله؟" 41- فرفعوا الحجر، حيث كان الميت موضوعا. ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: "أيها الآب، أشكرك لأنك سمعت لى. 42- وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن، لأجل هذا الجمع الواقف، قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى." 43- ولما قال هذا، صرخ بصوت عظيم: "لعازر، هلم خارجا." 44- فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات باقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل.

فقال لهم يسوع: "حلوه، ودعوه يذهب." 45- فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم، ونظروا ما فعل يسوع، آمنوا به. 46- وأما قوم منهم، فمضوا إلى الفريسيين، وقالوا لهم عما فعل يسوع.

ع25: يجيب المسيح هنا مصححا للمفاهيم، ومعلنا عن لاهوته فى قدرته الذاتية، إنه هو "**القيامة**" ومصدر "**الحياة**". والقيامة ممكنة فى أى وقت بحسب مشيئته وقدرته، وليست فى اليوم الأخير فقط كما هو فى أذهان الناس، وكل من يموت بالجسد، مثل لعازر، ولكنه "**آمن**" به "**فسيحيا**"، أى تكون له الحياة الأبدية. فالموت الجسدى لا يمس الروح بشئ، ولكن موت الروح – بالخطية – يعتبر عدم إيمان بالمسيح. وبالتالى، لن تكون له قيامة الحياة، بل الدينونة الأبدية.

✠ *وهذا الإيمان، يجعلنا ندرك سر عدم خوف آباؤنا الشهداء من الموت. فالموت من أجل اسم المسيح، اعتبروه بداية للحياة، وعربونا للقيامة الحقيقية.*

"**أنا هو القيامة والحياة**": تعبير مملوء رجاء لكل نفس لا زالت تئن من موت الخطية. فالمسيح يعلن لها أنه سر قيامتها وحياتها، إن أرادت القيامة من موتها.

تعالوا إذن نقدم هذا المسيح المقيم لكل نفس بعيدة عن كنيسته فنتمتع بمعجزات قيامة يومية فى كنيسته بعودة كل من "كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد" (لو 15: 24، 32).

ع26: يضيف الإيمان بالمسيح ميزة أخرى لمن آمن به، وهى عدم الموت الأبدى، وذلك فى استكمال لمعنى الآية السابقة. فليس فقط من كان ميتا سيحيا، بل إن من هو حى "**فلن يموت إلى الأبد**". وهذه التكملة، تجعلنا ندرك الفرق بين مفهوم الموت عند العالم من جهة، وعند الله وأولاده من جهة أخرى، كما سبق إيضاحه فى (ع25).

"**أتؤمنين بهذا؟**": نفس السؤال سأله المسيح للمولود أعمى (ص 9: 35). وكان المسيح يؤكد، مرارا وتكرارا، أن الإيمان بشخص المخلّص، هو أساس الخلاص والشفاء والعطايا، التى أهمها جميعا، القيامة وعدم الموت.

ع27: يأتى إعلان إيمان مرثا هنا، مقابلا لإعلان بطرس فى (مت 16: 16) فى أن المسيح هو الابن المتجسد، والآتى إلى العالم من أجل خلاصه.

ويعلق القديس يوحنا ذهبى الفم أن مرثا مثل بطرس، لا تستطيع وحدها أن ترقى إلى هذا المستوى من الإعلان، بل إن الروح القدس أعلن على لسان مرثا، كما أعلن على لسان بطرس. أما

الإيمان اليقينى بشخص ربنا يسوع المسيح، كابن الله المخلّص، فقد استُكمل بعد القيامة، واستُعلن بعد حلول الروح القدس على التلاميذ.

ع28-29: "**دعت مريم أختها سرا**": أى أن مرثا عادت إلى المنزل، وأبلغت أختها بحضور المسيح. وكلمة "**سرا**"، فلعلها لم ترد إزعاج المعزّين. وفى رأى آخر، خشت أن يكون هناك أعداء للمسيح وسط المعزّين لم تشأ أن تخبرهم بقدومه. أما مريم، فلما سمعت، كانت استجابتها سريعة.

✝ *وهذا ما نحتاجه جميعا، أن تكون استجابتنا سريعة لنداءات المسيح لنا، فكثيرا ما نخطئ بتأجيل الاستجابة، فتضيع العديد من فرص التمتع بلقاء شخص المسيح الحبيب.*

ع30-32: لم يدخل المسيح القرية أو بيت لعازر، فقد كان هدفه واضحا، وهو إقامة لعازر، وليس التعزية فى موته. وخروج مريم مع مرثا من البيت، كان ملفتا لنظر اليهود والمعزّين، فقاموا هم بدورهم تابعين لهما، ظانين ذهابهما للقبر مثل عادة الكثيرين فى البكاء عند القبور. ولعل هذا كان تدبيرا إلهيا أن يخرج المعزّين ورائهما، حتى يشاهدوا هذه المعجزة الفريدة. وعندما قابلت مريم المسيح، تحدثت بمثل ما قالت مرثا قبلا (ع21). ولكن سجودها عند رجليه، هو دليل على إكرامها جدا لشخص المسيح، وأيضا انسحاقها بالحزن على عدم وجوده قبل وفاة أخيها.

ع33-35: كان منظر بكاء مريم والمعزّين المجتمعين معها منظرا مؤثرا للغاية، خاصة وأنه كان يمس إنسانا قريبا من قلب المسيح. ولما كان المسيح إلها كاملا، بقدرته أن يقيم لعازر، إلا أنه أيضا إنسانا كاملا، يحمل كل المشاعر الرقيقة بداخله. وتعبير "**انزعج بالروح**"، يفيد باليونانية لم يكن راضيا أو مرتاحا. وكلمة "**اضطرب**"، تفيد باليونانية أيضا معنى القشعريرة.

✝ *وهى صورة توضح معنى إحساس المسيح بنا، فهو رقيق القلب، يشعر بآلام أولاده، يتألم ويتضايق ويشاركهم أحزانهم (إش 63: 9). وهذا فى حد ذاته، يعطى عزاءً لكل من هو فى تجربة أو ضيق.*

ولعلنا نتعلم أيضا من هذا الموقف، المشاركة الإيجابية المسيحية لمن هم فى ضيقة أو حزن شديد "بكاء مع الباكين" (رو 12: 15)، ولا نستهين أو نقلل من مشاعر الناس عند بكائهم، بل بكائنا نحن أيضا ليس خطأ، طالما لم يتعد حدود إيماننا ورجائنا فى القيامة بعد الموت. فالحزن الخاطئ، والذى يحذرنا منه الله، هو حزن من لا رجاء لهم (1 تس 4: 13).

"**بكى يسوع**": جاءت تعبيرا عن كل ما جاش فى قلبه، وحنو مشاعره.

✠*ولعلنا نذكر الكلمات التى تصلى بها الكنيسة فى أوشية المرضى: "رجاء من ليس له رجاء، معين من ليس له معين، عزاء صغيرى القلوب، ميناء الذين فى العاصف."*

ع36-38: يستكمل القديس يوحنا وصف المشهد لنا، فينقل تعليقات الجمع. فالبعض، عندما رأوا دموع الرب يسوع، تأثروا بدرجة حب الرب لشخص لعازر. والبعض الآخر، حمل كلامه تشكيكا فى قدرة المسيح، بمعنى أنه لو كان صحيحا ما سمعوه عن تفتيحه لعينى أعمى، أفلم يكن قادرا أيضا على إنقاذ وشفاء صديقه بالأولى؟!

"**انزعج يسوع أيضا**": شعر بعدم ارتياح، نتيجة المناخ المحيط بصفة عامة، وبسبب اقترابه من مكان القبر، وكذلك أحاديث اليهود فى (ع36، 37). وكان القبر عبارة عن مغارة فى الصخر، كاعيتاد الناس فى دفن موتاهم، إما فى مغائر طبيعية أو منحوتة، ويغلقونها بعد ذلك بحجارة.

ع39: "**ارفعوا الحجر**": هل الذى استطاع أن يقيم الميت بالكلمة، لم يكن فى مقدوره أيضا أن يحرك الحجر؟! ولكن، هذا هو أسلوب الله الذى يسمح للإنسان بالمشاركة فى العمل. فما هو فى قدرة الإنسان، لا يفعله الله. وإشراك الإنسان حدث أيضا فى ملء الأجران بالماء فى عُرس قانا الجليل (ص 2: 7)، وحدث أيضا فى جمع السلال فى معجزة إشباع الجموع (مت 15: 37؛ مر 8: 8).

✠*وإشراك الله للإنسان، تجعل منه شاهدا لعمل الله وتدابيره. وهى ميزة يتمتع بها من يعمل فى حقل خدمة الرب، إذ يعاين أعماله عن قرب، ويشترك فيها. كذلك نتعلم، وإن كان الخلاص عملا إلهيا فى المقام الأول، إلا أن الإنسان أيضا له دور فى هذا الخلاص بأعماله، ومشاركة نعمة الله المخلصة بجهاده.*

"**له أربعة أيام**": أى استحالة القيامة بعد التحلل والتعفن. وما جدوى رفع الحجر إلا إثارة أحزان لا داعى لها؟

✠*أما المعنى الروحى، فالحديث هنا عن الإنسان الذى مات فى الخطية، حتى تحللت إرادته أمامها، وصارت أعمال شهوات الجسد نتنة؛ فحتى هذا الإنسان الذى يظن الجميع إنه لا قيامة له، له قيامة بالتوبة التى تحوّل عفن ونتن الخطية إلى طيب غالى الثمن.*

ع40: فى (ع4)، يشير السيد إلى أن مرض لعازر ليس للموت، بل لمجد الله. وهنا، يعلن السيد المسيح، وبقوة، هذا المجد، أو على الأقل أحد صور مجد الله فى القدرة المطلقة، وانتصار الابن على الموت، فى مقدمة لقيامته هو. وأما تعبير "**إن آمنت**"، فإن المسيح يربط معاينة المجد بشرط

الإيمان. فبدون إيمان، لا يمكن إرضاؤه. ولهذا يقول القديس متى: "ولم يصنع هناك – الناصرة – قوات كثيرة لعدم إيمانهم" (13: 58).

ع41-42: قاموا برفع الحجر، ومشاعر الفضول تغلبهم فيما هو مُزْمَع أن يتم؛ فتأرجح المشاعر هنا بين الشك واليقين عند الناس، نكاد نقول شيئا طبيعيا، مع عدم الإعلان النهائى للاهوت المسيح، ووجود مؤيدين مؤمنين ومعارضين فى الجمع المحيط. يتوجه المسيح بعد ذلك لحديث مع الله الآب، والغرض من هذه الصلاة أو الحديث المسموع، هو "**ليؤمنوا أنك أرسلتنى**". فالمسيح يريد استغلال هذا الحدث الفريد، لإعلان ما سبق إعلانه كثيرا فى إنجيل يوحنا، فى أنه من الآب وفى الآب، والإرادة واحدة بينهما، وليرد على من قالوا سابقا إنه ببعلزبول يصنع معجزاته (مت 12: 24؛ مر 3: 22؛ لو 11: 15). فهنا، يعلن أن الأساس هو الله وإرادته العاملة فى ابنه.

✞ *وهناك غرض آخر لنا نحن، وهو أن المسيح يعلمنا مبدأ الصلاة الدائمة، وخاصة قبل الشروع فى أى عمل. والمسيح يقدم أيضا فى صلاته عنصر الشكر، الذى تعلمنا الكنيسة دائما أن نبدأ به كل صلواتنا.*

"**سمعت لى... كل حين تسمع لى**": يبرز هذا القول التوافق الدائم والمستمر بين طِلبة الابن واستجابة الآب، فعمل الابن الأول هو الطلب من أجل خليقته، من خلال دمه المبذول، والآب الواحد مع الابـــن فى الإرادة والجوهـــر، يقبل دائما طلبته. ويؤكد المســـيح هذا المعنى فى حديثه مع تلاميذه "مهما سألتم باسمى، فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن، إن سألتم شيئا باسمى فإنى أفعله" (ص 14: 13، 14).

ع43: "**صرخ بصوت عظيم**": خرج صوت المسيح عظيما مدويا، يزلزل أركان الهاوية، ويأمرها بفتح أبوابها لخروج روح لعازر منها، ويهزم الموت الجاسم على كل البشر. وأمر لعازر بالقيامة، ولم يأمره أن يقوم باسم الآب، ليبيّن أن ما يفعله الآب، يفعله الابن أيضا بنفس القدرة والسلطان.

ع44: يا ترى، كم كانت دهشة وذهول الحاضرين أمام هذا الميت القائم، بعد عفن وتحلل دام "**أربعة أيام**"؟! إلا أن المسيح يتدخل بصوته مرة أخرى لإفاقة الجمع من ذهوله، ويأمر بعضا منهم أن يحلّوه ويدعوه يمضى.

✠*وكما سبق وأعطى المسيح دورا للإنسان فى رفع الحجر، فها هو أيضا يتعهد النفس القائمة من موت الخطية فى عهدة الكنيسة كهنة وخداما. فقد قام بعمله الكفارى معها، ومنحها مغفرة الخطايا والقيامة، ولكنه ترك جزء من العمل على عاتق الكنيسة، التى تتابع فى رعايتها إتمام عمل الطبيب الشافى. فعند إقامته الصبية، أمر أن تُعطَى لتأكل (لو 8: 55). وقد أودع المسيح كل طعامه الروحى فى كنيسته، فمن تاب ولم يتناول باستمرار من طعام الحياة، يموت إلى الأبد (ص 6: 53).*

ع45-46: لا زال الموقف كما هو بين من يقبل عمل الله ويؤمن به، وبين من يشاهد وينكر. وهو ما قاله المسيح فى إنجيل معلمنا لوقا: "ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون" (16: 31). فالمجموعة الأولى، سرت قيامة لعازر كالتيار فى أجسادهم، فعظم إيمانهم بالمسيح. أما الآخرون، فكان انتمائهم الأرضى وخوفهم على مصالحهم، حائلا وقف دون إيمانهم بهذا الحدث العظيم.

✠*يا إلهى، افتح بصيرتى وقلبى لأرى أعمالك، ولا تجعل من عقلى أو أهواء قلبى عائقا يقلل من إيمانى بكل أعمالك.*

(5) التآمر بعد المعجزة (ع 47-57):

47- فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا، وقالوا: "ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. 48- إن تركناه هكذا، يؤمن الجميع به، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا." 49- فقال لهم واحد منهم، وهو قيافا، كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة: "أنتم لستم تعرفون شيئا. 50- ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها." 51- ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة، تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة. 52- وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد. 53- فمن ذلك اليوم، تشاوروا ليقتلوه. 54- فلم يكن يسوع أيضا يمشى بين اليهود علانية، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يقال لها "أفرايم"، ومكث هناك مع تلاميذه. 55- وكان فصح اليهود قريبا، فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفصح، ليطهّروا أنفسهم. 56- فكانوا يطلبون يسوع، ويقولون فيما بينهم وهم واقفون فى الهيكل: "ماذا تظنون، هل هو لا يأتى إلى

العيد؟" 57- وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمرا أنه إن عرف أحد أين هو، فليدل عليه لكى يمسكوه.

ع47-48: كان هدف الكهنة والفريسيون واضحا فى التخلص من شخص الرب يسوع، الذى جذب إليه الجميع، وانحسرت بسببه شهرتهم وسطوتهم على الشعب. فلهذا، وبسبب قوة هذه المعجزة، جمعوا مجمعا والنية مسبقة فى التخلص من المسيح (راجع ص 5: 18؛ ص 7: 1، 25، 30، 44؛ ص 8: 40،59؛ ص 10: 31-33، 39).

ولم يكن أمامهم سوى صياغة الأسباب التى تعضد قرارهم، وتبرره أمام أنفسهم وأمام الشعب. فتفتق ذهنهم إلى سبب سياسى واهٍ جدا، وهو أن تبعية الجموع للمسيح، ستستفز الرومان وتثير القلاقل، فتكون النهاية هى إبادة الأمة اليهودية. إلا أن أكثر ما يدينهم، هو اعترافهم نفسه بأن السيد يصنع آيات كثيرة. وبدلا من أن يقودهم هذا إلى الإيمان به، طلبوا أن يقتلوه.

✝ *ولعل خطية تبرير الأحكام والتصرفات، نقع نحن فيها أيضا، كما صنع الكهنة والفريسيون، ونهتم بما نخدّر به ضمائرنا ويحسّن من صورتنا أمام الناس، متناسيين الله الديّان الحقيقى، فاحص قلوب وأفكار كل البشر... طوباهم الذين اهتموا بتبرير ضمائرهم أمام الله فقط... "طوبى لمن لم يقض عليه ضميره ولم يسقط من رجائه" (سيراخ 14: 2).*

ع49-50: كان قيافا رئيسا للكهنة، وكان قريبا بالجسد لحنّان رئيس الكهنة الأسبق. وكانت مدة رئاسة قيافا للكهنوت 11 عاما، عاصر فيها كل أحداث السيد المسيح، وكان معروفا فى التاريخ اليهودى إنه جاهل وقاس القلب.

"أنتم لستم تعرفون شيئا": هكذا بدأ قيافا حديثه، محتميا فى منصبه السامى فى أعين الباقين، وكمقدمة إيحائية أن ما سوف يدلى به هو رأى الله، لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة. فتقدم، كرجل دين وسياسة، مقدما ما يريح الضمائر "إنه خير أن يموت إنسان واحد - حتى لو كان بارا - عن الأمة بأسرها." وما قدمه قيافا هنا، كان الصيغة التى يبحث عنها الجميع من أجل إراحة ضمائرهم.

ع51-52: لم يكن قيافا نبيا بالحقيقة، بل وضع الله على لسانه ما يشير إلى قصد الله وتعيينه السابق، فقد استخدمه الله هنا للإعلان عن مجريات الأمور. أما ما جاء فى (ع52)، وهو الموت عن باقى العالم لجمع أبناء الله، فهذا خارج حديث قيافا، وهو استطراد للقديس يوحنا، يستكمل به إعلان قصد الله بأن موت المسيح لم يكن لفداء الأمة اليهودية فقط، بل لفداء العالم

كله؛ وهذا ما جاء على لسان المسيح نفسه فى (ص 10: 16) "ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغى أن آتى بتلك أيضا."

ع53: هذه كانت نهاية جلسة الكهنة والفريسيون، فالقرار صار واضحا، وما تبقى هو التشاور فى كيفية التنفيذ والقبض على المسيح.

ع54: انتهت الجلسة، وتناقلت الأخبار، وعلم الكثيرون بقرار المجمع السرى. ولما كانت ساعة المسيح لم تأت بعد، وهو العالم الوحيد لوقتها، آثر السيد الحكمة عن إعلان نفسه، فمضى بعيدا عن مكان الأحداث الملتهبة، وذهب إلى مدينة أفرايم، وهى مدينة تُعرف باسم "الطيبة" الآن، وتبعد نحو 20كم شرق أورشليم ونواحى برية الأردن.

ع55: يبدأ القديس يوحنا هنا فى نقلنا إلى الفصل الأخير من إنجيله، فهو يعد القارئ بالمشهد الأول للفصح الأخير، بتدفّق اليهود من جميع أنحاء اليهودية إلى أورشليم، قبل الفصح نفسه بأيام، وذلك حتى يستعدون للفصح بتقديم ذبائح التطهير، لأن الناموس منع المنجسين من لمس خروف الفصح أو أكله، فالتطهير كان لازما، وخاصة لكل من تنجس.

☩ *أخى الحبيب... كان اليهود حريصين على طاعة الله بوجوب التطهير قبل الاقتراب من خروف الفصح، الذى هو رمز لذبيحة المسيح الحقيقية... فماذا عن أناس منا يقتربون لجسد إلهنا الحقيقى، والتناول منه، دون أن يتطهروا أيضا بالتوبة الحقيقية الروحانية، وبممارسة سر الاعتراف الذين ينالون فيه حلا وغفرانا وتطهيرا، ليس بماء أو برش دم حيوان، بل بالروح القدس الله المحى والمطهر؟!*

ع56-57: فى هذين العددين فريقان يطلبان الرب يسوع، وإن اختلفت النوايا والمقاصد؛ فالفريق الأول: هو الشعب البسيط، الذى يتلهف لرؤية هذا البار الذى صنع كل هذه الآيات، وخاصة آية إقامة لعازر من الأموات. أما الفريق الثانى: فكان دافعه هو التربص من أجل القبض عليه، تمهيدا لمحاكمته وقتله. وهذه الآية توضح الحكم الذى استقر عليه المجمع فى (ع53).



الأَصْحَاحُ الثَّانِى عَشَرَ

سكب الطيب ، دخول المسيح أورشليم ، حديث المسيح عن فدائه وديونته

η E η

(1) سكب الطيب (ع 1- 11):

1- ثم قبل الفصح بستة أيام، أتى يسوع إلى بيت عَنْيَا، حيث كان لعازر الميت الذى أقامه من الأموات. 2- فصنعوا له هناك عشاءً، وكانت مرثا تخدم، وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه. 3- فأخذت مريم مَنًا من طيب ناردين خالص كثير الثمن، ودهنت قدمى يسوع، ومسحت قدميه بشعرها، فامتلأ البيت من رائحة الطيب. 4- فقال واحد من تلاميذه، وهو يهوذا سِمعان الإسخريوطى المزمع أن يسلمه: 5- "لماذا لم يُبَعْ هذا الطيب بثلاث مئة دينار وَيُعْطَ للفقراء؟" 6- قال هذا، ليس لأنه كان يبالى بالفقراء، بل لأنه كان سارقا، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقَى فيه. 7- فقال يسوع: "اتركوها، إنها ليوم تكفينى قد حفظته. 8- لأن الفقراء معكم فى كل حين، وأما أنا فلست معكم فى كل حين." 9- فعلم جمع كثير من اليهود أنه هناك، فجاءوا، ليس لأجل يسوع فقط، بل لينظروا أيضا لعازر الذى أقامه من الأموات. 10- فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضا. 11- لأن كثيرين من اليهود كانوا، بسببه، يذهبون ويؤمنون بيسوع.

ع1-2: كان الاحتفال بالفصح اليهودى فى 14 نيسان (أبريل)، وبالتالى وصول المسيح إلى بيت عَنْيَا (العناء)، كان يوم الجمعة بعد الغروب، فيحسب سبتا. أما وليمة العشاء، فقد كانت فى بيت سِمعان الأبرص الذى شفاه الرب يسوع (مت 26: 6؛ مر 14: 3). وذكر القديس يوحنا حضور لعازر هذه الوليمة، تأكيدا على قيامته، وكذلك أخته مرثا، التى جاءت لتساعد وتخدم فى هذا العشاء.

ع3: أما مريم أخت مرثا، فقد أحضرت قارورة طيب مقدارها مَنَا، وهو الرطل الرومانى، ويعادل ثلث الكيلو أو ثلث اللتر تقريبا. والناردين من الأطياب الثمينة التى ذُكرت فى سفر النشيد، وكان فخر لمن يقتنيه لجودته وارتفاع ثمنه. وكان من الشائع فى تكريم العظماء، سكب القليل من الأطياب على الرأس. أما ما صنعته مريم، فقد فاق الكثيرين، حيث استخدمت أغلى الأطياب على الإطلاق، ولم تكتف بالرأس فقط، بل برجلى الرب أيضا، مما يوضح حبها وعرفانها بما صنع الرب

يسوع فى إقامة أخيها، وقدمت أيضا اتضاعا بمسح قدميه بشعرها. وامتلاء البيت من الرائحة، دليل على جودة هذا النوع من الأطياب، وكذلك وفرة الكم الذى استخدمته مريم.

☩ *أيها الحبيب، إن ما قدمته مريم لم يكن طِيبا، بل هو قلب محب ومتضع؛ والله لا يقبل تقدمة من إنسان إن خلت من الحب والاتضاع (1كو 13). ولهذا، رفض صلاة الفريسى، وقَبِلَ صلاة العشـــار. فالله، فى غنـــاه، لا يحتاج لتقدماتنا فى شئ. ولكن فى حبه لنا، يفرح أيضا بحبنا. فاحرص أيها الحبيب، قبل أن تقدم وقتا أو شيئا لله، أن تقدم قلبا محبا وفكرا متضعا، حتى يقبل الله ما تقدمه.*

ع4-6: فى (مت 26: 8، 9؛ مر 14: 4، 5)، ذكر الإنجيليون حدوث شئ من الاعتراض على تصرف مريم. أما يوحنا، فيوضح أن المحرض على هذا الاعتراض هو يهوذا، ويوضح علة اعتراضه، كاشفا السبب الحقيقى، وهو إنه سارق للصندوق وخائن للأمانة، وإن ادعى غير ذلك متحججا بخدمة الفقراء، فهو لم يكشف سوى غيظه لضياع هذا المبلغ من تحت يديه. ومن ناحية أخرى، يكشف لنا القديس يوحنا أن قيمة هذا الطيب 300 دينار، وكان معلوما أن أجرة العامل فى اليوم دينارا واحدا (مت 20: 10)، أى ما قدمته مريم هو أجرة رجل لمدة عام تقريبا.

ع7-8: لم يقصد المسيح أى إنقاص من خدمة الفقراء (ع8)، ولكنه قال هذا ليرد على المعترض الذى يعرف نواياه جيدا من ناحية، ولكى لا يقلل من قيمة عمل المحبة المقدم من مريم لشخصه من ناحية أخرى. ولهذا، نجد أن الرب بدأ كلامه بقوله "**اتركوها**" بصفة الجمع، أى أن ما أبداه يهوذا من اعتراض، وافق عليه أكثر الجالسين. وعبارة "**يوم تكفينى**"، كانت إشارة نبوية للأحداث الآتية، وإن لم يفهمها الحاضرون. ويرى البعض أن المسيح يشير إلى أن رحلة الموت، قد بدأت فعلا بزيارته بيت عَنْيَا، وصعوده الأخير لأورشليم.

ع9-11: صار لعازر، القائم من الأموات، أشد الأدلة على أن الرب يسوع هو المسيح المنتظر. ولهذا، يشير القديس يوحنا إلى أن هذا الدليل الحى، كان سببا لتوافد الكثيرين من اليهود على بيت عَنْيَا، لمشاهدة ومعاينة هذا القائم من الأموات. ويوضح يوحنا أيضا، مدى الشر الذى وصل إليه رؤساء الكهنة فى أنهم أرادوا قتل إنسان برئ، وهو لعازر، للتخلص من هذا الإثبات الدامغ، بدلا من أن يصدقوا ويؤمنوا بشخص المسيح المخلص.

✝ *يا إلهى، أبهذا المقدار يمكن أن يقلب القلب الشرير الحقائق، وينساق وراء أحقاده؟! أرجوك يا رب، أبعد عنا وعن كل شعبك كل حروب الشرير، التى تعبث بالعقول والقلوب، فتجعل منا قضاة ظلم عميان.*

(2) دخول المسيح أورشليم (ع 12: 19):

12– وفى الغد، سمع الجمع الكثير الذى جاء إلى العيد، أن يسوع آتٍ إلى أورشليم. 13– فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه، وكانوا يصرخون: "أوصنا، مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل." 14– ووجد يسوع جحشا فجلس عليه، كما هو مكتوب: 15– "لا تخافى يا ابنة صِهْيَوْنَ، هوذا ملكك يأتى جالسا على جحش أتان." 16– وهذه الامور لم يفهمها تلاميذه أولا، ولكن لما تمجد يسوع، حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه، وأنهم صنعوا هذه له. 17– وكان الجمع الذى معه، يشهد أنه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات. 18– لهذا أيضا لاقاه الجمع، لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية. 19– فقال الفريسيون بعضهم لبعض: "انظروا، إنكم لا تنفعون شيئا، هوذا العالم قد ذهب وراءه."

ع12-13: يمكن مراجعة احتفال الاستقبال مع (مت 21: 1-11؛ مر 11: 1-11).

"**الغد**": هو نهار الأحد، وقد صار معلوما لدى الجموع، وهم يهود أورشليم والجليل وعبر الأردن، قدوم المسيح الذى لا شك فيه، وهى معلومة مصدرها كل من حضر أو تناقل الخبر فى وليمة سِمعان فى بيت عَنْيَا.

"**سعوف النخل**": كان من العادة استقبال العامة للقادة المنتصرين فى الحروب بسعوف النخل، تعبيرا عن فرحهم ونشوتهم بالخلاص والانتصار. وهذا الموكب الاحتفالى العظيم، كان له الأثر فى التعجيل بأحداث الصليب، بما سببه من ألم لرؤساء الكهنة والفريسيين.

"**أوصنا**"، فمعناها "خلصنا". ولكن هذا ليس معناه بالضرورة إيمان الجمع بأن الرب يسوع هو المسيح الفادى، بل لعل البعض رأى فيه معلما ونبيا يستحق الإكرام، والبعض الآخر اعتقد أنه مخلّص سياسى يحرر الأمة اليهودية من الرومان.

ع14-15: لم يركز القديس يوحنا على تفاصيل الحصول على الجحش كما ذكره باقى البشيرون، بل اكتفى بالتصوير الإجمالى لمنظر دخول المسيح أورشليم. كما يشير فى (ع15) إلى

النبــوة المتعلقة بركوب المســيح للجحش فى (زك 9: 9) دون تفصيلها، بعكس القديس متى فى (21: 5)، وذلك لأن القديس يوحنا يركز بالأكثر على الجانب الخلاصى اللاهوتى فى الأحداث، وليس التاريخى. أما القديس متى، فكان إنجيله موجها للأمة اليهودية، فكان لزاما عليه الإسهاب، والربط أكثر بنبوات العهد القديم التى تتنبأ عن شخص المسيح، لإثبات شخصيته.

ع16: المقصود أنه فى وقت دخول المسيح أورشليم، وركوب الجحش، لم يكن ببال التلاميذ أن هذا هو نفس المشهد الذى رآه وتنبأ به زكريا منذ 500 عام. ولكن، لما تمجد يسوع، فهموا معناها بعد قيامته وصعوده، وتعنى أيضا بعد حلول الروح القدس على التلاميذ، والذى بحلوله انفتحت عيون قلوبهم، فاكتشفوا وربطوا كل نبوات العهد القديم بأحداث حياة المسيح على الأرض، وعمله الخلاصى.

ع17-19: يوضح القديس يوحنا أقوى أسباب فرح الجموع وتزاحمهم على استقبال الرب يسوع، وهو شهادة وتأكيد الجموع بأنه أقام لعازر من القبر. ومن جهة أخرى، ينقلنا لما كان يدور فى قلوب وأفكار الفريسيون من حقد، استفز بعضهم بعضا، فى ضرورة التحرك لمواجهة ذلك الذى ذهب الجميع وراءه. وبدلا من التأكد واتباع الحق، كان خوفهم على ضياع مكانتهم كمعلمين ذوى مكانة بين الشعب، هو همهم الأكبر.

(3) الموت والحياة (ع 20 - 26):

20– وكان أناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا فى العيد. 21– فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذى من بيت صيدا الجليل، وسألوه قائلين: "يا سيد، نريد أن نرى يسوع." 22– فأتى فيلبس وقال لأندراوس، ثم قال أندراوس وفيلبس ليسوع. 23– وأما يسوع، فأجابهما قائلا: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان. 24– الحق الحق أقول لكم، إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتَمُتْ، فهى تبقى وحدها. ولكن، إن ماتت، تأتى بثمر كثير. 25– من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم، يحفظها إلى حياة أبدية. 26– إن كان أحد يخدمنى، فليتبعنى، وحيث أكون أنا، هناك أيضا يكون خادمى. وإن كان أحد يخدمنى، يكرمه الآب.

ع20-22: المقصود هنا باليونانيين ليسوا الأمم عبدة الأوثان، ولكنهم إما من الأمم المتهودين، أو اليهود الذين عاشوا لفترة طويلة فى بلاد اليونان، وقد صعدوا لأورشليم لتقديم الذبائح فى الهيكل، والاحتفال بالفصح. ونفهم أن ما سمعوه عن شخص الرب يسوع ومعجزاته وتعاليمه، كان سبب بحثهم عنه إلى أن استدلوا على أحد تلاميذه، وهو فيلبس، الذى أبلغ بدوره أندراوس، وذهب كلاهما للمسيح لإطلاعه على رغبة اليونانيين.

ع23: إجابة المسيح هنا كانت للتلميذين، وكذلك لليونانيين والجمع المستمع، وكانت بداية التنبؤ بقرب الخلاص الذى يقدمه المسيح. ولما كانت أفكارهم محصورة فى الملكوت والمجد الأرضى، بدأ المسيح حديثه بما هو فى أذهانهم، ليرفعهم للفهم الروحى. وتعبير **"ليتمجد ابن الإنسان"**، معناه إعلان مجده الأول السمائى، الذى كان مخفيا بالتجسد. وطريقة إعلان هذا المجد هى الصليب، ثم القيامة، فالصعود.

ع24: هذا العدد توضيح لطريقة تمجيد ابن الإنسان، فاستخدم السيد المسيح هنا مثلا بحبة القمح التى تشير إليه فى تجسده، فكل مجد وقيمة هذه الحبة فى أن تدفن فى التربة ويكتنفها موت الأرض، فالذى يراه الناس موتا لحبة القمح، هو مصدر الحياة نفسها، إذ سوف تقوم وتحيا من موتها. وعند قيامها، فهى مصدر الشبع والحياة لكل من يقتات بها. وهذا ما أراد أن يوضحه المسيح للجموع، بفاعلية موته ومنحه الخلاص لكل من يقبل فدائه على الصليب، ويأكل جسده فى التناول.

ع25: بعد أن تحدث المسيح عن نفسه، يوجه تعليما روحيا عاما، يعتبر من قوانين الحياة المسيحية، فكل ارتقاء لمستوى روحى أعلى، يتطلب خسارة فى الماديات، وهى الأقل، فالحياة الأبدية بكل مجدها وبهائها، تتطلب التضحية بكل ما يعيق الوصول إليها. فإذا كان الجسد، أو شهوات النفس المختلفة، تربط الإنسان بالعالم وتفقده السماء، فعلى الإنسان إذن أن يقاوم، بل ويضحى بأى شئ، حتى حياته نفسها، من أجل الميراث الدائم والأبدى؛ وهذا ما قصده السيد المسيح بكلمة **"يهلكها"**. وهذا الإيمان هو ما جعل أباؤنا الشهداء القديسون يُقْدِمُونَ على الموت بمنتهى الشجاعة واللامبالاه من سطوة الحكام؛ فمن يضع الحياة الأبدية نصب عينيه لا يخشى شيئا.

ع26: أى من أراد أن يكون مسيحيا حقيقيا، وتلميذا وخادما لوصية المسيح، عليه أن يتبع سيده ومعلمه فى كل ما فعله. فإذا كان السيد قد بذل نفسه وأماتها من أجل فداء الآخرين، فعلى الخادم الأمين الاقتداء به. وقد ربط المسيح ذلك أيضا بالمكافأة، وهى الوجود الدائم للمسيحى الأمين فى حضن سيده، وتكريم الآب السماوى له. ولا نعتقد أن هناك لغة أو تصور تقرب لنا معنى هذا الإكرام الأبدى، غير المحدود بالزمن أو الحجم، سوى الثقة فى كل ما يقوله السيد المسيح، فى أن ما يتركه الإنسان هنا، أو يتحمله من أجل المسيح، له هذه المكافأة وهذا الإكرام.

(4) المسيح يتحدث عن موته وآثاره (ع 27: 36):

27– الآن، نفسى قد اضطربت، وماذا أقول أيها الآب، نجنى من هذه الساعة؟ ولكن، لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. 28– أيها الآب، مجد اسمك." فجاء صوت من السماء: "مَجَّدْتُ وأُمَجِّدُ أيضا." 29– فالجمع الذى كان واقفا وسمع، قال: "قد حدث رعد." وآخرون قالوا: "قد كلمه ملاك." 30– أجاب يسوع وقال: "ليس من أجلى صار هذا الصوت، بل من أجلكم. 31– الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطْرَحُ رئيس هذا العالم خارجا. 32– وأنا، إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إلىّ الجميع." 33– قال هذا، مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت. 34– فأجابه الجمع: "نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد، فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يرتفع ابن الإنسان، من هو هذا ابن الإنسان؟" 35– فقال لهم يسوع: "النور معكم زمانا قليلا بعد، فسيروا ما دام لكم النور، لئلا يدرككم الظلام، والذى يسير فى الظلام، لا يعلم إلى أين يذهب. 36– ما دام لكم النور، آمنوا بالنور، لتصيروا أبناء النور." تكلم يسوع بهذا، ثم مضى واختفى عنهم.

ع27: المقصود بالنفس هنا هو مركز الانفعالات العاطفية، المسيح يعلم ساعة صلبه وموته واقترابها، لكنه كإنسان كامل، يعبّر عن مشاعره الإنسانية بالاضطراب، فهو بين أمرين هامين: أمر ترفضه النفس البشرية العادية، وهو الموت الذى سيخضع له ليتمم فدائنا، ثم ينتصر عليه بقيامته لإتمام خلاصنا، وبين ما تريده الروح البارة والخاضعة للآب السماوى فى تدبيره.

ولهذا، كان الجزء الثانى من الآية "**ماذا أقول... نجنى من هذه الساعة؟**" وكأن الروح تعلم، وتجيب وتقوّى النفس على انفعالها، مؤكدة أن من أجل هذه الساعة، التى تتعلق بها كل البشرية، أتى المسيح.

ع28-29: يقول القديس ذهبى الفم وأغسطينوس أن إرادة الابن هى تمجيد اسم الآب، والطريق هو الموت والألم وفداء البشر الهالكين، واقتيادهم للسماء، فيمجدون اسم الآب على الأرض، ثم فى السماء، تمجيدا أبديا، فيرد الآب على الابن: "**مَجَّدْتُ وأُمَجِّدُ**"، ومعناها أنه من خلال حياة المسيح وشهادته المتكررة عن الآب، وتعاليمه عن العلاقة السرية بينهما، وصنعه المعجزات، مجد الابن الآب بهذه الطريقة، ومجد الآب ابنه الوحيد بالشهادة له أيضا. فالآب أعلن مجد الابن:

أولا: فى المعمودية (مت 3: 17).

ثانيا: فى التجلى (مت 17: 5).

ثالثا: فى هذه الآية "**مَجَّدْتُ وأُمَجِّدُ**".

فالمجد بين الآب والابن مجدا واحدا ومتبادلا (ص 13: 31، 32؛ ص 14: 13).

"**وأُمَجِّدُ**": تعنى صعود المسيح للسماء.

أما الجمع، فعندما سمعوا هذا الصوت، اعتقد البعض، بسبب المفاجأة وعدم التوقع، أنه صوت رعد؛ أما البعض الآخر الذى ميز الكلمات، فظنوا أنه صوت ملاك من السماء.

ع30: أجاب المسيح على من ظنوا أن ملاك يكلمه، قائلا إن هذا الصوت لكم أنتم لتؤمنوا، فأنا لست فى احتياج له، ولا أشك فى مجد اسم أبى أو مجدى، بل لإزالة شكوكم أنتم نحوى.

ع31: "**دينونة هذا العالم**": ليست الدينونة الأخيرة، ولكنها دينونة رفض المسيح، ودينونة العالم الوثنى، ودينونة مملكة الشيطان الذى امتلك زمام الأمور فى العالم، فإنها دينونة إعلان إثم العالم كله.

"**يُطْرَحُ... خارجا**": أى، نتيجة الدينونة الأولى، يتقيد الشيطان فى سلطانه على العالم – بصلب المسيح – ويُطرح خارجا؛ وهذا ما فسره القديس بولس عن عمل المسيح على الصليب نحو الشيطان "إذ جرد الرياسات، والسلاطين أشهرهم جهارا، ظافرا بهم فيه" (كو 2: 15).

فلا سلطان إذن للشيطان على أبناء الله المؤمنين باسمه والعاملين بوصاياه.

ع32-33: "إن ارتفعت عن الأرض": بالصليب معلقا، أجذب لنفسى ولأعلى الجميع. فالإنسان دون المسيح مكبل بقيود الخطية والحياة المادية، ولكن بالمسيح، وفى الصليب فقط، يجتذب هذا المصلوب كل ضحايا رئيس العالم الشرير، ليضمنا فى حضنه وإلى صدره إلى أعلى، لنتحرر من كل ما هو من أسفل، ونتمتع بالحياة معه، التى تبدأ هنا ولا تنتهى هناك.

☩ *فليتنا جميعا، برغبة أكيدة، نمد أيدينا إلى مسيحنا ذبيحتنا، ونلتقى معه فى مذبحه، لنأخذ قوتنا منه. وحينئذ، نستطيع أن نطأ العالم والشيطان تحت أقدامنا.*

ع34: واجهت الجمع صعوبة، وهى إشارة المسيح إلى موته معلقا من جهة، وبين ما تعلموه من الناموس من أن مُلك المسيح مُلك أبدى أرضى (دا 7: 14؛ مز 110: 4؛ إش 9: 7)، والمشكلة فى الفهم الخاطئ. إن كل النبوات تتكلم عن الملكوت الروحى الأبدى للمسيح، وليس الزمنى. وهذا هو سبب قوله لبيلاطس فيما بعد: "مملكتى ليست من هذا العالم" (ص 18: 36).

"**من هو هذا ابن الإنسان؟**": سؤال تعجبى! فالمسيح استخدم هذا التعبير عن نفسه مرارا، وهو نفس التعبير الذى استخدمه دانيال فى نبوته لوصف المسيح (دا 7: 13). إذن، ماذا تقصد بهذا الاستخدام؟! فهل أنت المسيح الأبدى، أم أنك إنسان عادى قابل للموت؟

ع35: أجاب المسيح إجابة غير مباشرة، مشيرا إلى اقتراب موته، واصفا نفسه بالنور، وهو ما سبق وقاله فى (ص 8: 12). وأيضا يحثهم على اغتنام الفرصة فى التمسك بهذا النور، لئلا يدركهم الظلام برفضهم لهذا النور.

☩ *والسائر فى الظلام، هو إنسان تائه فاقد للطريق والهدف، وهذا هو الحال حتى الآن لكل من يبعد عن المسيح وكنيسته. فخارج الكنيسة، التى هى سفينة النجاة، لا يوجد سوى دوامات العالم المادية والفكرية، التى تبتلع الإنسان بعيدا عن صوت المسيح، فيغرق وتختنق روحه، بينما يظن أنه يَعْلَمُ الطريق الصحيح ويسير فيه. والنتيجة، للأسف، هى فقده لخلاص نفسه.*

ع36: لا زال المسيح يحثهم على الإيمان به، واستغلال فرصة تواجده معهم، حتى لو كانت قليلة. ويضيف أيضا أن من يتبعه فى طريقه، ويطيع وصاياه، يصير هو ابنا للنور، أى حاملا خصائص النور الحقيقى، عاكسا لهذا النور لكل من حوله.

☩ *فيرى الناس فى الإنسان المسيحى البر والطهارة والأمانة وسائر الفضائل. فهل نحن كذلك؟*

"**ثم مضى واختفى عنهم**": تفيد نهاية الحديث، واختلائه بنفسه بعيدا عن الجموع، كما جاء فى (ص 8: 59). وقد اعتاد الرب يسوع، خلال حياته على الأرض، على هذه الخلوات الروحية.

(5) أسباب عدم إيمان اليهود (ع 37 - 43):

37- ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها، لم يؤمنوا به. 38- ليتم قول إشعياء النبى الذى قاله: "يا رب مَن صدّق خبرنا، ولمن استُعْلِنَتْ ذراع الرب؟" 39- لهذا، لم يقدروا أن يؤمنوا، لأن إشعياء قال أيضا: 40- "قد أعمى عيونهم، وأغلظ قلوبهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ويشعروا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم." 41- قال إشعياء هذا، حين رأى مجده، وتكلم عنه. 42- ولكن، مع ذلك، آمن به كثيرون من الرؤساء أيضا، غير أنهم، لسبب الفريسيين، لم يعترفوا به، لئلا يصيروا خارج المجمع. 43- لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله.

ع37: "هذا عددها": يوضح القديس يوحنا كثرة وتعدد وتنوع المعجزات التى صنعها الرب يسوع. ومع هذا، لم يؤمن أكثر اليهود، ليوضح قساوة قلوبهم. وهذا التعبير يفيد أيضا التعجب والاستغراب من رد فعل اليهود على كل ما صنع الرب.

ع38-39: يدفع القديس يوحنا عنا الاستغراب والتعجب فى موقف اليهود من المسيح، ويقول لنا: ألم يسبق إشعياء وقال أنهم رفضوا تصديق نبواته، ورفضوا أيضا ذراع الرب الممدودة للخلاص؟ فموقفهم الآن فى رفض المسيح لم يختلف عن موقفهم فى زمن إشعياء من رفض الله وفدائه لشعبه (إش 53: 1). ويقدم أيضا القديس يوحنا فى (ع40) نبوة جديدة تنبأ بها إشعياء، توضح أيضا علة رفضهم للمسيح.

ع40: هذه النبوة مأخوذة من (إش 6: 9، 10)، ونقلتها الأناجيل بشئ من التصرف (مت 13: 13-15؛ مر 4: 12؛ لو 8: 10)، والمقصود ليس أن الله هو سبب قساوة قلوبهم، بل كثرة تذمرهم ورفضهم لله وعدم سماعهم له، هى التى أطمست عيونهم وقلوبهم عن أعمال الله فى زمن إشعياء، ومعجزات وتعاليم المسيح فى زمانه. ولهذا، فمسؤلية الرفض تعود على اليهود غلاظ الرقاب والقلوب، بعد أن استوفى معهم الله كل محاولة.

ع41: "**رأى مجده**": مقصود بها مجد المسيح، والكلام يعود لرؤية إشعياء (6) التى رأى فيها مجد الله وحوله الشاروبيم والسيرافيم يصرخون: "قدّوس قدّوس قدّوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض" (ع3). ولما كان الكتاب المقدس يشهد أن الآب لم يره أحد (ص 1: 18)، وبالتالى يكون الذى رآه إشعياء، هو الله الابن، أى المسيح.

ع42-43: يعود القديس يوحنا ويوضح أن لكل قاعدة استثناء. فإذا كان معظم اليهود لم يؤمنوا بالمسيح، كان هناك أيضا من آمنوا به من بين مجلس السبعين، وهو أعلى مجلس يهودى، وكان يُطلق عليهم الرؤساء، ومن أمثلة هؤلاء الذين آمنوا، نيقوديموس ويوسف الرامى، اللذين ظهر إيمانهما بعد أحداث الصلب. ولكن، بسبب الخوف من الفريسيين وسطوتهم الدينية والاجتماعية، لم يستطع أحد إعلان إيمانه (راجع ص 7: 3؛ ص 9: 22؛ ص 19: 38؛ ص 20: 19).

ويوضح القديس يوحنا أيضا سببا يجعل الكثيرين ينكرون إيمانهم، أو على الأقل لا يعلنونه، وهو رغبتهم فى الحفاظ على محبة ومدح الناس لهم، حتى لو كان هذا على حساب الله. فلا تنحدر يا أخى إلى هذه العلاقات أو المساومات، حبا فى منصب أو كرامة، وتذكر قول بطرس والرسل أنه "ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع 5: 29)، مهما كان الإغراء، أو مهما كان التهديد.

(6) دينونة عدم الإيمان بالمسيح (ع 44-50):

44- فنادى يسوع وقال: "الذى يؤمن بى، ليس يؤمن بى، بل بالذى أرسلنى. 45- والذى يرانى، يرى الذى أرسلنى. 46- أنا قد جئت نورا إلى العالم، حتى كل من يؤمن بى، لا يمكث فى الظلمة. 47- وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن، فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلّص العالم. 48- من رذلنى ولم يقبل كلامى، فله من يدينه؛ الكلام الذى تكلمت به، هو يدينه فى اليوم الأخير. 49- لأنى لم أتكلم من نفسى، لكن الآب الذى أرسلنى، هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. 50- وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية، فما أتكلم أنا به، فكما قال لى الآب هكذا أتكلم."

ع44-45: "فنادى يسوع": وذلك فى مكان آخر، ولكنه فى نفس اليوم. وجاء ما سوف يقوله الرب فى هذه الأعداد، إجمالا لما سبق وقاله فى آيات سابقة، وخاصة (ص 5؛ ص 7؛ ص 8؛ ص 10)، وملخصه هو وحدانيته مع الآب المرسل منه، فالإيمان بالابن هو الإيمان بالآب،

وإنكار أحدهما هو إنكار للآخر. ويضيف المسيح بأن من رآه قد رأى الآب، لأن الاثنين واحد فى اللاهوت (ص 14: 9)، وهذا دليل قوى على المساواة؛ فمن يجرؤ من البشر أو أكبر أنبياء اليهود أو رؤساء الملائكة، على التصريح بأنه صورة الآب المنظورة، غير المسيح له المجد؟ لأنه: رسم جوهر الآب، كما يصفه القديس بولس فى الرسالة للعبرانيين (3).

ع 46: هذا ما سبق وأعلنه المسيح فى (ص 8: 12) {راجع التفسير}. ويمكننا أيضا اختصار القول فى أن المسيح هو نور العالم الوحيد، وبعيدا عنه لا يوجد سوى ظلمة مهلكة وجهالة الضلال. ونور المسيح هو نور اختبارى فى حياة كل أبنائه القديسين، فالحديث عن نور المسيح شئ والحياة داخله شئ آخر.

ع47: **"لم آت لادين العالم"**: {راجع ص 8: 15} الغرض من تجسدى الآن ليس القصاص أو الدينونة، بل خلاص العالم، بشرط الإيمان بى والعمل بوصاياى؛ فالدينونة للبشر ترتبط بالمجئ الثانى للسيد المسيح.

ع48: أما الرافضون لكلامى، أو الإيمان بى، فلهم دينونة عظيمة. وكل كلمة وتعليم وعمل صنعته و لم يقبلوه، سيكون شاهدا عليهم فى إدانتهم.

✝ *وهذا يوضح لنا جميعا أن الدينونة الإلهية ليست بمحاباة أو لمختارين دون آخرين، بل لها معيار، وهو الإيمان بكلام المسيح والعمل به بقدر الاستطاعة، فى حياة من الجهاد الروحى لا تعرف الكلل.*

ع49: (راجع شرح 5: 30، 7: 16-18) فالآب هو مصدر كل شئ، والابن وسيلة إعلانه وتوصيله، والاثنان واحد فى الجوهر ومتساويان.

ع50: **"وأنا أعلم"**: وعِلْمُ المسيح هنا، يفوق كل علم البشر. وبالتالى، ما يعلنه هو الحق كله، أى أن طريق الوصول للأبدية، هو العمل بالوصية والحياة بها. فالإيمان النظرى لا يخلّص صاحبه، وما فائدته إن لم يتحوّل لحياة مُعاشة.

✥وهذا الكلام لنا جميعا، فالمسيحية ليست مجموعة من الفرائض، بل هى طاعة حب لله فى وصيته، ومَن يحتمل تعب تنفيذ الوصية، يعطيه المسيح اختبار عربون الحياة الأبدية، هنا على الأرض، بحسب غنى عمل نعمته فينا.

الأَصْحَاحُ الثَّالِثُ عَشَرَ

غسل الأرجل ، الإنباء بخيانة يهوذا ، إنكار بطرس

η E η

(1) خدمة المحبة وغسل الأرجل (ع 1 - 17):

1- أما يسوع، قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت، لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم إلى المنتهى. 2- فحين كان العشاء، وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سِمعان الإسخريوطى أن يسلمه، 3- يسوع، وهو عالم أن الآب قد دفع كل شىء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج، وإلى الله يمضى. 4- قام عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منشفة وَاتَّزَرَ بها. 5- ثم صب ماءً فى مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ، ويمسحها بالمنشفة التى كان مُتَّزِرًا بها. 6- فجاء إلى سِمعان بطرس، فقال له ذاك: "يا سيد، أنت تغسل رجلىَّ؟" 7- أجاب يسوع وقال له: "لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع، ولكنك ستفهم فيما بعد." 8- قال له بطرس: "لن تغسل رجلىّ أبدا." أجابه يسوع: "إن كنت لا أغسلك، فليس لك معى نصيب." 9- قال له سِمعان بطرس: "يا سيد، ليس رجلىّ فقط، بل أيضا يدىَّ ورأسى." 10- قال له يسوع: "الذى قد اغتسل، ليس له حاجة إلا إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله، وأنتم طاهرون. ولكن، ليس كلكم." 11- لأنه عرف مسلمه. لذلك قال: لستم كلكم طاهرين. 12- فلما كان قد غسل أرجلهم، وأخذ ثيابه واتكأ أيضا، قال لهم: "أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ 13- أنتم تدعوننى معلما وسيدا، وحسنا تقولون، لأنى أنا كذلك. 14- فإن كنت، وأنا السيد والمعلم، قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. 15- لأنى أعطيتكم مثالا، حتى كما صنعت أنا بكم، تصنعون أنتم أيضا. 16- الحق الحق أقول لكم، إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله. 17- إن علمتم هذا، فطوباكم إن عملتموه."

ع1: المقصود مساء الخميس، وهو عالم، بلاهوته، أن وقت تسليمه قد أتى. ويلاحظ هنا المقابلة مع ما ذكره القديس يوحنا سابقا، ومرارا، فى كل مرة كان يحاول اليهود القبض على يسوع، لم ينجحوا، بالرغم من وجوده وسطهم، وذلك لأن ساعته لم تأت بعد. أما هنا، فيعلن لنا معرفة المسيح للوقت المحدد، ويمهدنا نحن للمرحلة الأخيرة فى حياة المسيح على الأرض. واستخدم

أيضا كلمة انتقاله بدلا من كلمة موته، كتعبير لاهوتى جديد، يوضح ماهية الموت الجسدى فى مفهوم أبناء الله، أنه انتقال من حياة لحياة أخرى. وهذا ما استخدمته الكنيسة فى صلواتها، إذ تقول: "لا يكون موت لعبيدك، بل هو انتقال." ويختم القديس يوحنا كلامه بكشف السر وراء ما سوف يُقْدِمُ المسيح عليه من آلام وعذاب وصلب، وهو حبه الأبدى والغير محدود لخليقته المزمع أن يفديها.

ولعلنا نلاحظ أن القديس يوحنا هو أكثر من تكلم عن الحب الإلهى، وكأنه أكثر التلاميذ معرفة بقلب المسيح. وهذا حقيقى، فطبيعته الرقيقة جعلته أكثر التصاقا بالرب يسوع. فكان أكثر إدراكا لحبه، والتعبير عنه.

☩*والدعوة لنا جميعا، لنتمتع بهذا الحب الفائض، والمتاح لكل منا، إذا أراد.*

ع2: أى عند وقت عشاء الفصح اليهودى، وقبل إتمامه.

"**ألقى الشيطان**": توضح لنا دور الشيطان فى الإثارة، والتحريض على إتمام الشر؛ ولكنه اختار النفس الضعيفة التى ستستجيب لمشورته. فهو يحاول مع الجميع، ولكن الإرادة الإنسانية مسئولة عن السقوط، أو المقاومة. ولعل القديس يوحنا يصور لنا أن المائدة الواحدة احتوت قلب الله المحب إلى المنتهى، وقلب الإنسان الشرير المزمع أن يسلمه.

ع3: يكرر القديس يوحنا كلمة "**عالم**" فى إشارات واضحة وقوية عن لاهوت المسيح. وتعبير "**دفع كل شئ إلى يديه**": فيه معنيان:

الأول: هو السلطان الكامل للمسيح، والمساوى تماما لسلطان الآب.

الثانى: تمهيد لما سوف يقوم به الإله.

فبنفس هاتين اليدين، المدفوع لها كل سلطان الآب، سوف ينحنى السيد، ويغسل بهما أرجل التلاميذ.

"**من عند الله خرج**": أى بتجسده الذى أخلى فيه ذاته، وأخفى مجده. ولكن خروجه ليس معناه أنه تركه، فهو متحد فيه باللاهوت.

"**وإلى الله يمضى**": أى العودة إلى مجده فى حضن الآب. ولكنه أيضا لن يتركنا بعمله ورعايته لنا، وإن كان سيختفى عن عيوننا بجسده.

ع4-5: قام بعد إعداد العشاء، وقبل الشروع فى أكله، أخذ صورة العبد المتأهب لعمل متدنٍ، فيخلع ثيابه باتضاع ويربط وسطه بمنشفة، لِيُقْدِمَ على عمل ليس لإنسان أن يفهمه أو العقل أن يستوعبه... أى البدء فى غسل أرجل تلاميذه، وهو عمل ترفضه النفس الإنسانية العادية.

التراب الذى فى الأرجل يرمز للخطايا، وغسلها بالماء يشير للمعمودية والتوبة، وذلك بيد المسيح التى ستصلب على الصليب وتفدى الإنسان.

ع6-7: قد يكون المسيح بدأ يغسل أرجل التلاميذ، الذين أخذهم الدهشة دون تعليق منهم، إلى أن أتى إلى بطرس، أو قد يكون بدأ ببطرس – كرأى القديس اغسطينوس – الذى أبدى تعجبه ورفضه للفكرة، وعبّر عن ذلك بسؤال استنكارى: هل أنت، يا سيدى البار، تغسل أرجل خاطئ مثلى؟! وهذا يذكرنا بموقف المعمدان، عندما تمنّع عن عماد المخلّص عند ذهابه إليه. ولكن إجابة المسيح، فى الحالتين، كان فيها إصرار وحسم، لا يخلوان من رقة، لإتمام قصده. لأن ما أراده المسيح بغسل الأرجل، لم يفهمه بطرس فى وقته... ولكن، ما هذا الذى لم يكن يفهمه؟

✝ ***الدرس الأول:*** *هو الاتضاع. فإذا كان سيد العالم كله ومعلمه وخالقه وفاديه، انحنى ليغسل أوساخ الآخرين فى اتضاع حقيقى، يصحح مفهوم الرئاسة فى أذهان كل الناس، فكم بالحرى ينبغى أن نفعل نحن هكذا أيضا مع الآخرين.*

الدرس الثانى: *فهو عدم الإدانة. فإزالة الأوساخ معناها مساعدة الإنسان فى التخلص من الخطية، بأن يكون لنا عمل إيجابى معه، وليس الاكتفاء بالإشارة نحو اتساخه، كما فعل اليهود بالمرأة الممسكة فى زناها (ص 8: 1-11).*

ولعظمة ما صنع السيد المسيح مع البشرية كلها فى شخص تلاميذه، رتبت الكنيسة فى صلواتها طقس لقان خميس العهد، الذى تعيد به لأذهاننا كل هذه الدروس، فيقف الكاهن أو الأسقف أو الأب البطريرك، ويأتزر – متشبها بسيده – بمنشفة، ويبدأ بغسل أرجل الشمامسة والشعب، ويساعده باقى الكهنة فى نفس العمل. فنتذكر ما عمله لنا السيد، ونفهم أيضا أن الله أقام الأساقفة والكهنة كرعاة وخدام، من أجل خدمة شعبه وتوبته فى المقام الأول.

ع8: ورغم ظهور فضيلة اتضاع بطرس وخجله فى هذا الرفض، ولكنها كانت فى غير محلها، لأنه لم يدرك المعنى الروحى. ولهذا، أوضح المسيح لبطرس أن ما يقوم به، ليس عملا اختياريا يحق لبطرس فيه أن يقبل أو يرفض، بل يتوقف عليه كل شئ. فهذا الغسيل يرمز للتطهير الآتى بدم المسيح، ومن يرفض ليس له نصيب مع المسيح نفسه، أى لا خلاص خارج دم المسيح.

ع9: فوجئ بطرس بإجابة المسيح، فما كان منه سوى أن طلب بالأكثر، أن يشمل الاغتسال جسده كله، معلنا أنه لا يريد أن يكون هناك شيئا واحدا يفصله عن المسيح.

ع10-11: "**الذى قد اغتسل**": تعنى اغتسال المعمودية، المبنى على الإيمان بقدرة دم المسيح على التطهير من كل الخطايا. فمن اغتسل، لا يحتاج للاغتسال ثانية — أى إعادة المعمودية– ولكنه يحتاج لغسل رجليه فقط... وهذا ما تعلّمه أيضا الكنيسة لأولادها، فإن سر المعمودية لا يعاد، حتى لو ترك الإنسان الإيمان وعاد إليه مرة أخرى... أما عملية غسل الأرجل – أى سر التوبة والاعتراف– فالإنسان يحتاجها دوما، فالأرجل ترمز للنفس التى تحيا فى العالم وتتجول فيه، فتتسخ بكثير من الخطايا، وهى دائما فى حاجة لاغتسال التوبة.

ويضيف السيد المسيح، بعلمه السابق، إشارة خفية ليهوذا مسلمه، إذ أعلن طهارة التلاميذ كلهم دون واحد.

ع12: "**أتفهمون**": مما لا شك فيه أن ما صنعه الرب، كان أبعد ما يكون عن تصور التلاميذ؟ ولولا حديث الرب الحاسم مع بطرس، ما كانوا سمحوا له بغسل أقدامهم، فاستخدم المسيح الأسلوب الاستفهامى كمقدمة لحديث تعليمى.

ع13: هى استكمال لهذه المقدمة فى تثبيت حقيقة، وهى أنه السيد المعلم الحقيقى، الواجب الاحترام والتقدير.

ع14-15: هنا يأتى جوهر التعليم لما قام به الرب يسوع. فإذا كان السيد والمعلم صنع هكذا، فكم بالحرى يصنع العبد مع أخيه... فإذا صنع العبد مع أخيه هكذا، لا يحسب له فخرا، إنما هو اقتداء بالمعلم الأعظم. ومن حسب نفسه فينا سيدا ومعلما وليس عبدا، فعليه أيضا أن ينحنى مغلوبا من حب المسيح له، واتضاعه العجيب فى غسل أرجل الجميع. والغسل هنا ليس حرفيا، بل يحمل فى مضمونه كل فضائل المسيحية من احتمال وبذل وإنكار للذات. وعندما يقول المسيح: "**أنتم يجب عليكم**"، صار هذا إلزاما لنا وليس اختيارا أو فضلا منا، أى أنها وصية واجبة التنفيذ، ولكنها تحتاج منا جميعا إلى إخلاء للذات وانسحاق حقيقى.

ع16-17: يؤكد الرب مرة أخرى أنه ما دام العبد ليس أفضل من سيده، فعليه ألا يخجل أو يستنكف من أن يقوم بما قام به السيد. ويعلن السيد المسيح أيضا تميّز المُرسِل عن الرسول، فى إشارة واضحة لعمل الخدمة فى كنيسته، فهو الراسل والداعى الخادم لخدمته، فصار على الخادم أن يتشبه باتضاع من أرسله فى خدمته، مع احتمال مخدوميه والصبر عليهم.

ويختم المسيح تعليمه هنا، بتوضيح الفرق بين أن يفهم الإنسان شيئا ويدركه، وبين أن ينفذه فى حياته، فالمكافأة والإكليل هنا يُحسبان، ليس لمن يعرف الوصية منذ حداثته (مت 19: 20)، بل لمن يجاهد ضد نفسه ليحيا بها.

(2) الإنباء بخيانة يهوذا (ع 18- 30):

18- لست أقول عن جميعكم، أنا أعلم الذين اخترقم. لكن ليتم الكتاب، الذى يأكل معى الخبز رفع علىّ عَقِبَهُ. 19- أقول لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان، تؤمنون أنى أنا هو. 20- الحق الحق أقول لكم، الذى يقبل من أُرْسِلُهُ يقبلنى، والذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى." 21- لما قال يسوع هذا، اضطرب بالروح وشهد وقال: "الحق الحق أقول لكم، إن واحدا منكم سيسلمنى." 22- فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض، وهم محتارون فى من قال عنه. 23- وكان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه، كان يسوع يحبه. 24- فأوما إليه سِمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه. 25- فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: "يا سيد، من هو؟" 26- أجاب يسوع: "هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه." فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سِمعان الإسخريوطى. 27- فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع: "ما أنت تعمله، فاعمله بأكثر سرعة." 28- وأما هذا، فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به. 29- لأن قوما، إذ كان الصندوق مع يهوذا، ظنوا أن يسوع قال له: اشتر ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يعطى شيئا للفقراء. 30- فذاك لما أخذ اللقمة، خرج للوقت، وكان ليلا.

ع18: لا يوجد أى استثناء ليهوذا من الإرسالية، ومن انطباق الكلام السابق كله عليه (ع10). ويضيف أنه بالرغم من اختيار الرب ليهوذا - فالدعوة للجميع - لكن يهوذا اختار الخيانة بإرادته. ويشير المسيح لشاهد كتابى وهو ما جاء بالمزمور (41: 9) "الذى وثقت به، آكل خبزى، رفع علىّ عَقِبَهُ" فى أن ما قاله داود عن خيانة أخيتوفل له، هو أيضا نبوة عن خيانة يهوذا للمسيح. والمعنى أن من اشترك معى فى أكلى وشربى، كان يعد العدة للغدر والايقاع بى... والمعنى المباشر لـ"رفع علىّ عَقِبَهُ" هو: رفسنى بقدمه.

ع19: "**أقول لكم الآن**": أى حتى لا تعثروا فىّ عندما تبدأ آلام الصليب بتسليم يهوذا لى، حيث سأبدو كإنسان لا حول له ولا قوة. بل عندئذ، تتذكرون ما سبق وكلمتكم به، فى أنى أنا هو المسيح من جهة... وأن هذا قد تنبأت به أن يحدث، من جهة أخرى.

ع20: الكلام هنا عن إرسالية التلاميذ. فالمسيح هنا، جعل كرامة الخادم من كرامته نفسه، فالذى يقبل خادم المسيح، كأنه قبل الآب والابن معا. والذى يرفض الخادم المرسَل، يرفض الذى أرسله وهو الله عينه (راجع مت 10: 14؛ مر 6: 11؛ لو 9: 5).

ع21: "**اضطرب**": تفيد بوضوح علامات عدم الارتياح على وجه المسيح، نتيجة تأمله فى خيانة أحد أحبائه له، وهو يهوذا، وَعِظَمَ بشاعة هذه الخطية، التى جعلت طبيعة المسيح المقدسة تقشعر، من مجرد ذكرها وإنباء التلاميذ بها... وأكد المسيح نبوته بقوله: "**الحق الحق**"، لأنه يعلم تماما صعوبة تصديق التلاميذ لما ينبئ به من خيانة أحدهم له.

✝ *ولعلنا نتأمل هنا فيما تفعله خطايانا اليومية فى شخص الرب يسوع، أو فى الروح القدس الساكن فينا... كم من مرة نحزنه كل يوم؟! وكم مرة نرضيه فى حياتنا كلنا بالتوبة الحقيقية والإقلاع عن الخطية؟*

ع22-24: أخذت الدهشة والتعجب والحيرة التلاميذ جميعا، بل كاد أن يكون كلام السيد المسيح كالصاعقة الغير قابلة للتصديق، فحتى وإن أتت الخيانة، فكان بعيدا عن أذهانهم تصور أن يكون أحدهم مصدرها. وهذا يوضح لنا مدى دهاء ورياء يهوذا، الذى خدع به الجميع. ولما اشتدت الحيرة بلا جواب، أشار بطرس إلى يوحنا، القريب من حضن المسيح، ليسأله من يكون هذا؟!

"**كان يسوع يحبه**": عبارة استخدمها القديس يوحنا للإشارة عن نفسه، وأخفى اسمه اتضاعا، على أن يفهم القارئ قصده. وعلينا أن نوضح أن حب المسيح لم يكن فيه محاباه أو تمييز لتلميذ عن آخر، بل بقدر ما يسعى الإنسان للأخذ، يعطى المسيح من حبه، فلقد كان يوحنا أكثر التصاقا من غيره بالمسيح، فصار أكثر تمتعا أيضا بهذا الحب من غيره.

✝ *حقا، إن من معجزات حب المسيح للإنسان، أن كل من يحب المسيح حبا حقيقيا، يشعر أن السيد المسيح كله ملكا خاصا له... حقا، ما أجملك يا رب.*

ع25-26: استجاب القديس يوحنا لإشارة بطرس الرسول، وسأل المسيح، الذى بدلا من أن يجيب باسم يهوذا، استخدم إشارة، حرصا منه على عدم إحراجه وسط التلاميذ. والأعجب، أن الإشارة التى استخدمها المسيح، وهى غمس لقمة فى طبق به مزيج من عصائر الفواكه والممزوجة بالنبيذ أو الخل، وإعطائها ليهوذا، كانت لا تُستخدم إلا كرمز لإكرام الضيف العزيز، أو الابن الأكبر المقرب للأب... وكأن المسيح يقدم ليهوذا فرصة أخيرة، باعتباره عزيزا عليه ومقربا منه، وكأنه يقول له: ليتك لا تخطئ هذا الخطأ الكبير. ولكن، دون أن يتدخل فى إرادته.

ع27: **"دخله الشيطان"**: كانت المؤامرة والاتفاق مع رؤساء الكهنة قد تمت (راجع ع2)، ولكن معنى دخله الشيطان، أن الشيطان أحكم القبض على إرادة يهوذا، ولم يعد لديه أى تردد فى تسليم شخص الرب. وهذا ما علمه الرب، فاحص القلوب ومحدد الأزمان، فأعطى الإذن بتسليم نفسه عن طريق الخائن، ليؤكد أنه صاحب السلطان الوحيد فى أن يضع نفسه وأن يقيمها.

ع28-29: ولما كان يهوذا حاملا للصندوق، فأقصى ما وصل إليه فهم التلاميذ فى ذلك الوقت من حديث المسيح له، هو تكليفه بأن يبادر بشراء احتياجات العيد قبل الازدحام، أو أن يقدم نصيبا من المال لخدمة الفقراء.

☩ *وهذا يعلمنا نحن ألا ننسى خدمة الفقراء واحتياجاتهم من أموالنا، التى هى عطية الله، والمودعة لدينا بصفة الأمانة. فلا تغلق قلبك أيها الحبيب عن احتياجات أخ لك فى المسيح، كان محتملا أن تكون أنت مكانه.*

ع30: **"أخذ اللقمة"**: وهى لقمة من عشاء الفصح، وليس من العشاء الربانى والأفخارستيا. وهذا ما تعلم به كنيستنا، من أن يهوذا، الذى اشتعل الشر فى قلبه، قام مسرعا ليتمم مؤامرته، ولم يحضر مع باقى التلاميذ مائدة العشاء الربانى. ولهذا، فصورة العشاء الربانى الطقسية بالكنيسة، تصور أحد عشر تلميذا، وليس اثنا عشر.

(3) وصية المحبة (ع 31-35):

31- فلما خرج، قال يسوع: "الآن تمجد ابن الإنسان، وتمجد الله فيه. 32- إن كان الله قد تمجد فيه، فإن الله سيمجده فى ذاته، ويمجده سريعا. 33- يا أولادى، أنا معكم زمانا قليلا بعد.

ستطلبوننى، وكما قلت لليهود، حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكـــم أنتـــم الآن. 34– وصية جديدة أنا أعطيكم، أن تحبوا بعضكم بعضا. كما أحببتكم أنا، تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا. 35– بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى، إن كان لكم حب بعضا لبعض."

ع31-32: يبدأ المسيح هنا حديثا طويلا، يمتد حتى نهاية الأصحاح السابع عشر.

"**الآن**": أى منذ خروج يهوذا، بدأت قصة تمجيد الابن. والمقصود بالمجد هنا، هو مجد اتضاعه وحبه للبشر الذى بذل نفسه فيه حتى الموت. وهو مجد طاعة الابن للآب فى إخلاء ذاته بالكامل. وأيضا مجد الصليب الذى لا يفهمه العالم، وهو مجد يسبق مجد القيامة والصعود، والعودة لمجده الحقيقى بجلوسه على عرشه السمائى، والمُخْفَى مؤقتا بتجسده.

"**تمجد الله فيه**": تعنى أن مجد الابن مرتبط بمجد الآب. فالآب يتمجد بالابن، لأن قصد الآب وإرادته تَمَّا بفداء الابن. ولما كان مجد الآب قد تم بواسطة الابن، الذى ظل يعلن مجد الآب طوال تجسده، وأعلنه بالأكثر وقت فدائه، فأيضا سيعلن الآب كل مجد الابن الذى له والمُخْفَى عن أعين الجميع؛ ويبدأ هذا الإعلان سريعا مع أحداث الصليب:

أولا: بتحقيق كل النبوات فيه، والتى كان هو موضوعها ورجائها.

ثانيا: بالأحداث المعجزية، مثل: ظلمة السماء وقت الصلب، وانشقاق حجاب الهيكل، وخروج الكثير من الأموات من قبورهم. وهى كلها إعلانات لمجد الابن، أكثر منها أحداث إعجازية.

ع33: "**يا أولادى**": إذ جاء الوقت الصعب على التلاميذ، يعلن المسيح عن قلبه الأبوى الحانى نحو تلاميذه، فيخاطبهم ب"أولادى"، لما فى هذا النداء من إحساس بطمأنينة الابن لوجود ورعاية أبيه. ثم يبدأ فى الإشارة لما هو آت، وإلى اقتراب فراقه عنهم، وأن ما هو قادم عليه يجب أن يجوز فيه وحده، ولا يستطيع أحد أن يشاركه أو يتبعه فيه.

ع34-35: جعل المسيح المحبة هى السمة التى تميز تلاميذه، وكل من يتبعه من رعاياه، أمام العالم كله، حتى دون السؤال عن اسم أو هوية. فيرى الناس محبة المسيحين، فيعلموا مَنْ هُمْ ولمن ينتسبون. ولكن، ما القصد بأنها وصية جديدة، بالرغم من أن الله أوصى أيضا بالمحبة فى العهد القديم؟ الجديد فى وصية المحبة، هى بُعدها وعمقها، فهى لم تعد وصية أو فرض، بل هى حياة تسلمها كل المسيحين من إله أحب حتى الموت، وبذل ذاته، الذى انحنى يوما وغسل أقداما، و لم

تكن له راحة فى جسده من أجل راحة من حوله، فهى نموذج جديد وفريد، تعدّت مستوى المحبة للقريب، إلى مستوى محبة العدو والمبغض (مت5: 44). وهى محبة لا يستطيع الإنسان الطبيعى العادى أن يصل إليها، بل المسيحى الثابت فى إلهه فقط، ومن له شركة كنسية حية من خلال أسرار الكنيسة، وخاصة التناول من جسد الرب ودمه الأكرمين.

(4) الإنباء بإنكار بطرس (ع 36 - 38):

36- قال له سِمعان بطرس: "يا سيد، إلى أين تذهب؟" أجابه يسوع: "حيث أذهب، لا تقدر الآن أن تتبعنى، ولكنك ستتبعنى أخيرا." 37- قال له بطرس: "يا سيد، لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن؟ إنى أضع نفسى عنك." 38- أجابه يسوع: "أتضع نفسك عنى؟! الحق الحق أقول لك، لا يصيح الديك، حتى تنكرنى ثلاث مرات."

ع36: سؤال بطرس عن مكان ذهاب المسيح، هو استفسار عما قاله المسيح نفسه، فى (ع33)، عن ذهابه إلى مكان لا يستطيع أحد أن يأتى إليه. فأكد المسيح نفس القول مرة أخرى، مبينا أن الجزء الأول، والمتعلق بالفداء وطريق الآلام، سيجوزه المسيح وحده، ولا يستطيع بطرس، بالرغم من محبته، أن يشارك أو يتبع المسيح فيه. ولكن بعد القيامة وحلول الروح القدس، سيتبع بطرس وباقى التلاميذ المسيح فى طريق طويل من الكرازة والتبشير والاحتمال، والآلام حتى الاستشهاد أيضا. وأخيرا، تبعية المسيح للسماء وكل أمجادها.

ع37: غلبت العاطفة والحماس البشرى بطرس، فتحدث عما لا يفهم، وادعى ما لا يستطيع أن يفعله ويقدمه.

فهو لا يفهم أن الفداء فى قصد الله الأزلى، لا يستطيع إتمامه سوى المسيح وحده، وأيضا أنه لا يستطيع أن يكون بمستوى الشجاعة، التى كان يتوقعها فى نفسه، وأعلنها بشئ من الكبرياء: "وإن شك الجميع، فأنا لا أشك" (مر 14: 29).

✠ *وهذا يعلمنا ألا ندعى فى أنفسنا ما لا نملكه، ونقدم أنفسنا للرب المسيح فى اتضاع، وبدون افتخار أو ثقة كاذبة فى النفس. فالمسيح يعمل بالضعيف والصغير، ويقاوم المستكبرين والعظماء فى أعين أنفسهم. ويا ليتنا يا أخى الحبيب نضع نصب أعيننا، قول الوحى الإلهى على لسان بولس الرسول: "تكفيك نعمتى، لأن قوتى فى الضعف تكمل، فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى، لكى تحل علىّ قوة المسيح" (2كو 12: 9).*

ع38: بدأ المسيح فى إجابته على بطرس بسؤال استنكارى: "**أتضع نفسك عنى ؟!**" وكأنه يسأله: أتعْلَم بما تتحدث؟! وليوضح له الفرق الكبير بين ما تحدث به وبين ما سوف يصدر منه.

ويكمل المسيح حديثه بنبوة إنكار بطرس له، ووضع علامة ليتذكر بها بطرس إنكاره للمسيح، وهى صياح الديك.

✞ *ولعلنا نتعلم يا صديقى أننا، بدون الله، لا نستطيع أن نفعل أو نقدم شيئا. ولكن، بالاعتماد عليه، وعلى الروح القدس الساكن فينا، نستطيع أن نصير بطرس، الذى قدم حياته بفرح بعد ذلك من أجل المسيح.*



الأَصْحَاحُ الرَّابِعُ عَشَرَ
المسيح يُطَمْئِنُ تلاميذه ويعدهم بالروح القدس

η E η

(1) المسيح يطمئن تلاميذه (ع 1-4):

1- "لا تضطرب قلوبكم، أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بى. 2- فى بيت أبى منازل كثيرة، وإلا فإنى كنت قد قلت لكم. أنا أمضى لأعد لكم مكانا. 3- وإن مضيت وأعددت لكم مكانا، آتى أيضا وآخذكم إلىَّ، حتى حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضا. 4- وتعلمون حيث أنا أذهب، وتعلمون الطريق."

مقدمة:

يشمل هذا الأصحاح والأصحاحان 15، 16 الحديث الأخير للمسيح مع تلاميذه، وتناولت مواضيع عدة، أبرزها دور الروح القدس، وتشجيع التلاميذ على الفترات الصعبة المقبلة.

ع1: "لا تضطرب": كان الحديث فى الأصحاح السابق مقلقا ومخيفا للتلاميذ، فهناك الخيانة والموت والإنكار، وبسبب كل هذا ساءت حالتهم النفسية.

ولهذا، بدأ المسيح فى تعزيتهم وتشجيعهم بكلام طيب لينزع عنهم الاضطراب، ويقدم لهم علاجا، وهو الإيمان به وبكل ما قاله، وألا يقل إيمانهم به عن إيمانهم بالله ذاته.

"أنتم تؤمنون بالله": يقدم السيد المسيح هنا أول علاج نافع للقلق والاضطراب، وهو مقدَّم لنا جميعا وليس للتلاميذ فقط، وهو الإيمان بالله، أى به، وبكل وعوده الصادقة التى وعدنا بها فى شخص تلاميذه.

✠ *الإيمان بالله، المدّبر القوىّ والمحبّ لأولاده، هو أول وأهم علاج للقلق؛ فليتنا نحتمى به فى وقت الضيقة والتجربة.*

ع2: يقـــدم المسيح جانبا مشـــرقا لتلاميذه، وهو أنه إن فارقهم إلى حين، فهذا من أجلهم – ومن أجلنا – ليعد مكانا فى السماء حيث المجد غير المنظور. وكلمتى **"منازل كثيرة"**، تعنى اتساع

السـماء غير المتناهى، وتعنى أيضـا أن هنـاك منزلة تعلو عن أخرى، كما أشار القديس بولس فى (1كو 15: 41). فإن كان الله، فى حبه، قبل أبنائه المؤمنين فى ملكوته، فإنه أيضا، فى عدله، يكافئ كل إنسان بحسب تعبه وجهاده.

ع3: فراقى عنكم ليس أبديا، بل سوف آتى أيضا – فى مجدى – وأضمكم إلىَّ، فتتمتعون بالوجود الدائم معى، الذى ليس بعده فراق، فأينما كنت تكونون أيضا معى.

وهذا الوعد جعل القديسين، فى كل الأجيال، لا يهتمون بهذه الحياة الأرضية، بل إن كل قلوبهم كانت معلقة على حضن المسيح، فلا يوجد شعور فى العالم كله يعادل هذا الشعور الروحى فى سعادته.

ع4: **"وتعلمون حيث أنا أذهب"**: المقصود به الذهاب إلى السماء، ولكن مرورا بطريق الصليب.

(2) أنا هو الطريق... أنا فى الآب (ع 5-14):

5– قال له توما: "يا سيد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟" 6– قال له يسوع: "أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى. 7– لوكنتم قد عرفتمونى، لعرفتم أبى أيضا. ومن الآن تعرفونه، وقد رأيتموه." 8– قال له فيلبس: "يا سيد، أرنا الآب وكفانا." 9– قال له يسوع: "أنا معكم زمانا، هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس؟! الذى رآنى، فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب؟! 10– ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ؟ الكلام الذى أكلمكم به، لست أتكلم به من نفسى، لكن الآب الحال فىَّ هو يعمل الأعمال. 11– صدقونى أنى فى الآب والآب فىَّ، وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها. 12– الحق الحق أقول لكم، من يؤمن بى، فالأعمال التى أنا أعملها، يعملها هو أيضا، ويعمل أعظم منها، لأنى ماضٍ إلى أبى. 13– ومهما سألتم باسمى، فذلك أفعله، ليتمجد الآب بالابن. 14– إن سألتم شيئا باسمى، فإنى أفعله.

ع5: كأن ما قاله السيد المسيح فى الأعداد السابقة لم يُشبع توما – التلميذ العقلانى – بل ربما زاده حيرة، فنجده فى حالة استفسار، فقد أقر بأنه لا يعرف المكان، وبالتالى، لا يعرف الطريق إليه، وقد قال سؤاله بصورة جمع فيها التلاميذ معه.

ع6: كالعادة، يجيب السيد المسيح على سؤال زمنى ومكانى محدود بإجابة روحية عميقة، فهو **الطريق** لكل تائه فى غربة العالم متخبط فى خطاياه، وهو **الحق**، أى كل ما عداه وخارج الإيمان به هو باطل؟ وهو **الحياة**، فيتمتع به كل من يحيا معه على الأرض، ولا ينزعج من تقلبات العالم، حتى يصل إليه فى السماء، فهو الحياة الأبدية "وليس بأحد غيره الخلاص" (أع 4: 12).

✠ *ليتنا نتعلم من توما أن نسأل الله ومرشدينا فى الرب فى كل ما نجهل، فيكشف لنا الله ما هو أبعد وأعمق مما كانت ستصل إليه عقولنا.*

ع7-9: يربط المسيح هنا بين معرفة التلاميذ له ومعرفة الآب نفسه، فالاثنان واحد فى الجوهر، ورؤية الابن فى سلطانه ومعجزاته ووصيته، هى رؤية جوهر الله ذاته. ولأن الكلام كان صعبا، لم يفهم فيلبس قصد المسيح، وخاصة كلمة "**رأيتموه**"، فطالب برؤية الآب بالعيان، إن كان هذا فى مقدور المسيح، ناسيا ما أعلنه المسيح سابقا: "أنا والآب واحد" (ص 10: 30)، فتأتى إجابة السيد المسيح معاتبة... أبعد كل هذه السنوات والمعجزات والأعمال والأمثال، لم تعرفنى بعد يا فيلبس ؟! فـ "**الذى رآنى، قد رأى الآب**".

وتعتبر هذه الآية إعلانا مباشرا واضحا، يضاف لما سبقه من إعلانات، عن لاهوت المسيح، وقد حرص القديس يوحنا على ذكرها.

ع10: يستكمل السيد المسيح حديثه مع فيلبس بسؤال، يدعوه فيه لمراجعة نفسه، فى مدى الإيمان به، بعد أن عاتبه فى (ع9)، ثم ينقل كلامه إلى باقى التلاميذ، معلنا بوضوح أنه فى الآب والآب فيه؛ والمسيح هنا يؤكد على مساواته بالآب، وأن كل الأعمال التى يعملها مصدرها الآب.

✠ *ولكى نقرّب لأذهاننا هذه الحقيقة، نقول أن العلاقة بين الآب والابن كعلاقة العقل بالفكر، فالفكر مصدره العقل، والعقل جوهره الفكر، فلا يوجد عقل بلا فكر ولا فكر بلا عقل.*

ع11: ما زال الكلام موجها للتلاميذ بوجوب الإيمان بأن المسيح هو الله، كما أن الآب هو الله، ولأن المسيح يعلم أن الإيمان الكامل للتلاميذ لم يأت زمنه بعد، يقدّم لهم دليلا على وحدانيته بالآب، وهو كَمُّ المعجزات والأعمال التى صنعها، ولا يستطيع أحد القيام بها سوى الله.

ع12: وعد غالٍ وثمين ومشجع جدا للتلاميذ القديسين، ومن خلفهم كل من له إيمان صادق بالرب المسيح، فى أن يعمل أعمال المسيح ذاتها، ولكن من خلال المسيح نفسه، فليس لنا قوة فى ذاتنا، بل هى قوته الممنوحة لنا بالروح القدس (أع 1: 8).

"**يعمل أعظم منها**": من المحال أن يأتى المخلوق بأعمال أعظم من خالقه. ولكن، ما يقصده المسيح هنا، أن المعجزات الروحية مثل إشباع النفوس بكلام الله، أعظم من إشباعهم بالخبز والسمك، وإحياء النفوس الميتة فى خطاياها بالدعوة للتوبة، أفضل من إقامة الأموات جسديا.

✝ *ولهذا، لا تستهن أيها الحبيب بما يستطيع أن يفعله المسيح من خلالنا نحن كنيسته، إذ أودع بها كل قوته، ليس من أجل الافتخار، بل من أجل خلاص الآخرين، وتمجيد اسمه القدّوس.*

ع13-14: يقدم السيد المسيح هنا كرامة اسمه القدّوس، وفاعلية وشفاعة استخدام هذا الاسم فى إجابة كل سائليه بإيمان... وكلمة "**مهما**"، تعنى اتساع دائرة الطلب من التلاميذ المؤمنين، والقدرة غير المتناهية، لاستخدام اسم المسيح فى الاستجابة. وهو ما جعل كنيستنا، المرشَدة بالروح القدس، تستخدم اسم الرب فى كل صلواتها، فتختم الصلاة الربانية باسم المسيح يسوع ربنا، وتردد اسمه القدّوس فى كل تسابيحها وصلواتها.

(3)الوعد بالروح القدس (ع 15-26):

15- إن كنتم تحبوننى، فاحفظوا وصاياى. 16- وأنا أطلب من الآب، فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. 17- روح الحق، الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. 18- لا أترككم يتامى، إنى آتى إليكم. 19- بعد قليل لا يرانى العالم أيضا، وأما أنتم فترونني، إنى أنا حى فأنتم ستحيون. 20- فى ذلك اليوم، تعلمون أنى أنا فى أبى، وأنتم فىَّ، وأنا فيكم. 21- الذى عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذى يحبنى، والذى يحبنى، يحبه أبى، وأنا أحبه وأُظْهِرُ له ذاتى. 22- قال له يهوذا ليس الإسخريوطى: "يا سيد، ماذا حدث، حتى إنك مزمع أن تُظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟" 23- أجاب يسوع وقال له: "إن أحبنى أحد، يحفظ كلامى ويحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نصنع منزلا. 24- الذى لا يحبنى، لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى، بل للآب الذى أرسلنى. 25- بهذا كلمتكم وأنا عندكم. 26- وأما المعزى، الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يُعلّمكم كل شىء، ويُذكّركم بكل ما قلته لكم."

ع15: المحبة الحقيقية للمسيح ليست انفعالا عاطفيا، بل هى طاعة والتزام وعمل بوصاياه؛ فالطاعة الكاملة والإيمان، هما دليل الحب وبرهانه.

ع16: "**أطلب من الآب**": أى بعد إتمام الفداء وصعودى، وكأن أقنوم الابن يسلم لأقنوم الروح القدس رعاية الكنيسة فى عهدها الجديد، الذى بدأه الابن بدمه.

"**معزيا**": فى اليونانية تعنى "معزيا ومعينا وشفيعا ومحاميا"، والترجمة العربية أفقدتها معانيها. وهذه المعانى توضح لمحة سريعة لعمل الروح القدس فى حياتنا، وفى الكنيسة عموما.

"**يمكث معكم للأبد**": أى أن الكلام ليس قاصرا على الكنيسة فى عصر الرسل فقط، ولكنه عامل فيها وفى حياة أبنائها إلى نهاية الأزمان... وهذه الآية من الآيات التى يتلاقى فيها الثالوث الأقدس: فالابن طالب، والآب مجيب، والروح القدس مرسَل، لأن الإرادة فى الجوهر الإلهى واحدة.

ع17: "**روح الحق**": الله هو الحق المطلق. ولهذا، لا يستطيع كل من لم يولد بالمعمودية من هذا الروح أن يقبله، فالعالم مادى حسى يغرق فى الباطل، لهذا فهو لا يقبل الله، الروح والحق، ولا يعرفه. أما من عرف الروح القدس وأسكنه قلبه، فهو الذى يتمتع بمعرفة الله الحقيقية.

"**معكم... فيكم**...": لم يعد الروح القدس يحيط فقط بأبناء الله، بل يسكن بداخلهم، وهى عطية أخذها كل واحد منا فى مسحة الميرون المقدس؛ وهذا ما يذكرنا به القديس بولس عندما يقول: "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم" (1كو 6: 19).

ع18-19: إذ دنت ساعة الفراق بالموت، أراد المسيح أن يطمئن تلاميذه، بعدم تركهم يتامى بعد موته، بل سوف يأتى إليهم ويروه، فى إشارة مباشرة لظهوره لتلاميذه طوال أربعين يوما بعد القيامة من جهة، ومن جهة أخرى، يتكلم عن إرسال الروح القدس ووجوده الدائم فيهم ومعهم، مما سوف يستعلن فيهم شخص المسيح دائما، من خلال تذكيرهم بكل ما علّمهم، وبكل ما أوصاهم به. وبالتالى، لن يكونوا يتامى، طالما الروح القدس حال بداخلهم ومعهم.

ع20: "**فى ذلك اليوم**": تحتمل معنيين: إما بعد إعلان قيامته، أو يوم حلول الروح القدس. وكلمة "**تعلمون**"، تأتى هنا بمعنى تتأكدون دون أى شك. فالبرغم من كثرة الإعلانات السابقة عن وحدانيته مع الآب، إلا أن الكلام كان مبهما وغير مفهوم. ولكن، سيأتى يوم التأكد التام واستكمال المعرفة الناقصة، إما بأحاديثه معهم خلال الـــ40 يوما، بعد قيامته من بين الأموات، أو من خلال الروح القدس الذى يعلمهم أسرار لا ينطق بها.

ع21: تزيد الآية هنا عما جاء فى (ع15) بأن هناك مكافأة إلهية، تتعلق وتتمتع بها قلوب أبناء الله المحبة له والعاملة بوصاياه، وهى إعلان الله لذاته فى حياتهم، حتى أنهم يتمتعون بوجوده وصداقته أكثر من غيرهم؛ فالله يحب البشر جميعا بدعوته لهم، أما من يعمل بوصاياه فله شأن آخر، إذ يرى الله كل يوم فى حياته.

ع22-24: "**يهوذا**": هو تداوس أخو يعقوب بن حلفى، وكاتب رسالة يهوذا. لم يفهم قصد الرب هنا، إذ ظن أن المسيح سوف يُظهر نفسه للتلاميذ فقط، دون أن يراه الآخرون. وهذا ما جعله يسأل متعجبا... فأجابه المسيح ثانية بما سبق وقاله فى ارتباط حبنا لله بعملنا بوصاياه، وأضاف وأوضح بالأكثر مجازاة ذلك، فى أنه وأبوه سوف يكون لهما الحضور، والسكنى الدائمة بالروح القدس فى قلوب أبنائه العاملين بوصاياه، وهى عطية تفوق كل العطايا التى يتمناها الإنسان الروحى، فهى ليست استضافة لزيارة وقتية، بل هى إقامة وصحبة وصداقة ووجود دائم.

✞ *ألا يشجعنا هذا يا صديقى أن نترك أعذارنا وكسلنا جانبا، ونجتهد فى الخروج بوصية المسيح إلى مجال التنفيذ والجهاد فيها، حتى نتمتع برؤية يد الله تعمل فى حياتنا بقوة ملموسة ومدركة.*

وينسب المسيح الكلام الذى قاله للآب، ليوضح السلطان الإلهى فى هذا الكلام، ويؤكد أيضا أنه الابن الوحيد الذى خَبَّرَ (ص 1: 18).

ع25: أى كأنه يُودِعُ كلامه أمانة فى قلوبهم قبل انتقاله من العالم.

ع26: العودة هنا لما بدأ وتكلم عنه السيد المسيح عن الروح القدس فى (ع16)، ويوضح دوره مع التلاميذ والكنيسة فى كل أجيالها... فهو يعلمنا ويرشدنا لطريق خلاصنا، وهو الذى يذكّرنا دائما ويُحْضِرُ لأذهاننا كل كلام وتعاليم المسيح الرب، بل ويحثنا أيضا على تنفيذها والحياة بها وسط العالم، ويعطينا القوة اللازمة لذلك.

(4) سلام المسيح (ع 27-31):

27- "سلاما أترك لكم، سلامى أعطيكم، ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا، لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. 28- سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب، ثم آتى إليكم. لوكنتم تحبوننى، لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب، لأن أبى أعظم منى. 29- وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون. 30- لا أتكلم أيضا معكم كثيرا، لأن رئيس هذا العالم يأتى، وليس له فىَّ شيء. 31- ولكن، ليفهم العالم أنى أحب الآب، وكما أوصانى الآب هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا."

ع27: إن كان الحديث هنا موجها للتلاميذ، إلا أنه يتجاوزهم للكنيسة كلها فى كل زمان ومكان، فميراث الآباء لأبنائهم قد يكون مالا أو جاها، أما ميراث المسيح وعطيته، فهو سلام يفوق العقل ولا يفهمه العالم، فالعالم كله لا يستطيع أن يعطى بعضا من هذا السلام، ومنْح المسيح هذا السلام كهبة منه، هو إشارة واضحة للاهوته كما تنبأ عنه إشعياء: "ويدعى اسمه عجيبا، مشيرا، إلها قديرا، أبا أبديا رئيس السلام" (9: 6).

والنتيجة الطبيعية لهذا السلام، هى ثبات القلب وعدم خوفه مهما كانت الأهوال. ولعل أزهى برهان على ذلك، هو حالة آبائنا الشهداء فى وقت عذاباتهم، فقد كان سلامهم وهدوءهم محيرا وغير مفهوم للذين كانوا يعذبونهم.

ع28: "**لو كنتم تحبوننى**...": أى المحبة الروحية وليست العاطفية، فالعاطفة تحزن للفراق، ولكن المحبة الروحية تتعداها، لأنها تفهم وتعى نتائج ما يحدث بعد فـــراق المسيح للتلاميذ بالجسد، مثـــل: إعداد المكان (ع2)، إرسال الروح القدس (ع16)، المتعة الدائمة مع الآب والابن سواء فى الأرض (ع23) أو السماء بعد ذلك (ع3). ولعلنا نشعر بهذا أيضا ونفهمه فى حياتنا عند انتقال أحد أحبائنا القديسين إلى السماء، فنحن نفتقده بالعاطفة الإنسانية، ولكن بالروح نفرح، إذ صار لنا شفيعا يطلب عنا أمام عرش النعمة، إلى أن نلقاه نحن هناك أيضا.

"**أبى أعظم منى**...": ليس فى الطبيعة، لأنهما متساويان فى الجوهر. ولكنه يتكلم عن مجد لاهوته الْمُخْفَى خلال رحلة الألم والصلب، بينما مجد الآب لا يُخْفَى، فصورة الابن المنظورة، خلال الأيام القادمة، خالية من كل عظمة بمفهوم البشر. وهنا، يقول القديس بولس عن المسيح: "أخلى نفسه آخذا صورة عبد" (فى 2: 7)، أى ترك إظهار مجده اللاهوتى، لكى يفدى البشر بجسده. ولما كانت هذه الآية من الآيات التى استخدمها الكثير من الهراطقة (المنشقين وأصحاب البدع) للإقلال

من شأن مساواة الابن بالآب، فإليك أيها الحبيب ما قاله أيضا المسيح فى نفس الإنجيل، وفى هذا الشأن:

(1) "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (ص 5: 17).
(2) "لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" (ص 5: 23).
(3) "أنا والآب واحد" (ص 10: 30).
(4) "الذى رآنى، فقد رأى الآب" (ع9).
(5) "أنا فى الآب والآب فىّ" (ع10).
(6) "كل ما هو لى فهو لك، وما هو لك فهو لى" (ص 17: 10).
(7) "أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك" (ص17: 21).

ع29: أى كل ما يتعلق بالآلام ورحلة الصليب والأوقات الصعبة، فمتى أتت إذن تتذكرون أننى تنبأت لكم بكل هذا، فلا يخور إيمانكم بل يثبت ويزداد.

✝ *أيها الحبيب، ما أحوجنا أن نتذكر وعود وأقوال السيد المسيح عن تعزياته، وعنايته بنا فى الأوقات الصعبة. فبقدر إيماننا وتمسكنا بوجوده، بقدر ما ننال من ثبات وسلام وسط الضيقات.*

ع30: **"لا أتكلم أيضا معكم كثيرا"**: أى لم يتبق للتلاميذ مع المسيح سوى ساعات قليلة، وقد مضى زمن الكلام والتعليم، و لم يبق سوى زمن الفداء والصليب.

"**رئيس هذا العالم**": أى أنها الحرب الأخيرة المزمع أن يقوم بها الشيطان... من تهييج الكهنة والشعب، وإتمام خيانة يهوذا، وكل المحاكمات والمؤامرات المصاحبة، وهذا ما أعلنه المسيح فى (لو 22: 53) "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة".

"**ليس له فىّ شىء**": أى أن الشيطان، بكل قوته، ليس له سلطان أمام بر وعظمة وسلطان المسيح.

✝ *وأيضا يا أحبائى... نفس هذا السلطان أعطى لأبناء الله، فالشيطان يجيد المؤامرات ويسبب الكثير من الحروب الخارجية، ولكنه لا يستطيع الانتصار على أحد من أبناء الله، الذين لهم وحدهم السلطان أن يسحقوه، إن لم يستسلموا لأهوائهم ورغبات العالم الشريرة من حولهم.*

ع31: ترتبط هذه الآية بما قبلها، أى أنه بالرغم من أن رئيس هذا العالم ليس له فىّ شئ، ولكن، لأننى أحب الآب، فإننى أبذل نفسى كإرادته لخلاص العالم.

الأَصْحَاحُ الخَامِسُ عَشَرَ

المسيح يشبّه نفسه بالكرمة

ويوصى تلاميذه بالمحبة وعدم الانزعاج من مقاومة العالم له ولهم

η E η

(1) مثل الكرمة (ع 1-8):

1- "أنا الكرمة الحقيقية، وأبى الكرام. 2- كل غصن فىَّ لا يأتى بثمر ينزعه، وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر. 3- أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به. 4- اثبتوا فىَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته إن لم يثبت فى الكرمة، كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فىَّ. 5- أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذى يثبت فىَّ وأنا فيه، هذا يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا. 6- إن كان أحد لا يثبت فىَّ، يُطرح خارجا كالغصن، فيجف، ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق. 7- إن ثبتم فىَّ وثبت كلامى فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم. 8- بهذا يتمجد أبى، أن تأتوا بثمر كثير، فتكونون تلاميذى."

مقدمة:

كان الحديث فى الأصحاح السابق تشجيعى، الغرض منه تثبيت المسيح لإيمان تلاميذه خلال الفترة الصعبة القادمة. وفى هذا الأصحاح، يستكمل المسيح حديثه بغرض التعليم والتوصية.

ع1-2: يشبّه المسيح نفسه بالكرمة التى تَحْمِلُنَا نحن أغصانها – أعضاء جسده – ويوضح أيضا مسئولية الله الآب فى رعاية أغصان هذه الكرمة. فكل إنسان فى المسيح ليست له أعمال صالحة، هو غصن ميت ينزعه الآب. أما الإنسان الحى فى المسيح، فالآب يتعهده ويهذبه وينقيه من الخطايا بالتعليم والاحتضان، وبالتوبيخ والتجارب فى بعض الأحيان، حتى ينضج أكثر فى ثمر فضائله، وينمو فى القداسة.

ع3: الكلام هنا للتلاميذ باعتبارهم أغصانا جيدة، ويوضح المسيح سبب نقائهم، وهو سماعهم وقبولهم لكلامه.

♱ *وهذا ينطبق علينا جميعا، فقراءة الكتاب المقدس، وسماع كلام الله والعمل به، تعطى للإنسان نقاءً وسلاما وفهما.*

ع4-5: دور الله فى رعاية الأغصان، لا يلغى دور الغصن (الإنسان) فى خلاص نفسه، فالإنسان مطالب بالثمر، ولا وسيلة له فى ذلك سوى الثبات فى المسيح – الكرمة – فهل يعقل أن ينمو غصن قُطع من كرمة؟! فالمسيح هو جذور نمونا وتقدمنا، وبدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. والثبات الذى يتحدث عنه المسيح هنا يذكرنا بما سبق وقاله فى (ص 6: 56): "من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه". أى أن الثبات الحقيقى فى المسيح، هو من خلال جسده ودمه.

ع6: أما من استهان بنعمة الله و لم يثبت فيها، فيكون مصيره – عقابه – عند استعلان دينونة الله العادلة، هو:

(1) النزع، أى لا نصيب له فى المسيح.
(2) الجمع مع باقى الأشرار كجمع الحطب.
(3) الطرح فى النار.

ع7-8: "**إن ثبتم فىَّ**": من خلال جسدى ودمى، وثبتت كل وصاياى فى قلوبكم وظهرت فى أعمالكم،فالعطية الخاصة لكم هى استجابتى الفورية لكل ما تُصَلُّونَ من أجله. وهذا أيضا ما يؤكده يعقوب الرسول، عندما قال: "... طِلْبَةُ البار تقتدر كثيرا فى فعلها" (5: 16). ونتيجة طبيعية للثبات فى المسيح، واستجابة الله لطِلْبات أولاده، أن يزداد ثمر الأغصان فى الخدمة، وخلاص نفوس البعيدين، فيعود المجد والتسبيح والمديح كله للآب. أما فخر الأغصان المثمرة، فهو فيما يطلقه عليها المسيح من لقب "**تلاميذى**".

(2) وصية المحبة (ع 9-17):

9- "كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا، اثبتوا فى محبتى. 10- إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى، كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته. 11- كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم، وَيُكْمَلُ فرحكم. 12- هذه هى وصيتى، أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم. 13- ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. 14- أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به. 15- لا أعود أسميكم عبيدا، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكنى قد سميتكم أحباء، لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى. 16- ليس أنتم اخترتمونى، بل أنا اخترتكم، وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم، لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى. 17- بهذا أوصيكم، حتى تحبوا بعضكم بعضا."

ع9-10: لم يجد المسيح تشبيها يصف به درجة حبه لتلاميذه، ولنا جميعا، أقوى من درجة حب الآب للابن، وهو حب ليس لإنسان أن يصفه. وأمام هذا الحب غير المحدود، يطالبنا المسيح أن نثبت فى محبته لنا. والوسيلة الوحيدة لذلك هى حفظ الوصايا وطاعتها، كما أطاع هو أيضا مشيئة الآب، متمما الفداء للبشرية كلها (راجع ص 14: 15، 21-23؛ 15: 10، 14).

ع11: "كلمتكم بهذا": أى حديثى عن الثبات فىَّ وحفظ وصاياى، فيكون لكم الفرح الدائم بى.

✞ *فكما أعطانا المسيح سلاما لا يفهمه العالم، هكذا أيضا كل من يجاهد فى حفظ الوصية، يأخذ فرحا إلهيا لا تماثله كل أفراح العالم فى كماله وشموله.*

ع12-14: يكرر السيد المسيح هنا ما ذكره فى (ص 13: 34)، أن يكون مستوى الحب بين أولاده على مثال حبه لنا. فالمسيح، فى حبه، اتضع وغسل أرجلنا، وحمل خطايانا ومات عنا على خشبة الصليب؛ بل غفر أيضا لأعدائه.

✞ *ولا يستطيع أحد منا أن يقدم مثال هذا الحب، ما لم:*
(1) يتضع بانسحاق أمام المصلوب عنا.
(2) التأمل الدائم فى حب ومغفرة الله لنا، حتى نستطيع أن نحب ونغفر للآخرين.
(3) حفظ الوصايا والعمل بها.

ع15: فى (ص 12: 26؛ 13: 16)، أطلق السيد المسيح على تلاميذه لقب "خدام وعبيد". وهذه حقيقة، فلا يوجد أمام المسيح، له المجد، من يُدْعَى "سيدا". ولكن هنا، وبعد الحديث عن الثبات فى شخصه وطاعة وصيته، ينقل المسيح تلاميذه من حال العبيد، الذين لا يعرفون تدابير سيدهم، إلى صفة الأحباء والأبناء، الذين يعرفون قصد سيدهم. وهذا ليس حقا لنا، بل دليل على حب الله اللامحدود لخاصته.

ع16: يوضح السيد المسيح هنا أنه، بنعمته، هو صاحب مبادرة خلاص الإنسان باختياره، وإقامته لتلاميذه ليأتوا بثمر دائم.

✠ واستجابة الآب لكل ما نطلب باسم المسيح، وأمام عمل نعمة المسيح، هناك مسئولية علينا جميعا، وهى الإتيان بثمر على مستوى الجهاد من أجل الفضائل من جهة، وثمر دعوة الآخرين للمشاركة فى حب المسيح والإيمان به، من جهة أخرى.

ع17: يختتم السيد المسيح هذا الجزء من كلامه، مؤكدا ما سبق وقاله فى الأعداد (9، 12، 15)، عن الحب بينه وبين تلاميذه، وبعضهم نحو بعض؛ فالمحبة هى الدرع الواقى لما سوف يتحدث عنه فى الأعداد اللاحقة.

(3) مقاومة العالم للمسيح (ع 18-27):

18- "إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم. 19- لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصته. ولكن، لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم. 20- اذكروا الكلام الذى قلته لكم، ليس عبد أعظم من سيده، إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم. 21- لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى. 22- لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية. وأما الآن، فليس لهم عذر فى خطيتهم. 23- الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا. 24- لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا، لم يعملها أحد غيرى، لم تكن لهم خطية. وأما الآن، فقد رأوا، وأبغضونى أنا وأبى. 25- لكن، لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم، إنهم أبغضونى بلا سبب. 26- ومتى جاء المعزى، الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى. 27- وتشهدون أنتم أيضا، لأنكم معى من الابتداء."

ع18-20: ينقل السيد المسيح التلاميذ، والكنيسة من بعدهم، لما هو متوقع أن يجدوه فى العالم من رفض واضطهاد.

✠ *ويقدم لنا جميعا تعزية وتشجيعا، وهو أن العالم قد رفض المسيح نفسه. فإذا تذكرنا هذه الحقيقة دوما، أعطانا هذا صبرا واحتمالا، ونعتبره شيئا طبيعيا.*

ويوضح المسيح سبب بغض العالم لأولاد الله، فهم مختلفون عنه فى أفكارهم وآرائهم وروحانياتهم، ولهذا يبغضهم أهل العالم بمادياتهم وشهواتهم، فمن الطبيعى أن تكره الظلمة النور الذى يبددها. وكما لم يقبلوا المسيح ولا كلامه، فلا عجب أن يكون نفس الحال مع التلاميذ والكنيسة.

ع21-24: يقدم المسيح هنا تعزية جديدة، يتعزى بها التلاميذ أمام ما سوف يلاقونه من اضطهاد ورفض. وهذه التعزية أنه هو نفسه سبب رفض العالم لهم، فالعالم فى ظلمته لم يعرف الآب، وبالتالى لم يقبـــل الابـــن. و المسيح هنا لا يلتمس العذر للعالم، بل يدينه على عدم الإيمـــان به، وخاصة بعدما جاء... وأخبر... وصنع عجائب ومعجزات. فخطية عدم الإيمـــان بالمسيح خطية باقية؛ بل يضيف المسيح أيضا أن رفض العالم له هو بغضه للآب نفسه، فكرامة الآب والابن واحدة لا تتجزأ.

ع25: "**أبغضونى بلا سبب**": جاءت هذه الآية بنصها فى (مز 35: 19)، وكأن الروح القدس ينبئ، عن طريق داود، عن حال واضطهاد اليهود للمسيح بلا سبب، حتى إن بيلاطس الرومانى صرّح أنه لا توجد علة واحدة لموت المسيح (ص 18: 38 – راجع أيضا لو 23: 4، 14، 22)، بل إن حقد الرؤساء والكهنة هو الذى أعماهم.

✠ *والذين يرفضـــون اليوم دعـــوة المسيح وكنيسته لهم، ألا يُعتبرون هـم أيضـــا مبغضين للمسيح بلا سبب؟*

ع26-27: وإذ كان كلام السيد للتلاميذ برفض العالم لهم شديدا عليهم، يختتم المسيح كلامه مشجعا إياهم بالحديث عن الروح القدس، الذى سبق وتحدث عنه (ص 7: 39؛ 14: 26)، فالروح القدس هو الذى سيشهد للمسيح، من خلال تلاميذه، أمام العالم كله، بما سوف يقولونه أو يصنعونه من معجزات مصدرها الروح القدس. وهى أمور تسعد وتقوّى الخدام فى كل زمان، عندما يلمسون قوة عمل الروح القدس فى كنيسة الله.

"**سأرسله**... **ينبثق**": توضح تناســـق وانسجام عمل الأقانيم الثلاثة مع بعضها. فكلمة "**سأرسله**"، تبرز لاهوت المسيح وسلطانه المساوى للآب والروح القدس، وتبرز أيضا أن إرسال الروح القدس المستقبلى، يتوقف أولا على ما ســـيقدمه المسيح من فـــداء على عود الصليب. وكلمة "**ينبثق**"، تفيد الـــخروج المستمر من الداخـــل دون انفصـــال، كأن نقـــول: تنبثق الحـــرارة من النـــار؛ ولكنها لم تفارقها... فالابـــن، فى تجســـده، لم يفارق الآب؛ والروح القدس فى انبثاقه، لم يفارق لا الآب ولا الابن.



الأَصْحَاحُ السَّادِسُ عَشَرَ

المسيح ينبئ تلاميذه بموته، واضطهاد العالم لهم، ومعونة الروح القدس

η E η

(1) المسيح ينبئ تلاميذه بموته وبالاضطهاد الآتى عليهم (ع 1-6):

1- "قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا. 2- سيخرجونكم من المجامع. بل تأتى ساعة، فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقـــدم خدمة لله. 3- وســـيفعلون هذا بكم، لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفونى. 4- لكنى قد كلمتكم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة، تذكرون أنى أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية، لأنى كنت معكم. 5- وأما الآن، فأنا ماضٍ إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى؟ 6- لكن، لأنى قلت لكم هذا، قد ملأ الحزن قلوبكم."

ع1: "**كلمتكم بهذا**": أى الحديث السابق كله عن رفض العالم واضطهاده لكم. وسبب حديثى لكم، هو ألا يضعف إيمانكم، بل تتشددوا بتعزية الروح القدس.

ع2-3: الخروج من المجمع هو أشد عقوبة تأتى على اليهودى، وتمثل عارا أدبيا، بل إنهم سيتعرضون أيضا للقتل. ويكون دافع اليهود فى ذلك، هو غيرتهم الخاطئة على الله والناموس، كما فعلوا باستفانوس (أع 7: 54-60). أما السبب الحقيقى لهذا الاضطهاد والقتل، فهو رفضهم للمسيح والآب.

ع4: نفس المعنى فى الآية الأولى. ويضيف أنه لم يخبرهم من البداية، وذلك لسببين:
أولا: عدم استعدادهم المعنوى لسماع هذا الكلام الصعب.
ثانيا: لم يكن هناك احتياج للإشارة لعمل الروح القدس المعزى، طالما أن المسيح بينهم يعلمهم ويقويهم، وهو مصدر تعزيتهم.

ع5-6: "**أما الآن**": أى بدأت أحداث وتدابير الفداء بعد أكل الفصح، وذهاب يهوذا للرؤساء والكهنة للاتفاق على القبض على المسيح.

"**ماضٍ إلى الذى أرسلنى**": تعنى الصعود إلى الآب، مرورا بالصليب، ثم القيامة وإعلانها.

"**ليس أحد منكم يسألنى**": ليس أمرا من المسيح، بل هو أسلوب تعجب، كما جاء فى اليونانية: إن أحدا لم يسأله إلى أين يمضى. وتفسير هذا أن الحزن ملأ قلوب التلاميذ، بسبب حديث المسيح عن الاضطهاد، ومفارقة المسيح لهم، فانشغلوا عن مصير المسيح بما ينتظرهم من بعده!!!

☩ *أرجوك يا إلهى... نحن أيضا كثيرا ما نغرق فى همومنا ونحزن ونقلق، غير ناظرين لتدابير خلاصك وما تعده لنا... ارفع قلوبنا وأعيننا نحوك، ليتشدد قلبنا ويَقْوَى عزمنا، ونكمل حياتنا بإيمان فى وعودك.*

(2) عمل الروح القدس (ع 7-16):

7- "لكنى أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزى. ولكن، إن ذهبت أرسله إليكم. 8- ومتى جاء ذاك، يبكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة. 9- أما على خطية، فلأنهم لا يؤمنون بى. 10- وأما على بر، فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضا. 11- وأما على دينونة، فلأن رئيس هذا العالم قد دين. 12- إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. 13- وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. 14- ذاك يمجدنى، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. 15- كل ما للآب هو لى، لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم. 16- بعد قليل لا تبصروننى، ثم بعد قليل أيضا تروننى، لأنى ذاهب إلى الآب."

ع7: إذ لمس الرب يسوع تأثير كلامه على التلاميذ، وكيف حزنوا، أراد أن ينقلهم نقلة تحمل تعزية، وترتفع بهم فوق الحزن. فعاد ليكشف لهم سرا من أسرار التدبير وعمل الروح القدس، فجعل السيد المسيح من انطلاقه مصدرا للفرح، عابرا بهم من الرؤية الحسية الجسدية إلى الرؤية السمائية، فقد يفقدوه بالرؤية العينية، ولكن المسيح يقدم الروح المعزى والمفرح، على أنه وضع أفضل للتلاميذ والكنيسة، فتجسد الابن له مهمة زمنية محددة تنتهى بإتمام الفداء. أما الروح القدس، فيتعهد ويرعى الكرازة والكنيسة إلى انقضاء الدهر. واستخدم المسيح هنا صفة المعزى كأحد صفات الروح القدس، لأن التلاميذ كانوا فى أشد الحاجة للتعزية.

ع8: هذا العدد إجمال قبل تفصيل، فيعرض المسيح لعمل الروح القدس، ثم يفصله فى الثلاث آيات التالية، بما يوضح أهمية إرسال الروح القدس، وعمله المتنوع اللازم لخلاص البشر.

ع9: "يبكت على خطية": أحد أعمال الروح القدس، هو التوبيخ بقصد الدفع للتوبة. ومهما تعددت الخطايا، فالروح القدس عمله فى حياة أبناء الله، هو كشف الخطية بداخلهم، ثم حثهم على التوبة. والخطية العظمى، هى خطية عدم الإيمان بالمسيح، وبدون الروح القدس لا يمكن الإيمان بالمسيح، راجع نبوة زكريا: "وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات، فينظرون إلى الذى طعنوه وينوحون عليه..." (12: 10)، أى لولا حلول الروح القدس وعمله يوم الخمسين، ما كان الكثير من اليهود "نخسوا فى قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع؟" (أع 2: 37).

ع10: "يبكت على بر": المعنى المباشر والمقصود هنا، أن الروح القدس يبكت اليهود على البر الذى رفضوه، وهو المسيح ذاته. فعندما جاء المسيح، وهو أملهم الوحيد فى الخلاص والبراءة من الموت، صلبوه!!! والمعنى الغير مباشر، ويستفيد منه جميع المؤمنين، أن الروح القدس العامل فيهم' لا يبكتهم فقط على الخطية التى صنعوها، بل يبكتهم أيضا على التقصير فى النمو فى الفضائل، والبر الذى يجب أن يتحلوا به وينتصروا به على كبريائهم.

ع11: "يبكت على دينونة": أى أن الروح القدس يشهد ويدين العالم ورئيسه (الشيطان) على محاكمة المسيح. فما بدا فى ظاهره نصرة للشيطان وأعوانه فى التخلص من المسيح، صار دينونة للشيطان والعالم الشرير.

ع12-13: بسبب التعب النفسى الذى يمر به التلاميذ الآن، لم يخبرهم المسيح بكل شيئ، بل أعطاهم بقدر احتمالهم. ولكن فى المستقبل القريب، وبعد حلول الروح القدس فى يوم الخمسين، ستنفتح أعينهم عند امتلائهم بالروح القدس، وتزداد معرفتهم بالأمور الروحية، ويتولى الروح القدس القيادة والإرشاد واستكمال التعليم. ويشير السيد المسيح إلى أقنومية الروح القدس وعلاقته بالآب، فهو روح الله الذى يأخذ منه ويخبر التلاميذ بالأمور الآتية، أى كل ما يتعلق بملكوت الله.

ع14: "يمجدنى": أى إظهار مجد اسم المسيح فى الكنيسة وفى قلوب التلاميذ وكل المؤمنين، بعد أن أخفى المسيح مجده بتجسده وخضوعه واحتماله للهوان.

"**يأخذ مما لى**": أى حتى بعد صعودى واختفائى الجسدى عنكم، فهو وسيلة إبلاغ قصدى وفكرى وتعليمى وإرشادى لكم.

ع15: "**كل ما للآب هو لى**": كلمة "**كل**" هنا، تعنى المساواة الكاملة بين الآب والابن. ولأن الآب والابن والروح القدس جوهر واحد، فسوف يقوم الروح القدس بأخذ ما يريد المسيح إيصاله لنا، ويقوم هو بتسليمه لكنيسته.

ويلاحظ هنا عدة وظائف يقوم بها الروح القدس، ويبرزها هذا الأصحاح:

(1) يبكت العالم (ع8).
(2) يرشد إلى جميع الحق (ع13).
(3) يمجد الابن (ع14).
(4) يبلغ الكنيسة قصد الآب والابن (ع14).

ع16: أى إشارة إلى موته ودفنه، ثم رؤيته بالعيان عند قيامته، فصعوده إلى الآب.

(3) حزن وفرح التلاميذ (ع 17-24):

17- فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض: "ما هو هذا الذى يقوله لنا، بعد قليل لا تبصروننى، ثم بعد قليل أيضا تروننى، ولأنى ذاهب إلى الآب؟" 18- فقالوا: "ما هو هذا القليل الذى يقول عنه؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم." 19- فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه، فقال لهم: "أعن هذا تتساءلون فيما بينكم، لأنى قلت بعد قليل لا تبصروننى، ثم بعد قليل أيضا تروننى؟ 20- الحق الحق أقول لكم، إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون، ولكن حزنكم يتحول إلى فرح. 21- المرأة وهى تلد تحزن، لأن ساعتها قد جاءت. ولكن، متى ولدت الطفل، لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح، لأنه قد ولد إنسان فى العالم. 22- فأنتم كذلك، عندكم الآن حزن، ولكنى سأراكم أيضا فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم. 23- وفى ذلك اليوم لا تسألوننى شيئا. الحق الحق أقول لكم، إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم. 24- إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى، اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملا."

ع17-19: صَعُبَ على التلاميذ فهم ما قاله السيد المسيح، فتهامسوا سويا، معلنين عدم فهمهم لقصده. وعلم الرب ما يحيرهم، وأعاد ما قاله سابقا عن عدم إبصاره ثم رؤيته، وذلك كتمهيد لما سوف يعلنه ويشرحه بعد ذلك.

ع20: "**ستبكون وتنوحون**": أى مع بدء آلامى وصلبى وموتى، و"**العالم**"، أى اليهود ورؤساؤهم، سيفرحون، لأنهم يعتقدون أنهم تخلصوا من المسيح إلى الأبد. ولكن ثقوا أنه بعد قليل – إعلان القيامة – ستتحول أحزانكم إلى أفراح وأمجاد لا يفهمها العالم.

ع21-22: يضرب المسيح مثلا تشبيهيا يؤكد به ما سبق وقاله، فيستخدم، للتقريب، مثل المرأة الوالدة، وآلام مخاضها التى لابد أن تجتازها، قبل أن تتحول هذه الآلام لأفراح بقدوم الحياة الجديدة، ففرحة الأم بوليدها تنسيها كل الآلام السابقة. وهكذا سيكون فرح التلاميذ الروحى، والذى يمتاز عن كل أفراح العالم الوقتية، بأنه لا يستطيع أحد أن يأخذه من أولاد الله. وقد رأينا هذه الصورة عينها، ليس فقط فى حياة التلاميذ الأطهار، بل فى حياة كل الشهداء، الذين قدموا ذواتهم للموت فى فرح لا يفهمه العالم.

ع23: "**فى ذلك اليوم**": أى عند حلول الروح القدس، لن تكون هناك حاجة إلى أن تسألونى كعادتكم الآن، فالمعرفة التى يقدمها الروح القدس هى معرفة كاملة، ويكفيكم فى ذلك الوقت أن تسألوا وتطلبوا من الآب باسمى، فيعطيكم الروح القدس كل ما تحتاجونه.

ع24: كان كل فخر الإنسان اليهودى أن يُشَفِّعَ صلاته بأسماء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فصار لنا نحن، فى مجد العهد الجديد، أن نقدم صلواتنا باسم المسيح نفسه، كما علّمنا هو هنا. فهذه هى مسرة الآب، أن تقدَّم كل الطِلْبات من خلال ابنه الذى فدا كل البشر؛ وعند الطلب باسم المسيح، تكون الاستجابة، ومن ثم الفرح الكامل.

(4) كمال إيمان التلاميذ (ع 25-33):

25– "قد كلمتكم بهذا بأمثال. ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم أيضا بأمثال، بل أخبركم عن الآب علانية. 26– فى ذلك اليوم تطلبون باسمى، ولست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم. 27– لأن الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتمونى، وآمنتم أنى من عند الله خرجت. 28– خرجت

من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب." 29- قال له تلاميذه: "هوذا الآن تتكلم علانية، ولست تقول مثلا واحدا. 30- الآن، نعلم أنك عالم بكل شىء، ولست تحتاج أن يسألك أحد. لهذا، نؤمن أنك من الله خرجت." 31- أجابهم يسوع: "ألآن تؤمنون؟ 32- هوذا تأتى ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركوننى وحدى. وأنا لست وحدى، لأن الآب معى. 33- قد كلمتكم بهذا، ليكون لكم فىَّ سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم."

ع25: "**كلمتكم... بأمثال**": اعتدت أن أتكلم معكم بأمثال، لتقريب المعانى الصعبة لأذهانكم. ولكن، عندما يأتى الروح القدس، ويعرّفكم حقائق الصلب والفداء والقيامة، لا حاجة للأمثال، بل سيكون تعليم الروح القدس مباشرا ومفهوما. واعتبر المسيح أن ما سوف يخبره الروح القدس ويعلنه للتلاميذ والكنيسة، هو إعلان المسيح ذاته لهم، لأن الروح القدس والمسيح جوهر واحد.

ع26-27: "**فى ذلك اليوم**": أى بعد حلول الروح القدس وميلاد الكنيسة، تطلبون باسمى كما أخبرتكم (ع23)، وستكون استجابة مباشرة من الآب، وذلك لأن كل من أحب الابن وآمن به، دخل من خلال الابن إلى حضرة الآب نفسه، فيعطيه الآب كل شيئ.

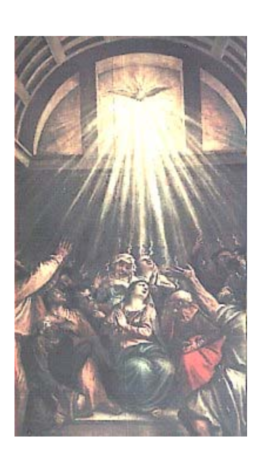
ع28: استكمال للآية السابقة، وشرح لاهوتى كامل ومختصر لمرحلة التجسد والفداء، ثم القيامة والصعود والجلوس عن يمين أبيه.

ع29-30: فى (ع 17، 18)، أعلن التلاميذ حيرتهم فيما كان يتكلم عنه المسيح. وبعد الشرح الذى أورده المسيح فى الأعداد (19-26)، لخص المسيح الحقيقة اللاهوتية فى (ع28) فى بساطة وكلمات قليلة بأنه من الآب خرج وتجسد، ثم يترك العالم ويعود إلى الآب... فعبّر التلاميذ عن جلاء الأمر ووضوحه ويقينهم الإيمانى بكل ما قاله المسيح، وأقروا أيضا بفهمهم أنه من الآب خرج وجاء إلى العالم.

ع32-31: "**ألآن تؤمنون**؟": يشير السيد المسيح إلى أن إيمان التلاميذ كان موجودا، ولكنه كان من الضعف بحيث لا يستطيع مواجهة الساعات القادمة، والتى تبدأ بالقبض عليه ومحاكمته، ثم أحداث الصلب. ولهذا، تنبأ المسيح لهم بما سيكون عليه حالهم من خوف، يجعلهم يتفرقون كل واحد إلى أهله، ويتركونه يجتاز المعصرة وحده. ويختم المسيح نبوته لهم بأنه، حتى وإن تركوه، فهو ليس وحده، لأن الآب معه. وما صرح به المسيح هنا، يعتبر ترجمة لحب الآب لابنه المتجسد من جهة، ولكل أولاده من جهة أخرى.

✞ *أخى الحبيب... إن أصابتنا كل صور الاضطهاد، وتركنا الناس، بل وإن اتهمَنا أيضا الأقربون، فلنا عزاء ورجاء وإيمان فى الله الذى لا يتركنا ابداً وهذا الإيمان هو ما استمد من خلاله كل الآباء الشهداء القديسين قوتهم وقت عذاباتهم.*

ع33: "**كلمتكم**": تعود على الحديث فى الأصحاحات الثلاثة السابقة، ويوضح السيد المسيح هنا سر كلامه بكل ما سبق، وهو أن العالم الذى فى قبضة الشيطان، سيكون مصدرا للألم والضيق والاضطهاد... ولكنى أنا هو مصدر السلام، فمهما كان ما سوف يقابلكم، فعليكم دائما الإيمان والثقة بأنى "**قد غلبت العالم**"، وأعطيتكم أيضا أن تغلبوا بى... فكما سحق المسيح الشيطان على الصليب، وأبطل سلطان الموت وانتصر عليه، هكذا أيضا أعطى التلاميذ، وكل من يؤمن إيمانا حقيقيا باسمه، هذه الغلبة على العالم وكل مملكة الظلمة.



الأَصْحَاحُ السَّابِعُ عَشَرَ

صلاة المسيح الشفاعية عنا

η E η

(1) مجد الآب ومجد الابن (ع 1-5):

1- تكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء وقال: "أيها الآب، قد أتت الساعة، مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا. 2- إذ أعطيته سلطانا على كل جسد، ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته. 3- وهذه هى الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته. 4- أنا مجدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته. 5- والآن، مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك، بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم."

مقدمة:

يعتبر هذا الأصحاح من أقوى الأصحاحات فى الكتاب المقدس، لأنه حديث بين الابن والآب، كما يتكلم الإنسان مع نفسه، فهو مثال لنا فى كيفية الصلاة.

ع1: بعد أن أنهى المسيح حديثه الطويل السابق مع تلاميذه، بدأ حديثا مع الآب، ورفع عينيه نحو السماء ليعلّمنا، عندما نصلى، أن ننظر إلى السماء، فنسمو بأفكارنا عن الأرضيات.

وأعلن اقتراب ساعة إتمامه الفداء على الصليب، لأنه يعرفها مسبقا، وقد تجسد من أجلها. **"مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضا"**: مجد الابن هو إتمام الفداء على الصليب، وتمجيد الأب هو إتمام مشيئته التى هى خلاص البشرية بالفداء.

ع2: مجد الابن فى تجسده كان مخفيا، ولهذا يبدأ المسيح هنا فى أعلان بعض أسرار هذا المجد، فهو صاحب السلطان الوحيد على كل الخليقة، وهو المانح للحياة الأبدية بالفداء لكل من يؤمن به.

ع3: الحياة الأبدية هى معرفة الله، والوجود الدائم معه، والوصول إليها من خلال الإيمان بالمسيح المخلّص، الذى فدانا على الصليب، وعلمنا كيف نعيش مع الله على الأرض بحياته.

ع4: أكمل المسيح مهمته، ومجّد الآب بأن أتم كل بر الناموس، ودعا الناس إلى ملكوت السماوات بالحديث المستمر عن الله الآب، وكيفية الحياة معه. وأخيرا بطاعة الآب فى تقديم نفسه ذبيحة على عود الصليب لفداء كل البشر.

ع5: مجد اللاهوت كان للابن منذ الأزل، وأُخفى بالتجسد، وظهر بالقيامة والصعود.

☩ *ليتنا نتمم وصايا الله، فنذوق عربون الأبدية على الأرض، فيمجدنا الله ويفرّحنا فى الملكوت.*

(2) الصلاة من أجل التلاميذ (ع 6-19):

6- "أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لى، وقد حفظوا كلامك. 7- والآن، علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك. 8- لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقينا أنى خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتنى. 9- من أجلهم أنا أسأل، لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتنى، لأنهم لك. 10- وكل ما هو لى فهو لك، وما هو لك فهو لى، وأنا ممجد فيهم. 11- ولست أنا بعد فى العالم، وأما هؤلاء فهم فى العالم، وأنا آتى إليك. أيها الآب القدّوس، احفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى، ليكونوا واحدا كما نحن. 12- حين كنت معهم فى العالم، كنت أحفظهم فى اسمك، الذين أعطيتنى حفظتهم، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك، ليتم الكتاب. 13- أما الآن، فإنى آتى إليك، وأتكلم بهذا فى العالم ليكون لهم فرحى كاملا فيهم. 14- أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم، لأنهم ليسوا من العالم كما أنى أنا لست من العالم. 15- لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. 16- ليسوا من العالم كما أنى أنا لست من العالم. 17- قدسهم فى حقك، كلامك هو حق. 18- كما أرسلتنى إلى العالم، أرسلتهم أنا إلى العالم. 19- ولأجلهم أقدّس أنا ذاتى، ليكونوا هم أيضا مقدّسين فى الحق."

ع6: **"أظهرت اسمك"**: أى بكلامى عنك كآب. فمعرفة اليهود لله كانت قاصرة، ولم تدرك الثالوث.

وبتجسد المسيح عرفوا الله أكثر، وتبع الكثيرون منهم المسيح متمسكين بوصاياه.

ع7-8: **"كل ما أعطيتنى"**: أى كمال الحكمة، والتعليم بالوصايا، وكل المعجزات التى رأوها، فأيقنوا بها أن المسيح مرسل من الآب، وكلامه هو كلام الله، فثبت إيمانهم أكثر.

ع9: ليس معنى هذا أن المسيح لا يصلى من أجل العالم، لأنه، فى (ع20، 21)، يصلى من أجل العالم الذى سيؤمن به. وكذلك على عود الصليب، يصلى من أجل صالبيه (راجع لو 23: 34). ولكنه خصّ بالصلاة هنا تلاميذه، بسبب ما سوف يتعرضون له، دون غيرهم، من اضطهاد ومتاعب نتيجة وقوع مسئولية الكرازة عليهم، واحتياجهم لمستوى أعلى من المساندة.

ع10: يعلن مساواة الابن للآب فى ملكية كل الخليقة، أى أن المسيح هو الله. المسيح ممجد فى تلاميذه بحفظهم وصاياه، ثم فى كرازتهم باسمه.

☩ *أخى الحبيب، إن تمجيد اسم المسيح وإعلانه، لم يصر مسئولية التلاميذ وحدهم، بل مسئولية كل أولاد الله. فعلينا إذن مهمة عظيمة، وهى تمجيد اسم المسيح أمام كل من حولنا. ولن يتأتّى هذا إلا بعملنا بوصيته، وتوبتنا الدائمة، وجهادنا ضد شهواتنا، فيختفى إنساننا العتيق (راجع رو 6: 6؛ أف 4: 22؛ كو 3: 9)، ويظهر عوضا عنه مسيحنا الساكن فينا.*

ع11: أى انتهى وقت وزمن رسالتى وعملى على الأرض، أما هم فلا زالوا باقين، وسوف يقابلون الكثير، وعليهم أيضا إبراز وتمجيد اسمى، وإكمال ما بدأت من كرازة. ولهذا، أسأل أنا أيضا من أجلهم أن تحفظهم من الشر، ومن العالم الذى سوف يواجهونه، ومن كل ما ينتظرهم.

"**فى اسمك**": كناية عن قوة الله وعنايته، كما يقول الحكيم: "اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصِّدّيق ويتمنَّع" (أم 18: 10).

"**ليكونوا واحدا**": أى اتحاد على مستوى المحبة القلبية والفكر والهدف، بلا خصومة أو فرقة.

☩ *وما أحوج الرعاة والخدام لهذه الطِلْبَة الآن، فسلام الكنيسة والمخدومين أساسه محبة الخدام ووحدة فكرهم. وما أحوج الكنيسة أن تصلى من أجل رعاتها، حتى يحفظهم الله من حروب الفرقة والتحزب.*

"**كما نحن**": رغبة المسيح فى أن يكون كمال الاتحاد بين التلاميذ، كما هو بين الآب والابن.

ع12-13: "**حين كنت معهم**... **فإنى آتى إليك**": ترتبط الآيتان وتكملان المعنى الواحد. أى أثناء وجودى، كان التلاميذ فى عهدتى، ولهذا حفظهم تعليمى وإرشادى ومتابعتى لهم. أما وقد أتى الوقت الذى سأترك فيه العالم، فإننى أعيد مسئولية الحفاظ عليهم لاسمك أيها الآب. وها أنا أصلى بهذا أمامهم، ليكون لهم الفرح والثقة فى استمرار الرعاية الإلهية لهم، أمام ما سوف يأتى به العالم عليهم من ضيق واضطهاد.

"**ابن الهلاك**": إشارة واضحة ليهوذا. وأسماه الرب بهذا الاسم، لتوضيح إرادة يهوذا الشريرة، أنه هو من استحق الهلاك، و لم يستفد من رعاية المسيح الحافظة لباقى التلاميذ.

"**ليتم الكتاب**": كما ذَكَرَتْ النبوات فى الكتاب المقدس (مز 41: 9؛ 109: 8) عن خيانة يهوذا، ورفض الله له.

ع14: علّم المسيح تلاميذه وكنيسته كلام الله السامى عن أفكار العالم، والذى يكشف أخطاءه. لذلك يبغض العالم كل أولاد الله المتمسكين بالحياة الطاهرة النقية، كما أبغض أيضا المسيح من قبلهم.

✞*وما يعزينا هنا، هو ما ذكره القديس بولس: "وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يُضطهدون" (2 تى 3: 12).*

ع15-16: حيث أن العالم يبغض أولاد الله، فليس الحل أن يرفعهم المسيح معه إلى السماء، بل أن يحفظهم ويقوّيهم فى مواجهة الشر والشرير. ويعطى المسيح تشجيعا لأولاد الله، إذ يؤكد نَسَبَهم الروحى لله، وليس للعالم.

ع17-19: يسأل المسيح فى صلاته أن يثبت التلاميذ فى كل كلامه - الحق - الذى سمعوه منه. وكما أن المسيح خصص - قدّس - نفسه لتعليمهم وفدائهم، يأتى الدور عليهم أيضا ليخصَّصوا، كسيدهم، فى الإرسال إلى العالم، والكرازة بالفداء وملكوت السماوات.

(3) الصلاة من أجل الكنيسة (ع 20-26):

20- "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم. 21- ليكون الجميع واحدا، كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضا واحدا فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى. 22- وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى، ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد. 23- أنا فيهم وأنت فىَّ ليكونوا مُكَمَّلِينَ إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتنى، وأحببتهم كما أحببتنى. 24- أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى، لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم. 25- أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. 26- وعرّفتهم اسمك، وسأعرّفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم."

ع20: فى صلاته هنا، يتجاوز السيد المسيح التلاميذ إلى الكنيسة كلها فى كل عصورها.

ع**21:** "**ليكون الجميع واحدا**": أليس دم الفداء واحد؟ أليس المعلم واحد؟ أليس ماء المعمودية واحد؟ فالطبيعى إذن أن نكون واحـــدا، ليس فى الشـــكل أو الظاهـــر، لكن فى الفكر والمحبة القلبية، عـــلى مثـــال الوحـــدانية بين الابن والآب، ليس فى الجوهـــر، ولكن فى المحبة قـــدر ما نستطيع بحسب طبيعتنا البشرية.

ع**22:** "**أعطيتهم المجد**": المجد هنا، يشرحه القديس ذهبى الفم بأنه السلطان والمواهب، ومشاركة المسيح فى العمل الخلاصى بالكرازة. والهدف من إعطاء هذا المجد، هو الوحدانية أيضا.

☩ *وكما أن مجد الآب والابن واحد لأنهما واحد، أعطانا المسيح هذا المجد للغرض نفسه، أى وحدانية أعضاء وبناء الكنيسة.*

ع**23:** يرتفع المسيح لأعلى مستويات الوحدانية، مقدما حقيقة لاهوتية روحية رائعة، شارحا إياها هكذا: أنا فيهم ببشريتى وتجسدى وذبحى عنهم، وأنت فىّ بملء لاهوتك وأنا فيك. فالمسيح جمع وصالح الآب بالبشرية فى شخصه المبارك، ففى المسيح اتحدت البشرية بالله، والسماء بالأرض، وصار المسيح شفيعا ووسيطا كفاريا، مما جعل حب الآب للبشر امتدادا لحبه لابنه الوحيد.

☩ *بخضوعنا لوصايا الله نصير واحدا فيه.*

تعقيب:

تُظهر الأعداد (20-23) اهتمام الله بالوحدانية فى كنيسته. ولكن إبليس استطاع أن يقسّم الكنيسة عن طريق الكبرياء. والحل هو الاتضاع للوصول إلى الوحدانية، مع التمسك بالإيمان المسلَّم من المسيح والرسل.

ع**24:** كانت الطِلْبَة الأولى هى تقديسهم، والثانية هى وحدتهم سويا واتحادهم به. أما هذه الطِلْبَة الثالثة فهى دوام الوجود معه، وهى أعلى أشواق حب المسيح التى يعلنها. ولهذا، استخدم السيد هنا لفظ "**أريد**"، وليس "أسأل"؛ فالسؤال هو طلب. لكن "**أريد**"، تضيف بُعد المشاعر، والارتباط، والرعاية الحقيقية فى وجود أولاده جميعا معه فى حضنه. وكما اشتركوا فى حمل صليب الاضطهاد وتعب الكرازة، يكون لهم أيضا شركة المجد الذى للابن (1 كو 12: 26).

"**قبل إنشاء العالم**": توضح أزلية الابن (راجع ص 1: 1).

ع25-26: "**العالم لم يعرفك**": فى العالم كله، كانت الوثنية هى السائدة. وفى إسرائيل، كانت المعرفة نظرية وحرفية، دون الدخول إلى عمق معرفة الله. أما معرفة المسيح بالآب، فهى أزلية كيانية. وصارت معرفة الآب متاحة لنا جميعا من خلال ابنه الوحيد. وأشار المسيح هنا إلى إيمان التلاميذ، بقبولهم الابن الذى هو الخطوة الأولى فى معرفة الآب التى بدأت، وسيكملها المسيح بعد القيامة، بشرحه الأمور الخاصة بالملكوت. والروح القدس يكمل تعريفنا بالآب غير المحدود، فتنمو محبتنا له؛ وبهذا يثبت المسيح فى قلوبنا.

✝ *أشكرك يا إلهى على محبتك العظيمة، التى لم أدرك منها إلا القليل، فأعطنى أن أتجاوب مع حبك، فينعكس حبا لكل من حولى.*



الأَصْحَاحُ الثَّامِنُ عَشَرَ

القبض على يسوع ومحاكمته

η E η

(1) القبض على يسوع (ع 1-12):

1- قال يسوع هذا، وخرج مع تلاميذه إلى عَبْرِ وادى قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه. 2- وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع، لأن يسوع اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه. 3- فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح. 4- فخرج يسوع، وهو عالم بكل ما يأتى عليه، وقال لهم: "من تطلبون؟" 5- أجابوه: "يسوع الناصرى." قال لهم يسوع: "أنا هو." وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم. 6- فلما قال لهم إنى أنا هو، رجعوا إلى الوراء، وسقطوا على الأرض. 7- فسألهم أيضا: "من تطلبون؟" فقالوا: "يسوع الناصرى." 8- أجاب يسوع: "قد قلت لكم إنى أنا هو. فإن كنتم تطلبوننى، فدعوا هؤلاء يذهبون." 9- ليتم القول الذى قاله، إن الذين أعطيتنى لم أُهلك منهم أحدا. 10- ثم إن سِمعان بطرس كان معه سيف، فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة، فقطع أذنه اليمنى؛ وكان اسم العبد مَلْخُسَ. 11- فقال يسوع لبطرس: "اجعل سيفك فى الغِمْدِ، الكأس التى أعطانى الآب، ألا أشربها؟" 12- ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود، قبضوا على يسوع وأوثقوه.

ع1: انتهى الحديث الختامى الفصحى الذى شغل الأصحاحات 14، 15، 16، وكذلك صلاة الرب يسوع إلى الآب فى (ص17)، وبدأت أحداث المشهد الأخير فى حياة الرب يسوع على الأرض، بخروجه إلى بستان جَثْسَيْمَانِى فى وادى قدرون شرق أورشليم ناحية جبل الزيتون، وصحب معه تلاميذه.

ع2-3: نلاحظ أن القديس يوحنا لم يذكر تفاصيل اتفاق يهوذا مع الكهنة، أو ثمن تسليم الرب، مكتفيا بما جاء فى البشائر الثلاث الأخرى، مشيرا إلى معرفة يهوذا للمكان الذى جمع المسيح مع التلاميذ فى خلوات عديدة، ويصور أيضا مشهد خروج الجمع للقبض على الرب يسوع.

ع4-6: "**خرج... عالم...**": أى ذهب للموت بنفسه لمواجهته، و لم يدخلوا هم إليه. وأشار القديس يوحنا لعلم المسيح بإشارة جديدة لتأكيد لاهوته، وسألهم عن مرادهم الذى يعرفه جيدا، فإجابة السيد المسيح "**أنا هو**"، توضح لنا رد فعل مملكة الظلمة بأكملها أمام الله وكلمته، فهم جنود وخدام وجموع، والمسيح وحده، ومع هذا، تراجعوا وسقطوا، وكأن المسيح يقول ليس لكم أن تقبضوا علىَّ، ما لم أسلِّم أنا لكم ذاتى للموت.

ع7-9: أعاد المسيح السؤال، وأعادوا نفس الإجابة، فقدّم نفسه هذه المرة لِما أتى من أجله، و لم يَفُتْهُ أن يفتدى تلاميذه، بل طلب إطلاقهم. ويشير القديس يوحنا إلى ما سبق وقاله السيد المسيح فى (ص 17: 12) فى صلاته للآب، بألا يهلك منهم أحد.

ع10: راجع (مت 26: 51؛ مر 14: 47؛ لو 22: 50)، ولكن لاحظ أن القديس يوحنا ذكر اسم بطرس واسم العبد، وهما لم يذكرا فى البشائر الثلاث الأخرى.

ع11: راجع (مت 26: 52 و54)، ولاحظ أن السيد المسيح رفض الأسلوب البشرى الانفعالى الذى قام به بطرس، موضحا أن هناك عملا أعظم يجب على المسيح إنجازه، وهو قبول كأس الألم، أى إتمام الفداء على الصليب.

ع12: "**الجند والقائد**": أى الرومان. وبالرغم من أنهم مع خدام اليهود يمثلون جماعة، والمسيح كان وحيدا، إلا أنهم أوثقوه، ربما خوفا من هروبه فى الظلام، أو إمعانا فى وضعه فى شكل المتهم المذنب، إذ كان الحقد أخذ منهم نصيبا. وفى وثق المسيح أيضا تطابق مع قصة إسحاق، الذى أوثقه إبراهيم ليقدمه ذبيحة.

☩ *يا جابل الخليقة كلها وفاديها ومحررها، أوثقوك طوعا، وأنت القادر أن تأمر جيوش الملائكة... أىّ حب هذا أن يطلَق المذنب حرا ويؤخذ البرئ موثقا... افهمى يا نفسى، ويا ليتك تفهمين.*

(2) مقابلة حنّان وإنكار بطرس (ع 13-27):

13- ومضوا به إلى حنّان أولا، لأنه كان حما قَيَافَا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة. 14- وكان قَيَافَا هو الذى أشار على اليهود، أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب. 15- وكان سِمعان بطرس والتلميذ الآخر يتبعان يسوع، وكان ذلك التلميذ معروفا عند

رئيس الكهنة، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة. 16- وأما بطرس، فكان واقفا عند الباب خارجا، فخـــرج التلميذ الآخـــر الـــذى كان معروفـــا عند رئيس الكهنة، وكلم البوابة، فأدخـــل بطرس. 17- فقالت الجارية البوابة لبطرس: "ألست أنت أيضا من تلاميذ هذا الإنسان؟" قال ذاك: "لست أنا." 18- وكان العبيد والخدام واقفين، وهم قد أضرموا جمرا لأنه كان برد، وكانوا يصطلون، وكان بطرس واقفا معهم يصطلى. 19- فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. 20- أجابه يسوع: "أنا كلمت العالم علانية، أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما، وفى الخفاء لم أتكلم بشىء. 21- لماذا تسألنى أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم، هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا." 22- ولما قال هذا، لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا، قائلا: "أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟!" 23- أجابه يسوع: "إن كنت قد تكلمت رديًّا، فاشهد على الردىِّ، وإن حسنا، فلماذا تضربنى؟" 24- وكان حنّان قد أرسله موثقا إلى قَيَافَا رئيس الكهنة. 25- وسِمعان بطرس كان واقفا يصطلى، فقالوا له: "ألست أنت أيضا من تلاميذه؟" فأنكر ذاك وقال: "لست أنا." 26- قال واحد من عبيد رئيس الكهنة، وهو نسيب الذى قطع بطرس أذنه: "أما رأيتك أنا معه فى البستان؟" 27- فأنكر بطرس أيضا؛ وللوقت صاح الديك.

ع13-14: كان قَيَافَا رئيسا للكهنة، وكان حماه حنّان رئيسا أيضا أسبق للكهنة، ويحتفظ كل رئيس كهنة بعد مدة رئاسته بلقبه. والمقابلة مع حنّان لم يذكرها سوى يوحنا، أما باقى البشائر، فاكتفت بذكر اللقاء مع قَيَافَا. ويذهب البعض أن اللقاء بحنّان كان لقاءً عابرا فى الطريق إلى قَيَافَا، ولكن حَرِصَ الخدام على هذا اللقاء السريع بحنّان لكبر سنه، وتقدمه فى الكرامة كرئيس كهنة سابق. أما قَيَافَا، صهره، فقد أراد القديس يوحنا أن يذكّرنا به، فهو صاحب الرأى بأن يموت إنسان عن الشعب (ص 11: 49 و50)؛ وهذه الإشارة لها أهميتها فى توضيح أن المحاكمة اليهودية صورية، وأن القرار بموت الرب يسوع كان مُبَيّتا.

ع15-18: لم يشر يوحنا إلى هروب التلاميذ كما فعل متى (26: 56)، ولكنه اكتفى بأن يذكر أنه، مع بطرس، تبعا يسوع. ولعلاقة يوحنا بالوسط الكهنوتى، استطاع أن يدخل داخل البيت. أما بطرس فوقف خارجا إلى أن أدخله. ولكن، قبل إدخاله، إذ وقف بطرس مع الخدام والحراس يستدفئون خارجا، يذكر القديس يوحنا حادثة إنكار بطرس الأولى أمام الجارية التى سألته، فأنكر بسبب خوفه أمام الجمع.

ع19-21: السائل هنا هو حنّان، والغرض من السؤال أنه ربما يجد شكاية على المسيح يقدمها إلى قَيَافَا والمجلس من بعده. وكان موضوع السؤال عن تعاليم المسيح للجموع، وعن تعاليمه الخاصة لتلاميذه. أما إجابة يسوع، فجاءت مبددة تماما لآمال حنّان، فهو لم يعلّم شيئا سرا أو فى الخفاء، فكل تعاليمه سمعها الجميع، سواء فى الهيكل أو المجامع أو الأماكن الأخرى. ولهذا أيضا، يرد المسيح بسؤال: **"لماذا تسألنى أنا؟!"**، اسأل بالحرى كل الجموع التى سمعتنى!

ع22-23: احتد أحد الخدام، معتبرا أنها إجابة غير لائقة، فلطمت يد الأثيم وجه البار، وكانت هذه اللطمة تحمل مجاملة لرئيس الكهنة على حساب الحق والعدل. ولهذا، علّق السيد المسيح، موبخا من لطمه، فالمسيح لم يخطئ فى حق رئيس الكهنة بحسب ناموس موسى (خر 22: 28): فلماذا لطمتنى؟! أى أنك صرت أنت أيها العبد الشرير كاسرا للشريعة التى لم أكسرها أنا...

✝ *وفى هذا النص دروس مستفادة:*

الأول: *ماذا احتمل المسيح من أجل خلاصى أنا؟ فها هوذا الإله قد صار مشهدا لكل متشفٍ، ملطوما من يد الخادم. فهل أحتمل أنا إساءة الناس لى؟!*

الثانى: *أنه لا مانع من أن يوضح المظلوم للظالم بيان ظلمه عليه، حتى يبيّن له أى شئ هو واقع فيه، طالما كان ذلك بحُلم ومحبة.*

وفى هذا الصدد، كتب القديس أغسطينوس تأملا رائعا عن هذه اللطمة، إذ يقول: "إن المسيح لم يحوّل خده الآخر فقط للطم، بل سلم جسده كله للصلب، ليتم بذلك أكثر مما علّم به فى (مت 5: 39).

ع24: كانت المحاكمة أمام قَيَافَا، هى المحاكمة الرسمية اليهودية للمسيح. ومع هذا، لم يركز عليها يوحنا، مكتفيا بما أورده كل من متى ومرقس فى تفاصيلها. لكنه ذكر ما لم يذكره الاثنان عن المقابلة الأولى مع حنّان، ثم أشار إلى قَيَافَا، وتعدّاه، عابرا بالمسيح إلى المحاكمة الرومانية الرسمية أمام بيلاطس.

ع25-27: يذكر القديس يوحنا هنا الإنكارين الثانى والثالث لبطرس، وحادثة صياح الديك، وقد كان عرضه أكثر تفصيلا، فقد أبرز الإنكار الأول عند حنّان، والثانى والثالث

عند قَيَافَا. أما كل من متى (26: 69-73) ومرقس (14: 66-71) ولوقا (22: 55-62)، فقــد أجملــوا الإنكارات الثلاثة بعــد المحاكمة، حتى لا يقطعوا الكلام، ويظل حوار المحاكمة متصلا.

ويلاحظ أيضا أن القديس يوحنا لم يذكر هنا أقسام بطرس بالنفى، أو نظر المسيح إليه، أو بكائه المر وتوبته كما جاء فى البشائر الثلاث الأخرى.

☩ *يتعجب الكثيرون كيف أنكرك بطرس بعد هذه السنوات، وما رآه وسمعه فيها...؟!*
ولكن، لعل كان لبطرس عذرا أمام خوفه، وعدم استعلان لاهوتك بقيامتك، أو حلول الروح القدس عليه. فما عذر الكثيرون اليوم، الذين يعلنون بألسنتهم إيمانهم وتبعيتهم. أما بقلوبهم وأعمالهم، ينكرونك، ويصيروا سببا لتجديف الآخرين على اسمك؟! نعم يا إلهى... سامحنا وارحمنا؛ فما أحوجنا لدموع بطرس المُرّة.

(3) بدء المحاكمة أمام بيلاطس (ع 28-40):

28- ثم جاءوا بيسوع من عند قَيَافَا إلى دار الولاية، وكان صبح، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية، لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح. 29- فخرج بيلاطس إليهم، وقال: "أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان؟" 30- أجابوا وقالوا له: "لو لم يكن فاعل شــر، لما كــنا قد سلمــناه إليك." 31- فقال لهم بيلاطس: "خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم." فقال له اليهود: "لا يجوز لنا أن نقتل أحدا." 32- ليتم قول يسوع الذى قاله مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت. 33- ثم دخل بيلاطس أيضــا إلى دار الولاية، ودعا يســوع وقال له: "أنت ملك اليهود؟" 34- أجابه يسوع: "أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عنى؟" 35- أجابه بيلاطس: "أَلَعَلِّى أنا يهودى؟! أمّتك ورؤســاء الكهنة أســلموك إلىَّ. ماذا فعلت؟" 36- أجاب يســوع: "مملكتى ليســت من هــذا العالم، لو كانت مملكتى من هذا العالم، لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن، ليست مملكتى من هنا." 37- فقال له بيلاطس: "أفأنت إذًا ملك؟" أجاب يسوع: "أنت تقول إنى ملك. لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم، لأشهد للحق، كل مَن هو مِن الحق يسمع صوتى." 38- قال له بيلاطس: "ما هو الحق؟" ولما قــال هــذا، خــرج أيضــا إلى اليهــود وقــال لهم: "أنا لست أجــد فيه علة واحــدة. 39- ولكم عــادة أن أطلق لكم واحــدا فى الفصح؛ أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟" 40- فصرخوا أيضا جميعهم قائلين: "ليس هذا، بل باراباس." وكان باراباس لصا.

ع28-29: كما قلنا، لم يذكر القديس يوحنا تفاصيل محاكمة المسيح أمام قَيَافَا، والتى أعلن فيها بوضوح أنه المسيح ابن الله، والذى اعتبره اليهود تجديفا (مت 26: 65؛ مر 14: 64؛ لو 22: 71). ولم يذكر أيضا اجتماع الرؤساء صباحا - مجلس اليهود - وأخْذ القرار، بل نقلنا مباشرة إلى المحاكمة أمام بيلاطس.

"**دار الولاية**": مبنى بناه هيرودس الكبير، مخصص لنزول وإقامة الوالى الرومانى أثناء زياراته لأورشليم. واعتُبرت عند اليهود نجسة، لأنها من ديار الأمم، ولهذا لم يدخلوها، بل خرج بيلاطس إليهم فى الساحة التى أمام الدار، وسألهم عن سبب تجمهرهم، وسبب شكواهم على الرب يسوع.

"**فيأكلون الفصح**": أى استمرارية احتفالات الفصح. ولكن، ما نتعجب له حقا، هو تمسك قادة اليهود بالطهارة الجسدية الشكلية، بينما قلوبهم أضمرت تسليم دما طاهرا بريئا؟!

ع30-31: لم يقدم رؤساء اليهود اتهاما على الرب يسوع، بل أرادوا قرارا بموته فحسب، ولهذا قالوا لبيلاطس: "**لو لم يكن فاعل شر.**"

أى أننا حققنا وتأكدنا من وجوب موته، وما عليك سوى القرار، أى الأمر بصلبه، وهو ما ليس لنا سلطان عليه كيهود، بل من سلطانك أنت وحدك (كان الصلب من سلطان الحاكم الرومانى). ولكن، يلاحظ تمهل بيلاطس، وعدم الاندفاع وراء رأيهم.

ع32: "**ليتم**": أى ما تنبأ به المسيح، له المجد، بأن موته سيكون بواسطة الصليب كما جاء صراحة فى (مت 20: 19)، وضمنا فى (مر10: 21؛ لو 9: 23، 14: 27)، وذلك لأنه لو حكم اليهود على المسيح دون بيلاطس، لكان موته رجما بالحجارة. ولكن، كل ما تنبأ به المسيح، كان ينبغى أن يتم بالحرف الواحد. ولهذا، سعى اليهود بحقدهم إلى بيلاطس ليصلبه، وهم لا يعلمون أنهم بهذا يتممون المشيئة الإلهية العليا.

ع33-34: انفرد بيلاطس بالمسيح، وسأله عما أثير من الكهنة وخدامهم، فى ادعاء المسيح عن نفسه أنه ملك اليهود، عالمين أن مثل هذا الاتهام وحده كافٍ لصلب المسيح، فالمُلك لقيصر وحده، وأية محاولة لنسب المُلك لغيره، تعتبر تمردا وانقلابا. إلا أن المسيح لم يُجِبْ، بل رد بسؤال جديد، يعتبر تحذيرا وإيقاظا لضمير بيلاطس. ومعنى سؤال المسيح: هل هذا رأيك، أم أنك تردد الوشايات التى أبلغك بها هؤلاء عنى، حتى تجد سببا تحاكمنى عليه؟

ع35: "**أَلَعَلِّى أنا يهودى؟!**": سؤال استنكارى، يوضح فيه بيلاطس موقفه بأنه لا يعتبر المسيح ملكا، فهو ليس بيهــودى؛ وكأنه يقول: لا شأن لى بكل هذا، فهذه أقوال اليهود. ويرى البعض أن القــول: "**أَلَعَلِّى أنا يهودى؟!**" تعنى استنكارا واستنفارا من الكبرياء الرومانى نحو أمة اليهود فى أن يكون له ملكا سوى قيصر، ملك العالم القديم كله. ويستكمل بيلاطس استفساره من المسيح بخبرته كمحقق: "**ماذا فعلت؟**"، خاصة وأن كل الأمة اليهودية – أى الجماهير الكثيرة خارج دار الولاية – قد أسلمتك مشتكية عليك؟!

ع36: يدفع المسيح عن نفسه ما ألصقه به رؤساء الكهنة من اتهام.

✝ *ولكن هذا الدفاع ليس الغرض منه إبعاد الصليب الذى أتى وتجسد من أجله، بل ليعلّمنا جميعا قانونا ودستورا روحيا. فإذا كان المسيح ملكنا يعلن لنا أنه لا ينتمى إلى هذا العالم، بل له ملكوتا آخر سمائيا أبديا، فكيف يكون إذن حال رعاياه، سوى ارتفاعهم أيضا عن هذا العالم بكل شهواته، بل يقولون، كما قال المسيح قبلا: "نحن من فوق، ولسنا من هذا العالم" (راجع ص 8: 23)، ولا يسود علينا العالم فى شئ، بل نبغى ملكوت إلهنا السمائى.*

ويضيف المســيح قرينــة لكلامه، أنه لو كان ملكا أرضيا، لاهتــم أن يــكون له خــداما – حراسا – يدافعون عنه، فلا يمسكه اليهود، بل على العكس تماما، طلب أن يسلم نفسه بوداعة فى مقابل إطلاق التلاميذ.

ع37: "**أفا أنت إذًا ملك؟**": سؤال يعبر عن الحيرة والتعجب. فالمسيح يعلن أنه ملك، وينكر الملكوت الأرضى الذى يفهمه بيلاطس. أما إجابته، فجاءت مؤكدة للمعنى الروحى لملكوته، فهو لم ينكر كونه ملكا، بل يضيف أنه تجسد ليفدى البشرية، ويملك على قلبها.

"**كل من هو من الحق**": أى كل من قبل كلامى، وعمل الروح القدس بداخله، أو كل من هو خاضع لله الذى هو الحق، وعرف المسيح كما تعرف الخراف صوت الراعى وتتبعه (ص 10: 4).

ع38: "**ما هو الحق؟**": لم يفهم بيلاطس الكلام الذى قاله المسيح. ولهذا، سأل سؤلا، ولم ينتظر حتى يسمع إجابته، وكأنه فى الحقيقة غير مهتم بأن يفهم... ولكنه كان مجرد سؤال. ومما لا شك فيه، لم يجد بيلاطس فى المسيح علة تستوجب الموت. ولهذا، خرج ثانية لليهود المنتظرين بالخارج، معلنا حكم البراءة الأولى بأنه ليس فيه علة واحدة. ولعل الله جعل بيلاطس ينطق بهذه

الجملة بالذات لبيان شئ واحد، فالمسيح هو الفصح الحقيقى الذى بلا عيب واحد، وهو ذبيحة الإثم التى افتضت أيضا أن تكون بلا عيب... فما نطق به بيلاطس، ما هو إلا تأكيد لكمال ذبيحة المسيح المقدمة.

ع39-40: أخطأ بيلاطس عندما تخلى عن مهام منصبه، كقاضٍ للحق، فى إطلاق من رآه بريئا، بل تنازل عن سلطانه فى القضاء، وأعطى الحق فى الاختيار للشعب، وهو ما لم يُسمع عنه، واعتقد أن إعلانه براءة المسيح، يعفيه من المسئولية التى تركها للشعب. ولعله اعتقد أنه يفتح باب الاختيار، سيطلبون إطلاق من ليس علة فيه، ولكن المفاجأة كانت فى طلبهم إطلاق من هو معلوم عنه أنه لص وصاحب فتنة.

☩ *عجبا لشعب أطلق لصا وصلب بارا!!*

إن خطأ بيلاطس الفاحش، يعطى لنا جميعا درسا فى الشهادة للحق. فقد يساوم السياسيون، أو يعقدوا الصفقات، وتصير حدود الحق واسعة جدا. أما أبناء الله فليسوا كذلك، بل الحق هو الحق، فإن "مُبَرِّئُ المذنب ومذَنِّب البرئ، كلاهما مكرهة الرب" (أم 17: 15).



الأَصْحَاحُ التَّاسِعُ عَشَرَ

صلب المسيح وموته ودفنه

η E η

(1) استمرار المحاكمة أمام بيلاطس (ع 1 - 16):

1- فحينئذ، أخذ بيلاطس يسوع وجلده. 2- وضفر العسكر إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه، وألبسوه ثوب أرجوان. 3- وكانوا يقولون: "السلام يا ملك اليهود." وكانوا يلطمونه. 4- فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم: "ها أنا أخرجه إليكم، لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة." 5- فخرج يسوع خارجا، وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان. فقال لهم بيلاطس: "هوذا الإنسان." 6- فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام، صرخوا قائلين: "اصْلِبْهُ... اصلبه." قال لهم بيلاطس: "خذوه أنتم واصلبوه، لأنى لست أجد فيه علة." 7- أجابه اليهود: "لنا ناموس، وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله." 8- فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا. 9- فدخل أيضا إلى دار الولاية، وقال ليسوع: "من أين أنت؟" وأما يسوع فلم يعطه جوابا. 10- فقال له بيلاطس: "أما تكلمنى، ألست تعلم أن لى سلطانا أن أصلبك، وسلطانا أن أطلقك؟" 11- أجاب يسوع: "لم يكن لك علىَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق. لذلك، الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم." 12- من هذا الوقت، كان بيلاطس يطلب أن يطلقه. ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: "إن أطلقت هذا، فلست محبا لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكا، يقاوم قيصر." 13- فلما سمع بيلاطس هذا القول، أخرج يسوع، وجلس على كرسى الولاية فى موضع يقال له البلاط، وبالعبرانية جَبَّاثَا. 14- وكان استعداد الفصح، ونحو الساعة السادسة. فقال لليهود: "هوذا ملككم." 15- فصرخوا: "خذه... خذه... اصلبه." قال لهم بيلاطس: "أأصلِب ملككم؟" أجاب رؤساء الكهنة: "ليس لنا ملك إلا قيصر." 16- فحينئذ، أسلمه إليهم ليصلب. فأخذوا يسوع ومضوا به.

ع1-4: تأرجح بيلاطس بين صوت الحق (الضمير)، وبين ضعف اليهود وشراسة ندائهم بصلب المسيح، فأسلمه أولا للجلد لعله يهدئ من ثورة اليهود؛ ويؤكد القديس لوقا هذا فى (23: 16): "أنا أؤدبه ثم أطلقه". وقد أورد كل من متى ومرقس الجلد والصلب معا (مت 27: 26؛ مر 15: 15)، ولكن القديس يوحنا فصل بينهما، وكذلك محاولات بيلاطس الضعيفة لتبرئة

المسيح. وينتقل القديس يوحنا لمنظر استهزاء الجند الرومان بالمسيح أثناء الجلد، فسخروا منه وألبسوه ثوب يمثل فى لونه ثياب الملوك، وكذلك ضفروا إكليلاً من شوك وتوجوه به (راجع إش 53: 5).

"**كانوا يلطمونه**": ويضيف متى (27: 30) ضربوه على رأسه، ولا نعتقد أن هناك لسان أو كاتب يستطيع أن يصف أو يعبّر عن هذا المشهد الأثيم...

✝ *ولكن نكتفى بسؤال رب المجد: لماذا يا إلهى احتملت يد الخطاة الأثمة تمتد على وجهك البار القدّوس، وكيف يحدث هذا؟!*

فتأتى إجابته: من أجل خلاصك يا بنى!!!

وفى محاولة لتبرئة ضميره، يخرج بيلاطس ويعلن مرة ثانية براءة المسيح، ولكنه إعلان دون الحكم بذلك.

ع5-6: أخرج بيلاطس يسوع بعد الجلد، وهو لابس الأرجوان وعلى رأسه الشوك، فى محاولة أخيرة يتلمس بها عطف اليهود فيطلق المسيح. ولكنهم ازدادوا قساوة وطالبوا بصلبه، فشهد بيلاطس شهادته الثالثة ببراءة يسوع (راجع ص 18: 38، ص 19: 4-6). وفى محاولة تنبيه اليهود، أراد بيلاطس إخلاء يده من المسئولية، فقال لهم: "**خذوه أنتم واصلبوه**" دون إشراكى فى جريمتكم.

ع7: قدم اليهود اتهامهم الأول بأن المسيح فاعل شر (ص 18: 30)، وعند فشلهم، قدموا الاتهام الثانى بأنه خائن لقيصر، ودفع المسيح هذا الاتهام عنه عندما أجاب بأن مملكته ليست من هذا العالم (ص 8: 36). وهنا، أتى اليهود باتهام ثالث بأنه مجدف على الناموس، أى دينهم، وبحسب ذلك يجب أن يموت، وبهذا يبطلون دفاع بيلاطس عن المسيح فى أنه لا يجد فيه علة.

ع8: وقد ارتعب بيلاطس عند ذكر اليهود أن المسيح "**ابن الله**"، ولنا أن نفهم، فهو مرعوب لإصدار حكم على برئ لا يدينه فى شئ، ولكنه يشعر بمكيدة وقسوة اليهود اللتين تقودانه فى تيار الحكم عليه، ومرعوب أيضا لكلمة "**ابن الله**"، إذ كان الرومان واليونانيون يعتقدون فى إمكانية ظهور الآلهة وتجسدهم أو التناسل منهم... ولعل المسيح أحد أبناء الآلهة، فهل يوقع بيلاطس نفسه فى خصومة مع الآلهة؟ نضيف إلى ذلك أيضا سببا لرعبه، وهو الحلم الذى حلمته زوجته وأخبرته به، قائلة له: "إياك وذاك البار" (مت 27: 19).

ع9-11: فى محاولة للانتصار على رعبه وخوفه، أخذ بيلاطس يسوع إلى داخل ليستفسر منه: "**من أين أنت؟**"، هل من السماء؟! هل أنت ابن للآلهة كما سمعت؟! وعدم إجابة المسيح هى قناعة شخصه المبارك بأن ما يقوله لن يغير من الوضع شئ، وكان كافيا على بيلاطس ما سمعه منه لتبرئته. ولدفع المسيح للكلام، هدده بيلاطس بسلطانه أن يقتله أو يطلقه.

فجاءت إجابة المسيح القوية والتى أرعبت بيلاطس: "ليس لك سلطان علىّ أبدا ما لم يكن أبى سمح لك بذلك." فالصلب إذن هو إرادة الآب وموافقة وخضوع الابن، وليس لسلطان أرضى أو زمنى أن يتحكم فيه، وفى نفس الوقت، لم يَعْفِ بيلاطس من المسئولية لأنه متردد وسلبى، ولم يعلن براءته. ولكن الذى أسلمنى أى يهوذا واليهود – حسدا – خطيتهم أعظم من خطيتك؛ ولعل سبب تخفيف خطية بيلاطس أنه أممى لا يعرف الكتب ولا المواعيد كما يعرفها هؤلاء.

ع12: لا نعرف كيف كان بيلاطس يطلب أن يطلق المسيح، هل بأحاديث مع الجمع أو بعض رؤساء الكهنة؟ ولكن، من المؤكد أن رعبه وحيرته زادا أمام ضميره وفحصه ليسوع من جهة، وأمام صراخ اليهود وتهديدهم من جهة أخرى، فهددوه بما لم يكن فى حسابه، وهو أنه إن أطلق من يدعى أنه مَلك لليهود، فإنه يوافق ضمنا على وجود ملك بخلاف قيصر، وهذا ما لا نرتضيه نحن، ويجعلك أيضا خائنا لقيصر. ونجح اليهود بذلك فى إدخال نوع جديد من الخوف على قلبه، وهو الخوف على المنصب السياسى ومعاداته لقيصر نفسه.

ع13: أخرج بيلاطس الرب يسوع من دار الولاية إلى الساحة حيث ينتظر اليهود، وجلس على كرسيه الذى يستخدمه الولاه الرومان عند إصدار أحكامهم. ويضيف القديس يوحنا، لإشراكنا فى المشهد، مكان ووضع الكرسى، فهو كان على ربوة مرتفعة (جباثا) بالنسبة للساحة التى تجمع فيها اليهود، ويقال لها أيضا (البلاط) لأنه كان مبلطا برخام ومرمر.

ع14: واذ اقترب من الساعة السادسة، ولم يبق إلا ثلاث ساعات على تقديم الفصح (فى التاسعة)، كان لزاما على بيلاطس أن يأخذ قرارا بالنسبة للمسيح، فحاول للمرة الأخيرة التخلص من القرار وترك اليهود يحكمون عليه قائلا: "**هوذا ملككم**".

ع15-16: استفز قول بيلاطس "**هوذا ملككم**" اليهود وازدادت عصبيتهم، وأجابوه: "خذه أنت، لماذا تعطينا إياه؟ خذه واصلبه." وعندما سألهم: "**أأصلِب ملككم؟**" صرخوا: "**ليس لنا ملك إلا قيصر.**" وهذا إنكار وتنازل... فاليهود يعلمون أنهم ليس لهم ملك سوى الله، وأن الرومان يحتلونهم، وكانوا ينتظرون الخلاص منهم.

أما أن يُصَرِّحُوا الآن بأن ملكهم هو قيصر، فهم بذلك مثل للإنسان الذى يغيّر كل مبادئه فى لحظة من أجل خبث فى قلبه، وبذلك طبقوا مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". وجاءت نهاية مشهد المحاكمة الهزيلة بخضوع من خاف على مركزه من الشعب، فواحد يموت حتى لو كان بريئا لأنجو أنا بنفسى؛ ويا له من مبدأ!!!

☩ *أيها القارئ الحبيب، من السهل علينا هنا أن ننتقد بيلاطس على سوء استخدام سلطانه، وكذلك خوفه وجبنه. ولكن، فى مواقف أخرى فى حياتنا اليومية، ألعلنا نكذب لننجو من فعلة نستحق عليها توبيخا، أو نتهرب من مسئولية إعلان الحق، محاولين نفض أيدينا وإلقاء المسئولية على آخرين كما صنع بيلاطس، أو نفعل مثل اليهود؛ نجد تبريرا لشرورنا نخدّر به ضمائرنا؟! ارحمنا يا رب.*

(2) رحلة الصلب (ع 17- 24):

17- فخـــرج وهو حامل صليبه إلى الموضـــع الذى يقال له موضع الجمجمة، ويقال له بالعبرانية جلجثة. 18- حيث صلبوه، وصلبوا اثنين آخريْن معه من هنا ومن هنا، ويسوع فى الوسط. 19- وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب؛ وكان مكتوبا: "يسوع الناصرى، ملك اليهود." 20- فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود، لأن المكان الذى صلب فيه يسوع كان قريبا من المدينة؛ وكان مكتوبا بالعبرانية واليونانية واللاتينية. 21- فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: "لا تكتب ملك اليهـــود، بـــل إن ذاك قال، أنا ملك اليهـــود." 22- أجاب بيلاطس: "ما كتبت قد كتبت." 23- ثم إن العسكر، لما كانوا قد صلبوا يسوع، أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام، لكل عسكرى قسما. وأخذوا القميص أيضا، وكان القميص بغير خياطة، منسوجا كله من فوق. 24- فقال بعضهم لبعض: "لا نشقه، بل نقترع عليه لمن يكون." ليتم الكتاب القائل: "اقتسموا ثيابى بينهم، وعلى لباسى ألقوا قرعة." هذا فعله العسكر.

ع17: أى من دار الولاية أولا، ثم من أورشليم ثانيا، ليصلب خارج المحلة (الجلجثة). ويتأمل فى ذلك القديس بولس: "لذلك يسوع أيضا، لكى يقدّس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب، فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب 13: 12- 13).

✝ *ولتلاحظ أيها القارئ العزيز أن كنيستنا، فى إبراز هذا المعنى الروحى، راعت فى طقس أسبوع الآلام ترك الهيكل وخورس الشمامسة، والصلاة فى صحن الكنيسة، للخروج مع المسيح خارج أورشليم.*

"**جمجمة – جلجثة**": كان التقليد الموروث عند اليهود يقول أنها المكان الذى دُفنت فيه جمجمة آدم. أما العلماء فيصفونها أنها ربوة متوسطة الارتفاع، شكلها الصخرى يشبه الجمجمة فى تكوينها، وكان هذا المكان يستخدم للرجم وقريبا من المدينة.

ع18: أشار القديس يوحنا للصلب إشارة سريعة، وذكر اللصين دون أن يذكر الحوار مع المسيح. ولهذا، لمراجعة أحداث الصلب، انظر النصوص (مت 27؛ مر 15؛ لو 23) فى الأجزاء المتعلقة بأحداث الصلب لاستكمال الصورة كلها.

ع19-22: كان يُكتب على الصليب اســم المصلوب وســبب صلبه. ويذكر القديس يوحنا هنا أن ما كُتب كان أولا بأمر بيلاطس شخصيا، وثانيا بلغة اليهود العبرانية، ولغة الفكر والعلم اليونانية، ولغة الدولة الرسمية اللاتينية. ولأن المكان كان مرتفعا، وقرأ ذلك كثير من الشعب، اعترض رؤساء الكهنة على التصريح بأن المسيح ملكهم، لأن فى هذا إدانة لهم على قتلهم ملكهم. ولكن هذا الاعتراض قوبل بجفاء من بيلاطس، وأصر على كلامه فى أن المسيح هو ملك اليهود. ولا نعلم إن كان هذا بدافع النكاية فى رؤساء الكهنة، أو توقيرا لشخص لم ير فيه شرا.

ع23-24: كان القديس يوحنا أكثر مَنْ أوضح لنا قصة اقتسام الثياب، فنفهم أنهم كانوا أربعة من العسكر كل منهم أخذ جزءا. ولكن القميص كان منسوجا غير قابل للاقتسام، فألقوا عليه قرعة فيما بينهم لمن يكون. ويذكّرنا القديس يوحنا، كما فعل أيضا متى (27: 35)، بما قاله داود فى نبواته عن آلام الصليب: "يقسمون ثيابى بينهم، وعلى لباسى يقترعون" (مز 22: 18).

(3) كلمات الصلب والموت (ع 25-37):

25– وكانت واقفات عند صليب يسوع، أمه، وأخت أمه مريم زوجة كِلُوبَا، ومريم المجدلية. 26– فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا، قال لأمه: "يا امرأة، هوذا ابنك." 27– ثم قال للتلميذ: "هوذا أمك." ومن تلك الساعة، أخذها التلميذ إلى خاصته. 28– بعد هذا، رأى يسوع أن كل شىء قد كمل، فلكى يتم الكتاب، قال: "أنا عطشان." 29– وكان إناء موضوعا مملوًّا خلا، فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا، وقدموها إلى فمه. 30– فلما أخذ يسوع الخل، قال: "قد أُكْمِلَ." ونكّس رأسه وأسلم الروح. 31– ثم إذ كان استعداد، فلكى لا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيما، سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويُرفعوا. 32– فأتى العسكر وكسروا سَاقَىِ الأول، والآخر المصلوب معه. 33– وأما يسوع، فلما جاءوا إليه، لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات. 34– لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء. 35– والذى عاين شَهِدَ، وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم. 36– لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل: عظم لا يكسر منه. 37– وأيضا يقول كتاب آخر: "سينظرون إلى الذى طعنوه."

ع25: من هن النساء اللواتى ذكرهن الكتاب المقدس عند الصليب؟! بمراجعة نصوص البشائر كلها نخلص بأنهن العذراء مريم أولا، و"سالومة" ابنة خالتها ثانيًا كما ذكرها مرقس فى إنجيله (15: 40، 16: 1)، و كما أشار لها متى (20: 20) أم ابنى زبدى وهى أم القديس يوحنا، وثالث النساء هى مريم زوجة كلوبا أم يعقوب الصغير ويوسى، وآخرهن هى مريم المجدلية التى ذكرها متى فى بشارته أولا نظرا لتقواها بعد توبتها (27 : 56).

ويلاحظ أن القديس يوحنا لم يذكر اسم أمه، حتى لا يخرج عن منهجه الذى اعتاده فى عدم ذكر اسمه.

ع26-27: لم ينس وسط آلامه وصلبه، وفى أصعب لحظاته، أمه بالجسد القديسة العذراء مريم. وإذ لم يكن لها أبناء بالجسد سواه، قدّم المسيح لها يوحنا ابنا، وَحَمَّلَ المسيح يوحنا مسئولية رعاية أمه؛ ويوضح استجابة الطرفين لوصية المسيح، إذ أخذها التلميذ المحب إلى خاصته.

☩ *ولكن، لماذا يوحنا الذى نال هذا الشرف؟ أليس أيها العزيز هو الوحيد المتبقى وسط كل الآلام بينما هرب آخرون؟!*

يا صديقى، نال القديس يوحنا كرامة استضافة والدة الإله فى منزله، لأنه لم يترك صليب رب المجد، فهناك عطية خاصة لكل من لا يهرب من صليبه، بل يقبله من الله بفرح.

ع28-30: "بعد هذا": تفيد أكثر من معنى:

الأول: أى بعد ثلاث ساعات الظلمة.

الثانى: أى بعد كل الحوارات أو الكلمات التى حدثت على الصليب، سواء ذكرها يوحنا أو لم يذكرها.

الثالث: أى بعدما اطمأن على تسليم القديسة مريم إلى يوحنا.

وقد أشار القديس يوحنا أن هناك نبوتين أخيرتين عن آلام المسيح: "لَصِقَ لسانى بحنكى" (مز 22: 15)، "وفى عطشى يسقوننى خلا" (مز 69: 21).

كان لابد لهاتين النبوتين أن تتما، لذلك صـــرخ راوى البشرية كلها بدمـــاء حبه: **"أنا عطشان"**. ولم يذكر إناء الخل هذا سوى يوحنا، وهذا الخل هو نبيذ أُخِذَ فى الفساد، ولهذا يدعى خلا. وكان الحراس يتناولونه لرخص ثمنه، أو بدلا من التخلص منه فيعتبر خمرا مجانيا، وأخذ الحراس ساق نبات الزوفا (كانت غصونه تستعمل لرش المياه المقدسة حسب الطقوس اليهودية) لتوصيل الإسفنجة المشبعة بالخل إلى فم المسيح. وهذا الخل كان غير الخل الأول الممزوج بالمر، والذى كان يستخدم لتخدير الحواس لمن هم قادمون على آلام الصلب؛ وهذا الأول رفض المسيح شربه ليجوز الآلام كاملة بلا تخفيف.

"قد أُكْمِلَ": أى أتم ما جاء من أجله من تقديم ذاته ذبيحة إثم وكفارة عن خطايانا، وكلمة **"قد أُكْمِلَ"** هى الكلمة السادسة فى ترتيب الكلمات التى قالها المسيح على الصليب، وهى بالترتيب التالى:

(1) "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو 23: 24).

(2) "يا امرأة هوذا ابنك... هوذا أمك" (ع26، 27).

(3) "أنا عطشان" (ع28).

(4) "اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو 23: 43).

(5) "إيلى إيلى لما شبقتنى" (مت 27: 46).

(6) "قد أُكْمِلَ" (ع30).

(7) "يا أبتاه فى يدك أستودع روحى" (لو 23: 46).

ع31-34: **"إذ كان استعداد"**: أى حالة الاهتمام القصوى باحتفالات الفصح. وأول سبوت أسبوع الفصح كان أقدس سبوت العام عند اليهود، وكان هذا لا يتناسب مع وجود الأجساد معلقة على الصلبان. فاستأذن اليهود بيلاطس فى كسر السيقان، وهو تقليد كان معروفا للقضاء على المصلوب بسرعة، وذلك بزيادة نزف الدم بعد تحطيم الأرجل، وهذا حتى لا يُدَنَّسُ السبت ببقاء المصلوبين على أرضهم, وأتم الجنود المهمة فى الأول والأخير، أما يسوع فلم يقترب أحد منه، وتعجبوا إذ أسلم الروح هكذا سريعا (راجع مر 15: 44)، وزيادة فى التأكد، طعن أحد الجنود جنبه فخرج منه دم وماء.

خروج الدم والماء: وقف كل آباء الكنيسة القدامى أمام "ظاهرة" خروج الدم والماء من جنب المخلص المطعون وقفة كان فيها الكثير من التأملات، نورد منها القليل التالى:

يرى ذهبى الفم: "إننا ولدنا من الماء وأُطْعِمْنَا من الدم. ولهذا، فإننا عندما نقترب من كأس الأفخارستيا، نشرب من الجنب المطعون ذاته."

ويقترب القديس ترتليان فى تأمله من ذهبى الفم فيقول: "نحن نعتمد بالماء ونتمجد بالدم، نُدعَى بالماء ونُختار بالدم، لهذا كان جنبه المجروح؛ فالذى يغتسل بالماء يستعد لشرب الدم."

أما القديس أمبروسيوس والعلامة أوريجانوس فقد اتفقا تقريبا على معنى واحد: "إنه بعد الموت يتجمد الدم ولا يخرج ماء من جسد، ولكن كان لابد أن يحدث هذا، لنعلم أنه من جسد المسيح المائت خرجت كل الحياة."

ع35-37: يشير القديس يوحنا إلى نفسه كالعادة بإشارة مستترة، ويوضح سبب عدم كسر رجلى الرب يسوع، وطعن جنبه بالحربة وخروج الدم والماء، لنؤمن بالمسيح الذى تحققت فيه النبوات التالية:

(1) **عظم لا يكسر منه**:كانت هذه الوصية متعلقة بخروف الفصح والذى يرمز مباشرة إلى شخص المسيح، وجاءت فى (خر 12: 46)، وأشار القديس بولس أيضا لها فى (1كو 5: 7) عندما قال: "لأن فصحنا أيضا المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا"، وأيضا النبوة التى ذكرها داود فى (مز 34: 20) "يحفظ جميع عظامه، واحد منها لا ينكسر".

(2) **فينظرون إلىَّ الذى طعنوه**: (زك 12: 10): "وأفيض على بيت داود وسكان أورشليم... فينظرون إلىَّ (المسيح) الذى طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له يكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره"، أى كما سبق وقال يوحنا أن الموت قد تم، ولكن يد الله هى

التى حركت يد الجندى لطعن جنب المسيح، حتى يتم ما سبق وأعلنه الآب بالروح القدس فى مسيحه.

☩ *ولنا هنا وقفة أيها الحبيب، فجنب المسيح المطعون ليس إثباتا للنبوة فقط، بل هو علامة حب يحمله المسيح فى جسده، بجانب المسامير، فصار الجنب المطعون منبعا للرجاء والحماية بداخله من كل حروب المشاكس الشرير. فإذا شككت يوما بأنه ليس لك مكان فى حضن المسيح، تذكر ماء المعمودية الذى اغتسلت به، والدم المتدفق الخارج الذى ينتظرك على المذبح، فتتجدد آمالك، ويلتهب قلبك برجاء فى حب من وأحبك.*

(4) الدفن (ع 38 - 42):

38- ثم إن يوسف الذى من الرامة، وهو تلميذ يسوع، ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأذِن بيلاطس؛ فجاء وأخذ جسد يسوع. 39- وجاء أيضا نيقوديموس، الذى أتى أولا إلى يسوع ليلا، وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة مَنًا. 40- فأخذا جسد يسوع، ولفاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفنوا. 41- وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط. 42- فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود، لأن القبر كان قريبا.

ع38: لماذا اختار المسيح يوسف الرامى من ضمن تابعيه (تلاميذه) ليدفن جسده؟

(1) كان غنيا ويملك قبرا جديدا فى نفس موضع الصلب حسب النبوة: "وجُعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته" (إش 53: 9)؛ (مت 27: 57-60).

(2) كان مشيرا شريفا ذا مكانة مرموقة، فاستطاع الدخول إلى بيلاطس (مر 15: 43).

ع39-40: "**وجاء نيقوديموس... وأخذ جسد يسوع**": تشير الأحداث وتتابعها إلى توزيع المهام، ثم مقابلتها سويا للتكفين. فيوسف ذهب إلى بيلاطس وأحضر نيقوديموس متطلبات التكفين، وأخذا سويا الجسد. ويشير القديس يوحنا إلى نيقوديموس بأنه الذى أتى أولا إلى يسوع (راجع ص3)، وهو نفسه الذى حاول الدفاع عن يسوع أمام مجلس رؤساء اليهود فى (ص 7: 50). أما ما حمله نيقوديموس فكان مرا، وهو عصارة إحدى الأشجار المعروفة، وكان يستخدم للتطهير أو تقليل الألم، وكان من مواد التحنيط التى استخدمها الفراعنة ونقلها عنهم اليهود. أما العود، فهو

مسحوق أساسه شجر عطر وله رائحة طيبة... ومقدار ما أتى به نيقوديموس هو مائة مَنًا، والمنا مقياس حجم ووزن رومانى مأخوذ عن اليونانيين، وهو يبلغ حجما نصف لتر تقريبا، ووزنا يعادل 340 جراما.

"**لفاه بأكفان**": قاما بخلط مزيج من الأطياب والزيوت العطرة ووضعاه على الجسد، ثم لفاه بالكتان.

"**كما لليهود عادة**": تعنى ما أخذوه عن المصريين من عادات التحنيط.

ع41-42: القبر الذى دفن فيه المسيح كان جديدا ومنحوتا فى صخرة داخل بستان مملوك ليوسف الرامى بالقرب من مكان الصلب، مما ساعد على إنهاء إجراءات التكفين والدفن بسرعة قبل الثانية عشر، وهى السادسة مساء بتوقيتنا، حتى لا يدخلوا فى السبت العظيم.

ولعل استسلام جسد المخلص بين يدى مكفناه آخر مشاهد اتضاع الإله الذى سوف نراه بعد ذلك فى أمجاد قيامته.



الأَصْحَاحُ العِشْرُونَ

زيـــارة القبـر الفـــارغ ، ظهورات المسيح بعد قيامته

η E η

(1) زيارة المجدلية وبطرس ويوحنا للقبر الفارغ (ع 1-10):

1- وفى أول الأسبوع، جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باقٍ، فنظرت الحجر مرفوعا عن القبر. 2- فركضت، وجاءت إلى سِمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه، وقالت لهما: "أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه." 3- فخرج بطرس والتلميذ الآخر، وأتيا إلى القبر. 4- وكان الاثنان يركضان معا، فسبق التلميذ الآخر بطرس، وجـــاء أولا إلى القـــبر. 5- وانحنى، فنظر الأكفان موضوعة، ولكنه لم يدخل. 6- ثم جاء سِمعان بطرس يتبعه، ودخل القبر، ونظر الأكفان موضوعة. 7- والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعا مع الأكفـــان، بل ملفـــوفا فى موضع وحده. 8- فحينئذ، دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر، ورأى، فآمن. 9- لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب، أنه ينبغى أن يقوم من الأموات. 10- فمضى التلميذان أيضا إلى موضعهما.

ع1: "**أول الأسبوع**": وهو الأحد، يوم إعلان النصرة وانكسار سلطان الموت، وقد صار يوم الرب بدلا من السبت لكل المسيحين منذ الكنيسة الأولى فى العصر الرسولى.

"**والظلام باقٍ**": ما أروع حب المجدلية للرب، فمع أول خيوط الفجر، عند فتح أبواب أورشليم، خرجت من المدينة لتزور القبر، وكان الظلام ما زال يغطى الجهة الغربية تماما... ولم تبالِ بأنها امرأة... كان كل ما تمنته أن تلقى نظرة على القبر من الخارج، ولكنها عاينت القبر الفارغ، إذ أن الملاك كان قد دحرج الحجر كما ذُكِرَ فى (مت 28: 2).

ع2-4: أسرعت فى خروجها كأول مبشرة بالقيامة، وسبقتها لهفتها لبيت بطرس أولا الأكبر والأكثر شهرة، ثم بيت يوحنا حيث تقيم العذراء مريم. وإذ لم تدرك بعد أبعاد القيامة، أبلغتهم، بحسب رؤيتها، أنهم أخذوا الرب إلى مكان مجهول. وظهرت أيضا لهفة بطرس ويوحنا فى جريهما نحو القبر، وسبق يوحنا لصغر سنه.

ع5-7: كان جسد الميت يُلَفُّ كله بأكفان، أما رأسه فكانت تغطى بمنديل أكبر يشملها كلها، وهو قطعة منفصلة. والغرض من ذكر هذه التفاصيل إثبات شئ واحد، وهو أن الجسد لم يسرق، وذلك لأن الذى يريد سرقة الجسد، لن يكون لديه الوقت لفك كل هذه الأكفان الملفوفة، بل سيأخذ الجسد كله ثم يتخلص من الأكفان بعيدا.

ولا يفوت القديس يوحنا ذكر بعض التفاصيل ليشركنا معه فى المشهد، فانحناؤه يوضح انخفاض باب القبر، وعدم دخوله - بعد نظر الأكفان - يظهر رهبة الموقف. أما دخول بطرس، فيؤكد طبعه الجرئ وإقدامه اللذين اعتدنا عليهما.

ع8: ثم جاءت شجاعة يوحنا بعد بطرس فدخل أيضا، وتحوّل التعجب إلى إيمان، وهو إيمان بما قالته لهما المجدلية وشكا فيه. إيمان يعجز أمامه العقل واللسان، إيمان بأن المسيح قام وخرج بذاته من هذا القبر المعتم.

ع9-10: كان موت المسيح صدمة للتلاميذ لأنهم لم يفهموا نبوات العهد القديم عن قيامته... وينتهى هذا المشهد بعودة التلميذان إلى أورشليم حيث منزليهما.

(2) ظهور السيد المسيح للمجدلية (ع 11-18):

11- أما مريم، فكانت واقفة عند القبر خارجا تبكى. وفيما هى تبكى، انحنت إلى القبر. 12- فنظرت ملاكين بثياب بيض، جالسين واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعا. 13- فقالا لها: "يا امرأة، لماذا تبكين؟" قالت لهما: "إنهم أخذوا سيدى، ولست أعلم أين وضعوه. 14- ولما قالت هذا، التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفا، ولم تعلم أنه يسوع. 15- قال لها يسوع: "يا امرأة، لماذا تبكين، من تطلبين؟" فظنت تلك أنه البستانى، فقالت له: "يا سيد، إن كنت أنت قد حملته، فقل لى أين وضعته وأنا آخذه." 16- قال لها يسوع: "يا مريم." فالتفتت تلك وقالت له: "رَبُّونِى." الذى تفسيره يا معلم. 17- قال لها يسوع: "لا تلمسينى، لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى، وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم." 18- فجاءت مريم المجدلية، وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا.

ع12-11: رجع التلميذان، ولكن حب مريم ربطها بالقبر فلم تستطع أن تتركه، بل انحنت، لانخفاض باب القبر، وأطلّت داخلا فنظرت ملاكين ظهرا فى صورة الناس، وقد وصفهما كل من مرقس "شابا" (16: 5)، ولوقا "رجلان" (24: 4)، ويوضح القديس يوحنا أيضا وضع جلوسهما.

ع14-13: العجيب أن مريم لم تخف من وجود هذين الملاكين، واللذين لم يسبق وجودهما.

"**لماذا تبكين؟**": لم يَعْنِ هذا السؤال عدم معرفتهما سبب بكائها، بل استنكاره، إذ ينبغى الفرح لقيامة السيد من الأموات. وتأتى إجابتها لتعبر بالفعل عن عدم قناعتها، أو لِنَقُلْ عدم إدراكها لهذه القيامة، فهى لا زالت تعتقد أن الجسد أُخِذَ ولا تعلم مكانه.

ولما فرغت من إجابتها، "**التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفا**". ولأنها فى حيرة وحزن، لم تعلم من هو، لأنه كان بعيدا عن خيالها وتوقعاتها أن يكون هذا هو شخص الرب يسوع.

ع15: كان القبر منحوتا فى جدار داخل بستان، ولذلك كان أسرع احتمال قفز إلى عقل المجدلية أن المتكلم، والمستيقظ فى هذا الوقت المبكر من الصباح، لابد أن يكون البستانى. ولم تلتفت أو تدقق فى هيئته أو صوته، لأن حدث القيامة لم يكن واردا فى حسبانها. أما سـؤال المسيح لها، فبالطبع لم يكن من باب الاستفسار، وهو العالم بأفكار القلوب، ولكن لتنبيهها وتقديم نفسه لها.

ع16: ناداها الرب باسمها، فكانت استجابتها كالحمل الذى يعرف صوت راعيه، وبدت وكأنها تفيق من حلم وغفلة، إلى يقظة القيامة غير مصدقة، فأجابت: "**رَبُّونِى**"، أى يا معلم، وهو التعبير واللقب الذى كان ينادَى به المسيح. ولهذا، فهى تعلن لنا بهذه الإجابة معرفتها لشخص القائم من الأموات.

ع17: "**لا تلمسينى**": فى (مت 28: 9)، نعلم أن مريم المجدلية ومريم الأخرى أمسكتا بقدميه، فلماذا قال السيد هنا لا تلمسينى؟

يذهب البعض فى تفسيره لهذا الموقف أن مريم، فى المرة الأولى، لمست المسيح بالفعل، ولكن عاودتها بعض الشكوك فى القيامة، ولهذا منعها المسيح من لمسه، كنوع من التأديب الروحى على شكها فى القيامة.

أما القديس ذهبى الفم، فيقول إن السيد أراد أن ينقل المجدلية من حال التعلق العاطفى بشخصه، إلى حقيقة القيامة ومجد لاهوته الجديد، وكأنه يتدرج بها فى النضوج، فاطما إياها من مشاعرها الجسدية إلى مشاعر روحية أرقى.

وهناك رأيا ثالثا يذهب بأن ما قصده المسيح هو: لا تعيقينى ولا تبطئى من إعلان القيامة، فهناك عمل الإخبار للتلاميذ الذى عليك القيام به، ثم "**أنى لم أصعد بعد إلى أبى**"، أى لست صاعدا سريعا، بل سأبقى أربعين يوما، فليست هذه هى الفرصة الوحيدة التى سوف ترينى فيها.

"**أبى وأبيكم**": أبى خاصة وأبوكم عامة، أى أبى الأقنومى الذى أنا ابنه – الكلمة – وأبوكم، أى الأبوة العامة لله لكل أبنائه المؤمنين.

"**إلهى وإلهكم**": إلهى لأن الآب فى مجده أعظم من الابن المتجسد على الأرض ومجده مخفى وإن كان الاثنان واحدا، أما إلهكم فلأنكم خلقته.

ع18: فأسرعت المجدلية لتخبر التلاميذ برؤيتها للمسيح القائم، وكل الحديث الذى دار بينهما، وأنه سيصعد إلى السماء بعد فترة يظهر فيها لهم.

(3) الظهور الأول للتلاميذ (ع 19-25):

19– ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلقة، حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف فى الوسط، وقال لهم: "سلام لكم." 20– ولما قال هذا، أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. 21– فقال لهم يسوع أيضا: "سلام لكم، كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا." 22– ولما قال هذا، نفخ وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس. 23– من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت." 24– أما توما، أحد الاثنى عشر، الذى يقال له التوأم، فلم يكن معهم حين جاء يسوع. 25– فقال له التلاميذ الآخرون: "قد رأينا الرب." فقال لهم: "إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير، وأضع إصبَعى فى أثر المسامير، وأضع يدى فى جنبه، لا أُومِنُ."

ع19: فى مساء أحد القيامة، يصور القديس يوحنا كيف كان حال التلاميذ العشرة (لاختفاء يهوذا وغياب توما) من خوف، وكيف كانت الأبواب مغلقة بإحكام من الداخل عليهم، ولكن فى إثبات لعقيدة جسد القيامة الممجد والغير خاضع للقوانين المادية.

فوجئ التلاميذ بالسيد المسيح فى وسطهم، ملقيا عليهم سلامه الإلهى لِيُطَمْئِنَ قلوبهم ويحررهم من الخوف الذى حبسوا أنفسهم داخله.

✞ *هكذا نحن جميعا... لدينا أبواب مغلقة وأسوار مرتفعة من مخاوف أو قلق... وكلنا نطلب سلامك وإشراق نورك الإلهى علينا، حتى تطمئن قلوبنا ونطرح الخوف خارجا.*

ع20: قدم المسيح برهان قيامة جسده، فهو إذن ليس روحا أو خيالا، ولكنه جسد قائم يحمل جراحات الصليب... ولهذا كان فرح التلاميذ عجيبا إذ رأوا الرب وتحققوا من قيامته... ولا يوجد شئ فى الوجود يعادل الفرح برؤية الرب.

✞ *والله أعطانا أن نراه بأعين الإيمان فى حياتنا اليومية، وهى عطية حرم نفسه منها كل إنسان لا يعترف به، أو يحيا خارج كنيسته. وهذه العطية بمثابة عربون لمن يثبت فى حبه لله، فنراه هناك فى السماء فيكمل فرحنا به، فرح بلا هم ولا كآبة ولا تنهد ولا قلق كما تصلى الكنيسة فى أوشية الراقدين.*

ع21: كرر المسيح التحية بسلامه الممنوح لهم مرة ثانية ليزيد من إحساسهم بالطمأنينة، ثم انتقل إلى شئ آخر، وهو عمل التلاميذ المقبل. فكما أرسلنى الآب من أجل عمل الفداء الذى لا يقدمه آخر سواى، هكذا أرسلكم أنتم مبشرين وشهودا لهذا الفداء الذى تم.

ع22: "**نفخ... الروح القدس**": قال السيد المسيح سابقا عن الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمه. وهنا، يمنح التلاميذ هبة الروح القدس بالنفخة فى وجوههم، لأن سلطانه هو سلطان الآب ذاته. ونشير هنا لشيئين:

- أن هذه النفخة كانت تأسيسا لسر الكهنوت فى العهد الجديد.
- أن هذه النفخة، فى التقليد الرسولى، صارت مثل الخميرة التى استلمها الرسل من السيد المسيح وأودعوها داخل أسرار الكنيسة، فالكاهن أيضا فى سر المعمودية ينفخ فى وجه المعمد قائلا:

"اقبل الروح القدس." وكذلك فى سر الكهنوت ينفخ الأسقف فى وجه القس ويردد ذات العبارة... ويستخدمها أيضا الكثير من الكهنة فى سر الاعتراف كنفخة لمغفرة الخطايا... وهكذا...

ع23: آية توضح، دون أى لبس أو شك، سلطان الروح القدس الكائن فى سر الكهنوت، والذى منحه السيد المسيح فى الآية السابقة لرسله، الذين أودعوه الكنيسة.

ونكتفى هنا بما أورده القديس كيرلس الكبير فى شرحها: "إن المغفرة تليق بطبيعة الله وحده، ولكن الذين وهبهم روحه القدّوس أعطاهم أن يحوزوا قوة المغفرة، لأنه كيفما صنعوا، يكون الروح القدس الساكن فيهم – من خلال سر الكهنوت – هو الذى يغفر أو يُمسك الخطايا. على أن العمل يكون بواسطة الإنسان – الكاهن – وهذا السلطان مرجعه الروح القدس وليس قداسة الإنسان (راجع حادثة بطرس مع سَفِّيرة وحنّانيا، أع 5: 1–10)، وقول بطرس: "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس؟"(ع3)، ولم يقل: لتكذب علىّ؟ أما سر مغفرة الخطايا – التوبة الاعتراف – فهو الإقرار أمام الروح القدس، الذى يستخدم يد الكاهن، فى نقل خطايا المعترف إلى حساب دم المسيح الكفارى. ويعلن أيضا الروح القدس، من خلال الكاهن، مغفرة الله لهذه الخطية. ولهذا كان سر الاعتراف من أكثر الأسرار المفرحة والمعزية للإنسان، وخاصة التى يمارسها بفهم ووعى.

ع24-25: كان توما يمثل الشخصية العقلانية التى تعرقل الإيمان القلبى البسيط، حتى أنه رفض تصديق باقى الرسل الأطهار وشهادة نساء القيامة، وكان له أيضا سابقة (راجع ص14: 5)، بل أعلن، فى تحد غير خفى، أنه لن يؤمن ما لم يرى ويحس جراحات الصليب ماديا. وذكر القديس يوحنا موقف توما الرسول هنا، لأنه يعتبره مقدمة لأحداث الظهور القادم للمسيح وسط تلاميذه.

(4) الظهور الثانى للتلاميذ (ع 26-31):

26– وبعد ثمانية أيام، كان تلاميذه أيضا داخلا وتوما معهم، فجاء يسوع والأبواب مغلقة، ووقف فى الوسط، وقال: "سلام لكم." 27– ثم قال لتوما: "هات إصبَعك إلى هنا، وأبصر يدىَّ، وهات يدك وضعها فى جنبى، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمنا. 28– أجاب توما

وقال له: "ربى وإلهى." 29– قال له يسوع: "لأنـك رأيتنى يا توما آمنت؟ طوبى للذين آمنـوا ولم يَرَوْا." 30– وآيات أُخَرَ كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه، لم تكتب فى هذا الكتاب. 31– وأما هذه، فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم، إذا آمنتم، حياة باسمه.

ع26-27: فى الأحد التالى تكرر الظهور بنفس ملابساته، والاختلاف الوحيد هو وجود توما الغائب سابقا. وبعد أن ألقى السيد سلامه على التلاميذ، وَجَّهَ كلامه مباشرة إلى توما، وغاية كلمات المسيح كلها: "**ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمنا**".

✠ *وأسلوب المسيح مع توما يعطينا مثلا لاتساع القلب واللطف وطول الأناة، حتى لمن شك واشترط على الله أن يستجيب لطلباته حتى يؤمن بقيامته، ليعلّمنا بذلك المعنى الحقيقى للاتضاع والتنازل والإشفاق على الناس فى ضعفاتهم الروحية.*

ويذهب البعض أيضا أن كلام المسيح لم يخلو من العتاب الرقيق.

ع28: "**ربى وإلهى**": جاءت إجابة توما "إعلانا واعتذارا"، إعلانا إيمانيا قويا، واعتذارا أيضا لخجله من عتاب المسيح الرقيق لعدم إيمانه الصارخ، ولم يقل توما فقط: "**ربى**"، بل قال أيضا: "**وإلهى**"، وهو تعبير قوى يعبّر به عن إدراكه لسر القيامة، وأنه أمام الإله المتجسد كاسر شوكة وسلطان الموت بلاهوته.

ع29: هنا يعاتب السيد المسيح بلطف أيضا توما على شكه، فما كان جدير بتلميذ عاش مع المسيح أكثر من ثلاث سنوات رأى فيها المعجزات وسمع التعاليم، أن يكون موقفه هكذا مطالبا بالرؤية المادية للمسيح القائم. ولهذا، يعلن أيضا السيد المسيح عن طوباوية، أى البركات، التى ينالها كل من يؤمن به فى كل العصور دون أن يقف عقله عائقا أمام إيمانه.

ع30-31: يوضح القديس يوحنا هنا غاية كتابة إنجيله كله، وهو أنه لم يكن كتابا لحصر المعجزات والعجائب التى لن تسعها كل كتب العالم (ص 21: 25)، بل كان له غرض واحد فقط، هو الإيمان أن يسوع الإنسان هو المسيح الإله، وهو أقنوم الكلمة ابن الله الأزلى والمساوى. وكأن يوحنا، وهو يختم إنجيله، يذكّرنا بما سبق وأعلنه عن شخص السيد المسيح فى أصحاحه الأول، أن الكلمة هو ابن الله، وأن الكلمة كان الله، ويعطى لكل القارئين خلاصة كل إنجيله

والغرض منه، وهو أنه لا حياة ولا أبدية خارج اسم المسيح؛ فالذين قبلوه هم فقط الذين صاروا أبناء الله.

☩ *إلهنا الحبيب، أعطنا أن يكون لنا هذا الإيمان الحى والعامل الذى هو سر غلبة العالم، كما قال القديس يوحنـــا فى رســالته الأولى: "من هو الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن يســوع هو ابن الله؟" (5: 5).*

الأَصْحَاحُ الحَادِى والعِشْرُونَ

ظهـور المسـيح للتلاميذ مـرة ثانية ، وصيته الأخيرة لبطرس برعاية الرعية

η E η

(1) بحيرة طبرية (ع 1-14):

1- بعد هذا، أظهر أيضا يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية، ظهر هكذا: 2- كان سِمعان بطرس، وتوما الذى يقال له التوأم، ونَثَنَائيل الذى من قانا الجليل، وابنا زبدى، واثنان آخران من تلاميذه، مع بعضهم. 3- قال لهم سِمعان بطرس: "أنا أذهب لأتصيّد." قالوا له: "نذهب نحن أيضا معـك." فخرجـوا ودخلوا السفينة للوقت. وفى تلك الليلـة، لم يمسـكوا شيئا. 4- ولما كان الصبح، وقف يسوع على الشاطئ، ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع. 5- فقال لهم يسوع: "يا غِلمان، ألعل عندكم إداما؟" أجابوه: "لا." 6- فقال لهم: "ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن، فتجدوا." فألقوا، ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك. 7- فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس: "هو الرب." فلما سمع سِمعان بطرس إنه الرب، اتَّزَرَ بثوبه، لأنه كان عُريانا، وألقى نفسَه فى البحر. 8- وأما التلاميذ الآخرون، فجاءوا بالسفينة، لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الأرض إلا نحو مئتى ذراع، وهم يجرّون شبكة السمك. 9- فلما خرجوا إلى الأرض، نظروا جمرا موضوعا، وسمكا موضوعا عليه، وخبزا. 10- قال لهم يسوع: "قدموا من السمك الذى أمسكتم الآن." 11- فصعد سِمعان بطرس، وجـذب الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكا كبيرا مئة وثلاثا وخمسين. ومع هـذه الكثرة، لم تتخرق الشبكة. 12- قال لهم يسوع: "هلموا، تَغَدَّوْا." ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت، إذ كانوا يعلمون إنه الرب. 13- ثم جاء يسوع، وأخذ الخبز وأعطاهم، وكذلك السمك. 14- هذه مرة ثالثة ظهر يسوع لتلاميذه بعدما قام من الأموات.

ع1-2: بحيرة طبرية هى نفسها بحر الجليل، ولكن القديس يوحنا ينسبها إلى مدينة طبرية الحديثة، التى أنشأها هيرودس الذى كان رئيس ربع على الجليل. وكان عدد التلاميذ سبعة، منهم يوحنا وأخوه يعقوب، واثنان من التلاميذ وليسوا من الرسل.

"**بعد هذا، أظهر أيضا يسوع نفسه**": عبارة تشير إلى تعدد ظهورات القيامة، بعد الظهورات السابقة، لإثبات لاهوت السيد المسيح كما سيتضح من نوعية هذه المعجزة.

ع3: رأى البعض أن ما صنعه بطرس هو ارتـداد نـحو العالم، ورأى البعض الآخر أنه ليس فى هذا شئ، فالمسيحية لم تحرِّم العمل، بل هـذا منهج نادى به القديس بولس فى (أع 20: 34؛ 2تس 3: 8).

وأكثر هذه الآراء اعتدالا، ما قاله القديس اغريغوريوس الكبير، وهو: "إن بطرس عاد إلى الصيد، ولكن متى لم يعد لجباية الضرائب، لأنه توجد أعمال لا يمكن العودة إليها بعد التجديد."

ويمكن القول أيضا أن ما يؤخذ على بطرس هو عودته إلى المهنة الأولى، دون مصاحبة ذلك بأى عمل كرازى.

ع4-5: وبعد أن أُجهدوا وفشلوا فى أن يمسكوا شيئا، كان ظهور الرب، الغامض فى بدايته، والذى أزال الفجر بضوئه الخافت من غموضة، بادرهم السيد المسيح بسؤاله: "هل تملكون إداما؟ أى غموسا، والمقصود بالطبع سمكا، فجاءت إجابتهم النافية تعبيرا عن حالتهم. وبالطبع، ما كان سؤال الرب هنا إلا تمهيدا للمعجزة القادمة.

ع6: يقدم السيد الرب نصيحة للصيادين – الخدّام – خائرى القوى، والمجهدين طوال الليل، تذكّرنا بالنصيحة الأولى التى تعرف فيها بطرس على السيد المسيح فى (لو5: 4).

✢ *ويمكن القول أن هذه المعجزة هى درس لما يحدث فى حياتنا كل يوم، وفى حياة الخدّام بصفة خاصة، فنحن كثيرا ما نعتمد على قلوبنا وفهمنا وخبراتنا دون الله، ولكن الاعتماد على الله وكلمته وراء النجاح الحقيقى، فلا قيمة لكل جهد انفصل عن الله العامل فى كنيسته... ولا قيمة لعمل لا يباركه المسيح، وكأن المسيح يعطى التلاميذ والكنيسة هذا الدرس لنعمل به فى كل أوجه حياتنا. فبطرس الذى تبع المسيح، عندما اعتمد على ذاته أنكره، بالرغم من حبه له. أما عندما عمل الروح القدس به، ففى يوم الخمسين اصطاد بعظته 3000 نفس (أع 2: 41)؛ ألم يكن ذلك سمكا كثيرا...؟!*

ع7: **"كان عُريانا"**: بسبب أنهم كانوا فى الصيد، خلع بطرس كل ما يعيقه عن عمله، وكان يوحنا، ذو القلب المحب والأكثر تيقظا، أسرع إيمانيا فى إدراك ما يحدث، وربط الأحداث ببعضها. ولهذا، جاء إعلانه قويا وثابتا ومفرحا: **"هو الرب"**.

وبالرغم من أن الطبيعى أن يلقى بطرس بنفسه كما هو، إلا أنه أتى بفعـل غير طبيعى، فقد لبس ما قد خلعه قبل أن يلقى بنفسه فى الماء. ولنا أن نفهم أن ما فعله بطرس:

أولا: يتناسب وكرامة الله التى تغطى الملائكة أرجلها ووجوهها أمامه.

ثانيا: يُرجِع لبطرس نفسه، فهو ما زال يحس بالخزى بسبب خطية إنكاره، فكأنه لا يستر جسده فقط، بل نفسه العارية التى، وإن بكت بكاء مرا، لم تسمع بعد من السيد غفرانه لها.

ع8-9: كانت المسافة حوالى 95 مترا بين مكان السفينة والشاطئ، والأهم هو المعنى الروحى التأملى هنا، فالسفينة هى الكنيسة، والتلاميذ هم كهنتها وخدامها، والسمك هو النفوس التى جذبتها الكنيسة، من الغرق فى العالم، إلى شاطئ النجاه الروحى...

☩ *وعند خروج كل من كان له تعب فى الخدمة وسحب النفوس إلى الله، يجد المسيح الكلى القدرة قد أعد له طعاما ونصيبا سمائيا، كأنه يكافئ مكافأة خاصة كل من له تعب وسهر فى صيد النفوس إليه.*

"**قدموا... أمسكتم**...": نلاحظ شيئين:

أولا: أن ما أمســـكه التلاميذ أســـاسا هو معجزة صنعها الرب، ولكن الله ينسب عمله، باتضاعه، إلى أولاده...

ثانيا: أنه يريد أن يقدموا من شباكهم، إضافة لما أعده هو لهم، وذلك ليشركهم معه فى المائدة وبفرحهم.

☩ *وهذا يعلمنا شيئا هاما، وهو أن الله هو العامل. ولكن، على الإنسان أيضا أن يقدم ما عنده من طاقة وجهد ومال إلى الله، فيتحد المحدود والضعيف مع عمل الله اللانهائى القدرة.*

ع11-14: كان السمك كبيرا جدا ووفيرا (153)، وهو عدد فوق الخيال أن يخرج من دفعة واحدة. وهو يعنى أنه بالرغم من ظلام العالم وكثرة الحروب الروحية، فكنيسة المسيح، بقوة عمله، قادرة على جذب النفوس الكثيرة والكبيرة، لأنها تأتى بكامل قدراتها ومواهبها إلى الملكوت، مهما كان الليل (ظلام العالم) طويلا وحالك الظلمة.

"**هلموا، تَغَدَّوْا**": الله هو مصدر كل غذاء. ألم يَعُلْ قبلا الشعب فى البرية، وكذلك فى معجزة إشباع الجموع؟ فهو مصدر شبع كل الذين يتبعونه إشباعا من جميع النواحى... شبعا روحيا وماديا.

"**لم يجسر أحد**...": تشير إلى مهابة الشخص ومهابة الموقف نفسه. ويقول القديس يوحنا سببا آخر لعدم سؤاله، وهو علمهم ويقينهم أنه هو الرب يسوع، وكأن الموقف لم يَقْتَضِ سؤالا. ولعل

حذرهم وهيبتهم من هذا الموقف جعلهم وقوفا، بالرغم من دعوة الرب لهم بالأكل، فتقدم الرب المسيح بنفسه وأخذ الخبز والسمك، مستكملا مسيرة اتضاعه. فهو، الإله السيد، يقدم ويقوم بواجب الضيافة لتلاميذه... وبالطبع، عندما قال القديس يوحنا **"هذه مرة ثالثة"**، لم يقصد بهذا أنها المرة الأخيرة، ولكنه تسجيل تتابعى لما أورده فى الظهورات السابقة.

(2) حديث المسيح مع بطرس (ع 15-19):

15- فبعدما تَغَدَّوْا، قال يسوع لسِمعان بطرس: "يا سِمعان بن يونا، أتحبنى أكثر من هؤلاء؟" قال: "نعم يا رب، أنت تعلم أنى أحبك." قال له: "ارْعَ خرافى." 16- قال له أيضا ثانية: "يا سِمعان بن يونا، أتحبنى؟" قال له: "نعم يا رب، أنت تعلم أنى أحبك." قال له: " ارْعَ غنمى." 17- قال له ثالثة: "يا سِمعان بن يونا، أتحبنى؟" فحزن بطرس، لأنه قال له ثالثة أتحبنى. فقال له: "يا رب، أنت تعلم كل شىء، أنت تعرف أنى أحبك." قال له يسوع: "ارْعَ غنمى. 18- الحق الحق أقول لك، لما كنتَ أكثر حداثة، كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء. ولكن، متى شخت، فإنك تمد يديك وآخر يمنطقك، ويحملك حيث لا تشاء." 19- قال هذا، مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يمجد الله بها. ولما قال هذا، قال له: "اتبعنى."

ع15: وجه المسيح - بعد الأكل - حديثه إلى بطرس، ولكنه ناداه باسمه البشرى، وليس الاسم الذى أعطاه له كرسول، إذ أنه، بإنكاره، هبط إلى مستوى الإنسان العادى: **"أتحبنى أكثر من هؤلاء؟"**

وهنا، يستعيد بطرس ما سبق وقاله فى كبرياء، مفرزا نفسه عن باقى الرسل (راجع مت 26: 33؛ مر 14: 29)، فأجاب: **"أنت تعلم أنى أحبك."** فكان تعليق المسيح تكليفا لبطرس بأن برهان الحب الحقيقى هو رعاية الخراف، أى النفوس أو الكنيسة، فحب الخادم الأمين لسيده هو رعاية أبنائه بكل أمانة وتفانٍ وبذل، وليس بالكلام أو ادعاء هذا الحب الذى قد يخور، بسبب ادعائنا الباطل، أمام التجارب، كما حدث أولا مع بطرس.

ع16-17: يكرر السيد المسيح السؤال مرتين بعد الأولى، ليقابل إنكار بطرس ثلاث مرات. وفى كل مرة، يوصيه أن الاعتذار الحقيقى الذى يقبله منه، هو رعاية شعبه. إلا أنه فى المرة الثالثة، يوضح لنا القديس يوحنا حزن بطرس لتكرار السؤال، فأراد أن يدفع عن نفسه تهمة

عدم حبه للمسيح، فقال له: "**أنت تعرف**"، أى أنك لست محتاجا لإجابتى على السؤال، فأنت فاحص القلوب وتعلم ما بداخلها... وتعلم أيضا أننى, وإن كنت أنكرتك، فهذا عن ضعف بشرى.

ع18-19: ما قاله هنا المسيح لبطرس مباشرة، ينطبق علينا جميعا بصورة غير مباشرة فى معناه الروحى. فالإنسان فى حداثته الروحية، وقلة خبراته الإيمانية، يعتمد على ذاته وعلى ذراعيه البشرية فى الخدمة وحياته عامة. ولكن، عندما ينمو ويزداد خبرة فى حياته الروحية، فإنه يصير أكثر اتضاعا وطاعة لعمل الروح القدس، فتختفى الذات البشرية، وتحل مكانها حياة التسليم الكامل للإرادة والمشيئة الإلهية. أما المعنى المباشر لبطرس، الذى أوضحه القديس يوحنا فى (ع18): إنك يا بطرس، فى حداثة إيمانك، كنت مندفعا، فتعد بما لا تقدر عليه. ولكن عندما تنمو، فالموت الذى أخافك قبلا، ستقدم عليه بقوة الروح القدس العاملة فيك، وتقبل الصلب منكس الرأس، وتصير حياتك فى أواخرها واستشهادك، هما أكبر تمجيد تقدمه لاسمى القدّوس.

☩ *ونحن جميعا، ما أحوجنا يا الله أن نتكل على عمل روحك القدّوس فى حياتنا، مفرغين ذواتنا، ومادين أذرعنا، لتتولى أنت وحدك القيادة بإرادتك الصالحة؛ أما فكرنا نحن، فهو فى غاية القصور.*

(3) ما بين بطرس ويوحنا (ع 20-25):

20- فالتفت بطرس، ونظر التلميذ الذى كان يسوع يحبه يتبعه، وهو أيضا الذى اتكأ على صدره وقت العشاء، وقال يا سيد من هو الذى يسلمك. 21- فلما رأى بطرس هذا، قال ليسوع: "يا رب، وهذا ما له؟" 22- قال له يسوع: "إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجىء، فماذا لك؟ اتبعنى أنت." 23- فذاع هذا القول بين الإخوة، أن ذلك التلميذ لا يموت. ولكن، لم يقل له يسوع إنه لا يموت، بل إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجىء، فماذا لك. 24- هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا، وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق. 25- وأشياء أُخَرُ كثيرةٌ صنعها يسوع، إن كُتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة، آمين.

ع20-22: كانت آخر كلمة قالها المسيح لبطرس هى: "**اتبعنى**". فبعد أن اطمئن بطرس إلى عودته لمكانته الرسولية مرة أخرى، وغفران المسيح لخطية إنكاره إياه، التفت إلى القديس يوحنا،

الذى رآه يتبع المسيح أيضا، وتوجه إلى المسيح سائلا عن مصير يوحنا المستقبلى، وهو سؤال فى غير مكانه، إذ أعطى بطرس نفسه حقا ليس له، أن يسأل عن مكانة آخر أو مستقبل آخر، وهو شئ من صميم عمل الله وإرادته. ولهذا، كانت إجابة المسيح الرب على بطرس حاسمة: "**فماذا لك؟**" وتعنى أن هذا ليس من شأنك... اهتم بالأمر الذى أوجهه لك وحدك، وهو أن تتبعنى أنت، دون أن تلتفت لغيرك، حتى وإن أردت أن أبقيه حيا حتى مجيئى الثانى.

☩ *ولعل إجابة السيد المسيح لبطرس، هى إجابة موجهة لنا جميعا، إذ كثيرا ما تنزلق أفكارنا فى مقارنات أو استفسارات ليست من شأننا، كأن نسأل عن خلاص آخرين من عدمه، فتكون إجابة المسيح لنا: "اتبعنى أنت... ولا شأن لك بالآخرين." لعلنا نستوعب هذا الكلام، ولا ننشغل بشئ إلا خلاص نفوسنا...*

ع23: يوضح اللبس الذى حدث فى فهم التلاميذ لقول المسيح الأخير، فشرحه القديس يوحنا.

ع24-25: هنا، وقد جاء القديس يوحنا إلى ختام إنجيله، كان من المهم عنده أن يؤكد على شيئين:

أولا: صدق شهادته، لأنه عاين وكتب بنفسه ما شاهده، وليس نقلا عن آخر.

ثانيا: أن ما ذكره فى إنجيله وشهادته ليس كل شئ، فهو ذكر بعض الأشياء من أجل الإيمان بشخص الرب المسيح، وليس حصرا لكل معجزاته أو أحاديثه أو أمثلته، كما حاولت باقى البشائر، ولكنها ذكرت القليل قدر ما استطاعت، ويوضح عِظَمَ ما صنع الرب، واستحالة حصر كل شئ، فى صورة لغوية بديعة، إذ يقول أن كل كتب العالم لا تكفى لتدوين كل شئ عن الرب يسوع، بل إن العالم نفسه، بكل اتساعه، سوف لا يحتمل حجم هذه الكتب، ولإلهنا المجد الدائم... آمين.

